الأقباط

الكنيسة أمَّ الوطن
قصة البابا شنودة الثالث

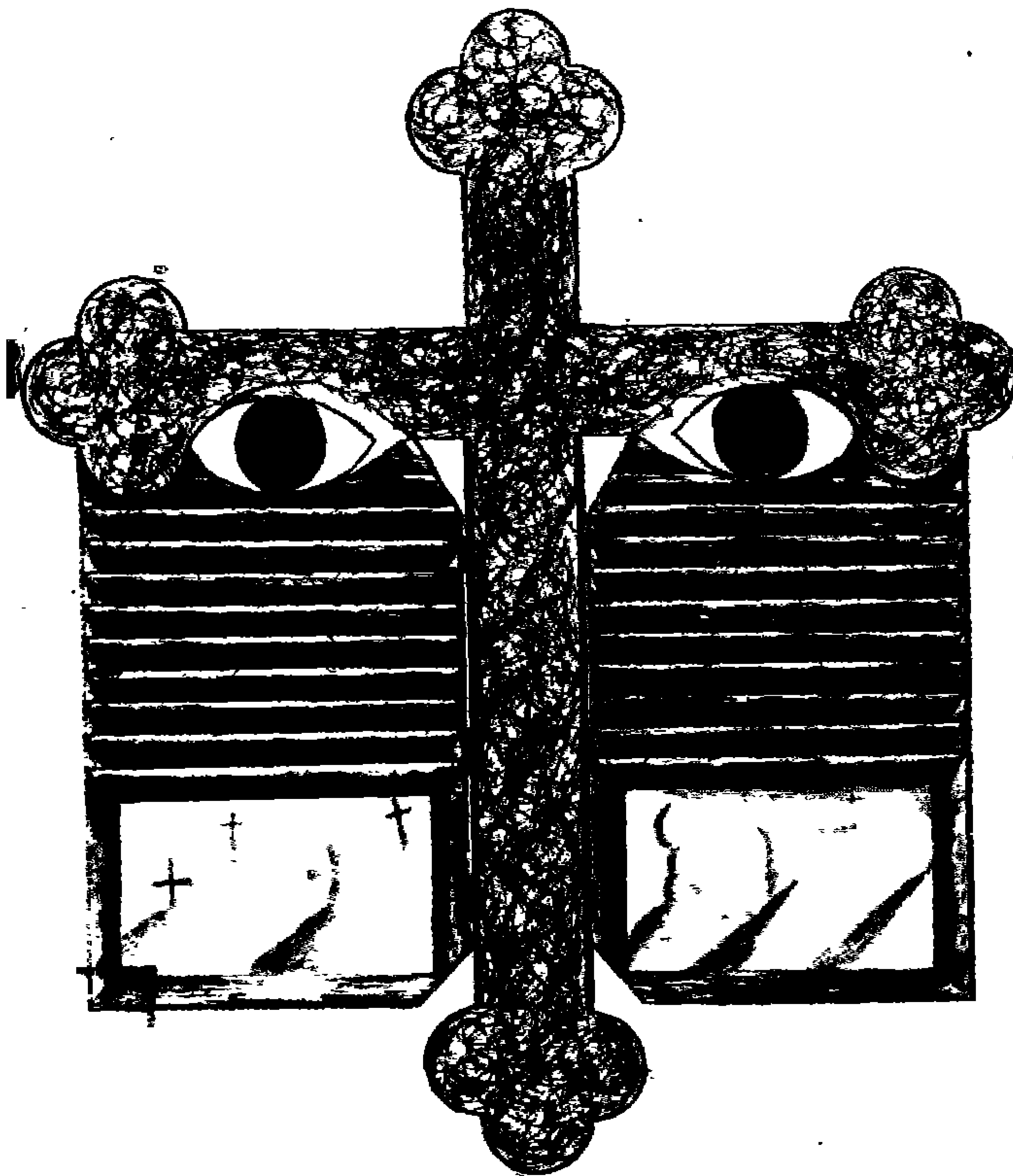


عبد اللطيف المناوى

تقديم : فهمى هويدى

الأقباط

الكنيسة أم الوطن
قصة البابا شنودة الثالث



عبد اللطيف المناوى

تقديم : فهمي هويدى

دار الشباب العربى للنشر و التوزيع و الطباعة

٣٢ شارع الدكتور محمد شاهين - العجوزة

ت : ٣٦٠٢٤٦٤

بسـم اللـه الرحمن الرحيـم

اهـداء

الى رولا .. ومروان .. و عمر

الى الحلـم ...

مقدمة بقلم فهمي هويدي

مقدمة

لم يكن هذا هو الحلم !!
الحلم بوطن يضم الجميع، ويعيشه الجميع ،يقوى بناء الوطن ،ويقوى به. هذا هو الحلم الذى يبدو انه بدا يضيع ادراج الرياح ،ولو لم نعمل بجد من اجل احيائه، فعلينا وعلى الوطن السلام .

بدا الوطن يتحول من كيان واحد الى جزر منعزلة ، وتاه الناس -او تفرقوا- بين هذه الجزر ،بدا الوطن يفقد مناعته ،فاصبح معرضا للاهتزاز عند اى اصابة، العديد من الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية و الاقتصادية فعلت ما فعلت، فاصبحنا على ما نحن عليه اليوم.

من اهم المظاهر التى يمكن ان نلحظها جميعا فى حياتنا اليوم ،هو تشتت الانتماء، واختلاف اولوياتنا، ولعل الصدام المتكرر بين اقباط مصر ومسلميها هو احد اهم علامات ما اقصده بنقص المناعة . وظل العلاج طوال السنوات الطويلة الماضية محصورا فى اطار التاكيد الاعلامى على وحدة عنصرى الامة واتباع الاساليب الامنية لمعالجة الموقف، والابتعاد عن الاسلوب الصالح للعلاج وهو مواجهة المشكلة بكافة ابعادها ،حتى لو كانت الحقائق مؤلمة، فالتهوين من حجم المشكلة ، والتعامل معها على انها مشاكل شخصية بين افراد وليست ظاهرة تستوجب التوقف هو اهم ما ميز اسلوب التعامل معها.

فى اطار مفهوم مواجهة المشكلة لمعالجتها بمنطق المصارحة بين الاطراف تاتى هذه المحاولة التى هى بين

ايديكم ، وقد كان المشروع فى البداية يهدف الى مناقشة موضوع العلاقة بين المسلمين و المسيحيين فى مصر ، الاانني عندما بدات فى تنفيذه ادركت اى حقل الغام بدات ادخل ،واكتشفت كم هو معقد وخطير ،وان التطرق اليه لن يكون بالسهولة التى كنت اتصورها ، فالعديد من الظواهر ينبغى التوقف عندها فى البداية لمحاولة فهمها ،هذا الفهم هو الاساس الصحيح -فى نظرى- لضمان دقة اتمام دراسة تتناول هذه العلاقة الحساسة و الهامة.

من هذا المنطلق ،وجدت ان معالجة قضية الانتماء القبطى وعلاقة الاقباط بالكنيسة من ناحية وبالوطن من ناحية اخرى ،وايضا علاقة الكنيسة بالنظام السياسى وخاصة خلال العشرين عاما الماضية يمكن ان يفسر جزءا من الظاهرة مما يساعد على الدخول فيها فيما بعد لمعالجتها ككل.

لا ادعى ان الكتاب قد نجح تماما فى ان يقدم كل ما اهدف اليه ،لكن الاكيد هو انه محاولة صادقة، التزمت فيها قدر الامكان الموضوعية.

مدين للعديدين بخروج هذا العمل ،على راسهم البابا شنوده الذى اتسع صدره لكل الاتهامات و التساؤلات وارجو ان يتسع صدره لما فى الكتاب ايضا، والاستاذ فهمى هويدى ،الذى لم يبخل بنصح او معلومة او راى وشرف هذا الكتاب بأن قدمه وقدمنى للقارىء.

ايضا اشكر كل الزملاء الذين قدموا لى الراى او العون الاستاذ حسن عيد الذى راجع نصوص هذا الكتاب لغويا .

ولوالدى ووالدتى كل الشكر و الإمتنان فقد غرسا فى حب القراءة و العمل . ولزوجتى التى كانت خير عون لى فى اعداد الكتاب .

عبد اللطيف المناوى

الحدث.. وظروفه
فهمي هويدى

تظل التمايزات الدينية و القومية و العرقية و السياسية من السمات البارزة للزمن الذى نعيشه .بعدما صارت "الخصوصية" قيمة تحتل مكان الصدارة فى خرائط القيم الاجتماعية الراهنة .ورغم ان ثورة السود فى لوس انجيلوس (٢ مايو ١٩٩٢)هى بمثابة اعلان عن انه حتى الدول المتقدمة -بل العظمى :- لم تنجح تماما فى حل مشكلة جماعاتها العرقية ،الا اننا ينبغى ان نقر بان المسالة اكثر حدة فى العالم الثالث .حيث باتت احدى الاشكاليات التى تضغط بشدة على مجتمعات ذلك العالم وتمثل احد أهم تحدياتها هى تلك التمايزات و الخصوصيات التى برزت فى العقد الاخير ،وكيفية اقامة نوع من الوفاق و التعايش السلمى بين اصحابها .وهى مفارقة جديرة بالملاحظة حقا ،انه فى حين رفرفت على العالم رايات الوفاق و التعايش بين معسكريه اللذين اختصما منذ الحرب العالمية الثانية ، فان ما امكن حسمه على المستوى الدولى -الاكبر- لايزال يستعصى حله على المستوى الوطنى ،الذى يفترض انه الاصغر و الاكثر محدودية وتواضعا .

عندما يقف المرء امام هذه الاشكالية ، ويطل عليها من "خصوصية" الزاوية الاسلامية ،فانه يجد نفسه على الفور وقد اتخذ منها موقفا سويا لاتشوبه حساسية من اى نوع فامثال تلك التمايزات و الخصوصيات لاتمثل مفاجاة او صدمة لوعى المسلم المدرك لحقيقة موقف التعاليم من القضية .فادراك المسلم تشكله التعاليم القرآنيه مبنيا على حقيقة ان الناس جميعا خلقوا "من نفس واحدة"

وان الله سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين ،ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكنه اراد ان يجعلهم شعوبا وقبائل ليتآلفوا فيما بينهم ويتعاونوا .. اى ان ثمة حكمة ارتآها الله سبحانه وتعالى بمشيئته تلك.

تتضافر نصوص عديدة ،قرآنية ونبوية ،لكى تحفر فى وعى المسلم قيمة شرعية الاخر مهما كان قدر ومدى الاختلاف معه، فى الدين او فى الفكر او فى العرق .فهو قبل هذا كله وبعده انسان له كرامته التى ينبغى ان تصان،اذ الانسان فى المفهوم الاسلامى الصحيح هو مخلوق الله المختار ،الامر الذى يختلف كلية عن اليهودية،التى تعتبر ابناءها هم شعب الله المختار.

***

من حق المرء ان يغتبط عندما يقف على ذلك الاصل،لكنه لا يستطيع ان يكتم دهشته وهو يرى الصورة كما انطبعت على صحائف الواقع.فشتان بين الاثنتين،حتى لا يكاد احد يصدق ان هذه الصورة من ذلك الاصل.الامر الذى يثير قضية حيوية اخرى.هى انه ليس بالتعاليم وحدها تنصلح احوال الناس ،ويحل بينهم السلام و الوئام.فالبذرة ايا كانت درجة جودتها ورقى سلالتها،لاتؤتى الثمرة المرجوة الا اذا غرست فى تربة خصبةومواتية ،ثم تعهدتها بالرعاية يد أهل الاختصاص و الخبرة .

ومن أسف ان تلك البديهية البسيطة تغيب عن كثيرين،ممن صاروا يقرنون بين التدين و التعصب مثلا،او يذهبون الى ان تقدم الظاهرة الاسلامية على اطلاقها من شأنه ان يهدر الاخر ويضيق عليه الخناق. هكذا دونما تحقق من صدق

البذرة او زيفها.ومن سلامة التربة او فسادها، ودونما نظر الى اوجه الكفاية و النقصان او الاستقامة . العوج فيمن يناط بهم شأن الرعاية،على افتراض ان هناك من ينهض بتلك الرعاية.

لقد علمتنا تجارب التاريخ ان تلك العناصر كلها تتألق وتتوهج فى ظروف المد ومناخ النهضة،يطفو الفكر الصحيح على السطح،وتمتلىء الارض بالخصوبة و العافية،وتتضافر السواعد والانفاس لكى تذود عن النبت الصاعد وتصد عنه مختلف الآفات و الغوائل.

فى اطوار الانحسار والانكسار يحدث العكس تماما،حيث يتسرب الخلل الى مختلف تلك الحلقات . ويصاب النسيج العام بالاهتراء و التفسخ .الامر الذى لاتسلم منه كافة خلايا جسم الامة. وهذا المناخ هو المناخ الذى تستيقظ فى ظله بدرجات متفاوتة ، كافة القيم السلبية التى تكدست فى الشقوق و الشروخ فى الجسم الكبير.

بوجه اخص فانه عندما ينكسر الوطن وتصاب اجنحته بالهزال و الضمور ،فان من بين النتائج التى تترتب على ذلك تسارع الاحتماء بالخلايا الاصغر،القبيلة او الطائفة او المذهب او الحزب .ودارس التاريخ،اذا ما دقق فى صورة بعض مراحله التى من ذلك القبيل فسوف يلاحظ على الفور ان مؤشرات تصاعد المرارات والحساسيات يمكن رصدها فى مختلف الاتجاهات ، حيث تسوء علاقات العرب بالعجم حينا،وعلاقات السنة بالشيعة فى حين اخر وعلاقات اتباع مذاهب السنة من شافعية ومالكية

وحنابلة فيما بين بعضهم البعض؛ في حين ثالثة، وعلاقات المسلمين بالمسيحيين في حين رابعة. من الثابت تاريخيا -مثلا- ان علاقات المسلمين بالمسيحيين شابتها عناصر التوتر والتعصب ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري وان ذلك التوتر امتد الى علاقة الحنابلة بغيرهم من اصحاب المذاهب الاسلامية الاخرى وان هذه التوترات وتلك اصابت الامن بالاختلال والاضطراب في بغداد، عاصمة الدولة العباسية، و"اصبحت ميدانا للفوضى و السلب والنهب وكلما ازدادت الحالة السياسية و الاقتصادية والثقافية سوءا، زادت البلية، حتى كان ذلك من اسباب خراب بغداد، وكان خرابها مقدمة لسقوطها" هذه شهادة اثبتها احد شيوخ اساتذة التاريخ الاسلامي في مصر، هو الدكتور حسين مؤنس، ضمن تعقيباته على كتاب جورجي زيدان "تاريخ التمدن الاسلامي" وهي شهادة تبرز المعنى الذي نريد التنبيه اليه هنا، حيث كانت سنوات الضعف والانحسار التي خيمت على العصر العباسي الثاني، هي المناخ الذي ظهرت فيه التصدعات التي ادت الى اشتباك المسلمين و المسيحيين، و اشتباك الحنابلة مع غيرهم من اتباع مذاهب اهل السنة.

***

ثمة عنصر اخر ينبغي ألايفوتنا التنبيه اليه في هذا السياق و هو يتمثل في الدور الذي تلعبه محاولات الاختراق في اذكاء الخصومات و العداوات بين الفئات المختلفة في المجتمع. وقد كانت ورقة العصبيات العرقية و الدينية، ومازالت هي اكثر ما يغري القوى الثالثة صاحبة المصلحة في اختراق الامة وتفتيتها.

منذ ظهر الاسلام وداب المنافسين و الكائدين له

والخائفين منه،هو الالحاح على اختراق قاعدته ،من الروم فى العصر النبوى ،الى الصليبيين فى العصر الوسيط،ومن بعدهم دول العالم الغربى فى العصر العثمانى الذى طبق نظام الملك،الى الفرنسيين ثم الانجليز فى مصر فى القرنين الثامن و التاسع عشر ،الى الامريكيين والاسرائيليين فى القرن العشرين.

امتدت محاولات الاختراق الى محاولة استمالة الاقليات العرقية ،وهو ما نلمسه الان من محاولة بعض القوى الغربية استمالة الزنوج فى جنوب السودان والبربر فى الجزائر، ومحاولة القوى الكبرى استخدام الورقة الكردية فى العراق وايران حاضرة فى الذاكرة ومعلومة لدى الكافة.

***

والامر كذلك فانه يصبح من قبيل التبسيط المخل ان نقرأ صفحات الاشتباك بين الجماعات الدينية والمذهبية والعرقية دون ان نمعن النظر فى سياقها الاجتماعى ،ودون ان نفتش جيدا عن ادوار واصابع مختلف القوى صاحبة المصلحة فى اثارة ذلك الاشتباك وتأجيج اسبابه وعناصره.ودون ان نتحرى تلك الجوانب ،فاننا سنقع حتما فى محظور التشخيص الغلط،الذى قد يورطنا فى الاقدام على العلاج الغلط ،وليس ذلك أسوأ ما فى الامر ،لان الاسوأ هو ان مثل ذلك التوجه سيصرفنا عن ادراك مكمن الداء،ومن شأن ذلك ان يبقى على المرض كما هو ،وان يوفر له ظروف التمكن و الاستفحال فى غفلة من الجميع .

ليست هذه دعوة الى تجاهل الوقائع واخلاء مسئولية الاطراف المباشرة بظن ان المسئولية تقع على الظروف فى

كل الاحوال ،فذلك تغليط لا نقره وتسويف لا يقبل به عدل فضلا عن عقل، انما دعوتنا تنصب اساسا على التنبيه الى ضرورة قراءة الحدث فى سياقه الاوسع السياسى والاجتماعى. والامر كذلك فانه يظل من المهم للغاية ان نحقق وقائع الحدث الى جانب رصد ظروفه وملابساته حتى يفهم على نحو صحيح ويجرى علاج اسبابه ومصادره فى الاتجاه الصحيح.

فى حدود علمى فان هذا الكتاب يمثل اوسع تحقيق اجرى حتى الان حول وقائع وجذور الازمة الحاصلة بين المسلمين والاقباط فى مصر ،والتى برزت على نحو ملحوظ فى المرحلة الساداتية، التى واكبت مختلف صور الخلل السياسى والاجتماعى التى يعرفها الجميع،حيث تزامن ظهور حركات التطرف الاسلامى- (التكفير والهجرة مثلا) مع مؤشرات التوتر الاسلامى المسيحى.

واذ يصور لنا الكتاب مساحة واسعة من حقيقة ما جرى مجيبا بشكل واف ومفصل عن السؤال :ماذا حدث ،فانه يضع قارئه عند اخر نقطة فى خريطة الاجابة ،ليسلمنا بعد ذلك الى نقطة اخرى تثار على بوابتها اسئلة اخرى عديدة ،فى مقدمتها السؤالان :لماذا؟ وما العمل ؟

هو جهد مقدر مافى ذلك شك، اجتمعت فيه وسائل البحث العلمى مع أدوات وخبرات التحقيق الصحفى. ولست أظن الكتاب اراد ان يغلق ملف القضية لاننى اعتبرانه فتح الملف بأكثر مما اغلقه ،واستدعى الى اهتمامنا امورا مثيرة للجدل، سواء فى موقف الرئيس إنور السادات او فى الحوار الواسع الذى أجراه المؤلف مع البابا شنودة وهو الحوار الذى احسبه يحتاج الى دراسة فى زاوية

تحليل مضمونه ومدى تعبيره عن شخصية وفكر قيادة الكنيسة المصرية حين برزت فى هذا الظرف التاريخى الدقيق. الذى تعاظمت فى ظله مؤشرات الاحياء الدينى لدى الجميع. الامر الذى حمل قيادة الكنيسة مسئولية خاصة ،على الصعيدين السياسى و الروحى.وخطاب البابا فى هذا الكتاب محمل باشارات واضحة على خوضه ذلك الغمار ، ومن ثم فقد بدا البابا طرفا مشتبكا مع السلطة على المستويين ، السلبى و الايجابىفى آن واحد.

شأن كل صورة ،ينبغى الايكون معيار الحكم عليها هو مدى جاذبية ما فيها من الوان،وانما المعيار الاصوب هو مدى الصدق فيها.من هذه الزاوية فربما كان اكثر ما يميز هذا الكتاب انه لم يعمد الى التلوين بقدر ما كان حريصا على تحرى الصدق والامانة.

لقد تحرجت فى البداية من كتابة هذا التقديم لان لى شهادة فى ثناياه اوردها مؤلفه الزميل و الصديق الاستاذ عبد اللطيف المناوى. لكننى بعدما قرأته لم اتردد فى ان اضيف شهادة ثانية تقديرا لما بذله من جهد . حيث كان الباحث هو الذى يدلى باقواله فى الشهادة الاولى، اما فى هذه الشهادة الثانيةفهى من قارىء لم يستطع ان يحبس انطباعاته .فمضى يعبر عنها على سجيته.

الفصل الاول

المسيحية و مصر

*المسيحية .. و مصر

عندما أصدر الملك هيردوس أوامره بقتل جميع الاطفال الذين بلغوا السنتين فما دونهما لم تجد السيدة مريم الا أن تحمل طفلها يسوع و تهرب به من وجه الاضطهاد الرومانى . وكانت الرحلة المبكرة للسيد المسيح الى مصر و برفقتهما يوسف النجار . و كانت مصر موطن اللجوء الاول للمسيح. كان لجوءا الى شعب مصر و قيمها و تقاليدها و ليس الى حكامها .

جاءت المسيحية الى مصر مبكرا على يد أحد ابنائها ، وهو القديس مرقص الذى ولد فى مكان ما بالصحراء الغربية و رحل الى فلسطين و تتلمذ على يد المسيح مباشرة . و عاد الى مصر بعد سنوات قليلة من صلب معلمه ليكتب الانجيل الذى يحمل اسمه . و تميل اغلب الكتابات الى أن مصر قد عرفت أول كنيسة فى التاريخ . و قد كانت غرفة فى بيت القديس مرقص والتى سرعان ما تطورت بعد دخول المصريين فى المسيحية .

واجه المسيحيون فى مصر العديد من موجات الاضطهاد فى العصر الرومانى خاصة على يد ديوكليتان (٢٤٥ - ٣١٣م) و الذى حضر الى مصر على راس حملة لضرب مسيحيى مصر بأعتبارهم راس الحية لهذا الدين الجديد و اتخذ المسيحيون المصريون من هذا التاريخ (٢٩ أغسطس عام ٢٨٤ م) بداية للتقويم القبطى والذى ما زال معروفا فى مصر حتى الآن باسم " تقويم الشهداء " وربطوا هذا التقويم بالشهور المصرية الفرعونية القديمة .

وفى ظل الاضطهاد الذى عاناه المسيحيون فى مصر قدمت الكنيسة المصرية اول اسهاماتها لكل الكنائس الاخرى

فانشأت نظام الرهبنة سواء الرهبنة الفردية أو رهبنة الاديرة فقد كان اللجوء للصحراء هربا بالعقيدة من الرومان و حماية للتراث. وكان القديس انطونيوس - ابن اسرة مسيحية غنية - هو أول من استجاب لقول المسيح اذهب وبع ما تملك واعطه للفقراء وفعل ذلك وذهب الى صحراء وادى النطرون وتبعه تلاميذ له . وانشأ بذلك نظام "الرهبنة المصرية" التى امتد نموذجها الى الغرب فالعالم كله. وعلى الرغم من اعتراف الامبراطور الرومانى بالمسيحية فى القرن الرابع الميلادى واصدار قانون التسامح الا أن الاضطهاد لم يتوقف وظل الرومان يقاتلون من أجل ارغام المصريين على قبول مذهبهم وكان الهدف دائما هو: اخضاع مصر أيا كانت هويتها. ووقفت مصر بابنائها ضد روما وبيزنطة سواء كانت الامبراطورية وثنية أو مسيحية.

فى عام ٣٢٦ م انتخب الانبا أثناسيوس بطريركا وكان عمره وقتها ٢٧ عاما فقط. يعد أثناسيوس أحد أعظم البطاركة فى تاريخ الكنيسة المصرية . اذ لعب دورا هاما فى وضع اصول تميز الكنيسة المصرية وفى تشكيل الخريطة الدينية والفكرية والسياسية للعالم المسيحى. ولهذا السبب طورد من قبل الامبراطور الرومانى مطاردة عنيفة . وعلى الرغم من أن "أثناسيوس" ظل على كرسي البطريركية ستا وأربعين سنة الا أنه قضى أكثر من عشرين عاما منها فى المنفى كان فى اثنائها يتنقل من ملجأ الى ملجأ هاربا من اضطهاد الامبراطور. كان ابناء الشعب المصرى يتسترون على تحركاته ولم تحدث خيانة واحدة رغم أن كثيرين من الذين حموه تعرضوا للموت بسبب ما فعلوه له.

كان أول صدام لاثناسيوس مع "السلطة" عندما اصبحت المسيحية دينا رسميا للامبراطورية وبدأت نشأة الارتباط بين الدين والدولة. وذلك اعتقادا من الامبراطور قسطنطين بأن ذلك كفيل بالفصل بين الدين والدولة. ويذكر د.وليم سليمان قلادة فى كتابه "الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية" نصا منسوبا الى اثناسيوس يخاطب فيه الامبراطور قائلا: "لاتقحم نفسك فى المسائل الكنسية ولا تصدر الينا أمرا بشأن هذه المسائل. لقد اعطاك الله المملكة وعهد الينا بأمور الكنيسة، وليس مسموحا لنا بأن نمارس حكما أرضيا وليس لك سلطان أن تقوم بعمل كنسى"

أصبح اسم اثناسيوس علما على الارثوذكسية التى أصبحت أكثر المذاهب تمسكا ومحافظة - الارثوذكسية تعنى المستقيمة والرأى الثابت- وبسبب التقاليد التى أرساها اثناسيوس عندما كان طرفا فى النقاش الحامى الذى احتدم فى العالم المسيحى حول طبيعة المسيح وجد البطريرك ديسكورس نفسه محروما بعد قرن من الزمان وقت انعقاد مؤتمر كالدونيا ٤٥١ م بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح. كانت معظم الكنائس واقعة تحت تأثير رجال الدين الذين ارتبطوا بالسلطة اما الكنيسة المصرية فقد تمسكت بموقفها وانفصلت بسبب ذلك

رفض الشعب المصرى هذا الحرمان ولم يعترف بغير ديسكورس بطريركا ولم يكن الامبراطور ثيودوسيوس على استعداد لقبول تحدى سلطته من احدى مستعمراته وبعث الى نائب الملك فى مصر يقول له : "اذا لم يوافق البطريرك المصرى على قرارات مجمع كالدونيا فليخرج من المدينة . واذا وافق نجعله بطريركا وحاكما فى نفس الوقت" وخرج الرجل ماشيا حافيا

رفض الشعب ايضا أوامر الامبراطور وحالوا بين نائب البطريرك "أبوليناروس" - الذى عين امبراطورا خلفا لديسكورس - وبين دخول كنيسة الاسكندرية ولم يتمكن من دخولها الا بمذبحة قام بها جنود الامبراطور على ابواب الكنيسة. وعندما دخلها أدار الشعب له ظهره ورفض الاعتراف به أو الخضوع لسلطاته الدينية

تبع ذلك انقسام فى مصر . سكانها من بقايا الاغريق انحازوا الى كنيسة بيزنطه تنفيذا لتعليمات الامبراطور و المواطنون المصريون رفضوا تلك التعليمات واصبح الشقاق بين الكنيسة المصرية والكنيستين اليونانية واللاتينية كاملا فى ذلك الوقت وظل البطريرك الملكى لبعض الوقت جالسا على كرسى الاسكندرية يتمتع بالسلطة الرسمية أما البطريرك المصرى فقد كان يتنقل بين اديرة الصحراء يحمل معه السلطة الفعلية للكرسى البطريركى. والتصق ببطريرك الشعب المصرى منذ ذلك الوقت وصف "القبطى" نسبة الى اسم مصر القديم (ثلآلافلا×آلـ) وفى ٦٢٣م جلس على الكرسى البابوى الآنبا بنيامين ، وتزامن هذا مع غزو الفرس لمصر وترك الفرس الكنيسة و المواطنين فى شأنهم ولم يحدث صدام -بالتالى- بين الشعب و الفرس وتحفظت الكنيسة من جانبها بالابتعاد عن سلطات الغزو . ولكن، وبعد عشر سنوات من الحكم الفارسى عاد امبراطور بيزنطة (هرقل فى ذلك الوقت) فغزا مصر وطرد الفرس وحاول استغلال النصر فى اعادة توحيد الكنيستين المصرية والبيزنطية مرة أخرى، ولم تفلح المحاولة رغم الحلول الوسط التى طرحها هرقل ، ورغم عشر سنوات جديدة من الاضطهاد . فقرر هرقل- الذى لم يع الدرس- تعيين بطريرك جديد يقوم فى نفس الوقت باعمال نائب الملك ، واصبح

بنيامين كاثناسيوس و ديسكوريس منفيا مطاردا لاجئا في بلده محتميا بفلاحي مصر وبسطائها. وظل الشعب كله على تمسكه به ورفضه للبطريرك نائب الملك القابع في الاسكندرية . وهكذا بدت مصر وشعبها ارضا صالحة لاستقبال من يخلصها من مسلسل الاضطهاد المستمر والمتصاعد. من خلال تفاعل ثنائي الاضطهاد والمقاومة خرجت الكنيسة القبطية المصرية بسماتها المتميزة وضربت بجذورها في عمق تراث الشعب المصري ايضا من خلال الدور الذي اصرت الكنيسة المصرية على لعبه باتت تشكل احد قطبي المسيحية في العالم وقدمت للمسيحيين الرهبنة. وارتبطت دوما باقدار مصر

الفتح

"اذهبوا بعون الله فازرعوا الارض وكلوا من خيراتها ولبنها وقطعانها و صيدها و اطعموا جيادكم وحافظوا عليها فهى عدتكم ضد العدو وبها تنتصرون وتغنمون ، واحفظوا عليها عهد جيرانكم الاقباط . ان أمير المؤمنين عمر قال لى انه سمع رسول الله يقول ان الله سيفتح عليكم مصر بعدى فاحفظوا عهد اقباطها فهم اهلكم وهم فى حمايتكم "كان هذا جزءا من خطبة الجمعة الحزينة التى القاها عمرو بن العاص عام ٦٤٤م.

وصلت جيوش المسلمين فى سبتمبر ٦٣٥ م الى دمشق وفى يناير ٦٣٨ دخل الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، وحين دخل بيت المقدس فاتحا أجاب السكان المسيحيين الى ما اشترطوه من ألا يساكنهم يهودى ، وتحين صلاة العصر والخليفة داخل كنيسة القيامة . فيأبى ان يصلى او يصلي جنوده فيها . كي لا يتخذها المسلمون من بعده ذريعة للمطالبة بها و اتخاذها مسجدا. وهكذا أم المصلين ومعه جنوده خارج الكنيسة.

قبل ان يصل عمرو بن العاص بقوته الصغيرة - حوالي اربعة الاف فارس - الي مصر بعد حوالي عام من هذا التاريخ كانت قصة عمر بن الخطاب و كنيسة القيامة قد وصلت لاسماع المصريين الذين قابلوها بارتياح . و يجمع كل المؤرخين علي ان اقباط مصر استقبلوا الفاتحين العرب باعتبارهم مخلصين لهم من طغيان كانوا يريدون التحرر من اغلاله . فقد كانت مصر و شعبها مهيأين تماما لاستقبال ذلك المخلص . ايضا لم يكن العرب

غرباء بالنسبة لكثير من المصريين . فقد استقرت قبائل عربية في الصحاري المحيطة بوادي النيل و اختلطت بالمصريين و تعاملت معهم. كذلك سبقت المسلمين طبائعهم فعلى الرغم من انهم شديدوالايمان بدينهم وتعاليمه الا انهم لم يكونوا كغيرهم من الغزاة يحملون السيف و لا شيء غيره.

و قد وصف المؤرخ القبطي ساويرس ابن المقفع دخول عمرو بن العاص مصر و كان بطريرك الاقباط بنيامين مختفيا من وطأة الاضطهاد البيزنطي يقول ساويرس "كتب عمرو الى عمال مصر كتابا يقول فيه : الموضع الذي فيه بنيامين بطريرك النصارى له العهد و الامان و السلامه من الله فليحضر آمنا مطمئنا و يدير حال بيعته وسياسة طائفته" .. ثم يصف لقاء الرجلين قائلا "فلما رآه عمرو - أى - بنيامين - اكرمه" وقال لاصحابه : " ان فى جميع الكور التي ملكناها الي الان ما رايت رجلا يشبه هذا . ثم التفت عمرو اليه وقال له : جميع بيعك ورجالك اضبطهم و دبر احوالهم".

هكذا كان اللقاء الاول بين الاسلام و المسيحية علي ارض مصر.

***

رغم ان قوات عمرو بن العاص التى فتحت مصر لم تتجاوز الاربعة الاف فارس الا ان دخول المصريين في الاسلام كان كبيرا الي حد ملفت للنظر و لم يستغرق تعريب مصر وقتا طويلا . ففي القرن الثامن - اى بعد

حوالى مائة عام - اصبحت اللغة العربية لغة رسمية للدولة و لم ينته القرن العاشر الميلادي الا و كانت اللغة العربية قد اصبحت لغة عامة مصر و يقدم محمد حسنين هيكل في كتابه "خريف الغضب" ملاحظة هامة تعليقا علي ذلك قائلا : "مما يلفت النظر حقيقة أن الحكم والحضارة الرومانية و الهلنستية حكمت مصر اكثر من ألف سنة غير انها لم تستطع ان تنفذ الي صميم الشعب المصري ، بينما لم تكد تمضي اكثر من أربعة قرون بعد الفتح العربي حتي اصبحت مصر عربية في كل شئ."

كان اختلاف المذهب في البلاد المسيحية في ذلك الوقت جريمة. بل و كان من الممكن جدا أن يكون سببا كافيا لاشعال الحروب. و لذلك نلاحظ في تلك الفترة أن اوروبا كانت كلها مسيحية بينما تواجدت الديانات الاخرى جنبا الى جنب في البلاد الاسلامية . وينقل فهمي هويدى في كتابه "مواطنون لاذميون" شهادة لادمون رباط في بحثه "المسيحيون في الشرق قبل الاسلام " و فيها يقول : " للمرة الاولى في التاريخ انطلقت دولة ، هي دينية في مبدئها ، و دينية فى سبب وجودها و دينية في هدفها ، الا وهو نشر الاسلام عن طريق الجهاد باشكاله المختلفة من عسكرية و تبشيرية ، الي الاقرار في الوقت ذاته بان من حق الشعوب الخاضعة لسلطانها ان تحافظ علي معتقداتها و تقاليدها و طرز حياتها و ذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد باكراه الرعايا علي اعتناق دين ملوكهم بل و حتي علي الانتماء الي الشكل الخاص الذي يرتديه هذا الدين ، كما كان الامر عليه في المملكتين العظميين اللتين كان يتألف منهما العالم القديم ، وهو المبدا بل القاعدة السياسية القائلة (أن لكل مملكة دينها ، مما يؤدي لان يصبح الشعب علي دين الملك)

هذه القاعدة لم تندثر في البلاد الغربية الا بفضل الثورة الامريكية و الثورة الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر " كان لابد اذن لهذه السياسة الاسلامية المنحدرة عن القرآن من ان تسفر عنها نتيجتان حاسمتان ما لبثت آثارهما ماثلة في الشعوب العربية ، و هما قيام الطوائف المسيحية علي اساس الطوائف من جهة ، و دخول سكان الاقطار التي فتحها العرب في دين الاسلام من جهة اخري .

فتلك الجماهير الكثيفة ، التى تشكل اغلبية اهالى سوريا و مصر و العراق انما كانت تدين بالمسيحية وقد اعتنقت الاسلام بافواج متلاحقة ، منذ القرن الاول من الهجرة بملء حريتها ، فى حين ان من بقى من هؤلاء النصارى موزعين الى طوائفهم المعروفة بتسمياتها المختلفة ، انما هم شهود عدل ، عبر التاريخ ، ليس على سماحة الاسلام فحسب ، وهو تعبير لايفى بالواقع لان وجودهم كاهل ذمة فى الماضى ، انما كان مبنيا على قاعدة شرعية و ليس على شعور من طبيعته ان يتضاعف او ان يضعف - و انما على انسانية هذا الدين العربى الذى جاء فى القرآن ، وهو الدين الذى اقر لغير المسلمين ليس فقط بحقوقهم الفردية و الجماعية الكاملة ، بل وايضا بالمواطنية الشاملة فى عصرنا الحاضر ، الذى زال فيه نظام الذمة ، لكى يحل محله نظام الحريات العامة ، المنطوية لزاما على مبدأ المساواة التامة فى المواطنية ، وعلى الرغم من التراجع العددى للاقباط فى مصر امام التدفق على الدين الجديد الا ان العلاقة بين المسلمين - سواء الوافدون او الجدد -و بين الاقباط ظلت متميزة ومتماسكة -بشكل عام - وينقل فهمى هويدى

عن مصطفى الرفاعى فى كتابه "من روائع حضارتنا" رواية المقريزى فى خططه عندما احتفل الناس فى عهد الاخشيديين احتفالا كبيرا بعيد الغطاس ووصف احتفال عام ٣٣٠ هـ حيث جلس محمد بن طفج الاخشيدى بقصره المختار فى جزيرة المنيل وقد اسرج حوله ألف قنديل وجاراه الشعب فأوقد المشاعل و القناديل و الشموع وزخرت القوارب بآلاف من النصارى و المسلمين ولم يبق من كثرة الناس موضع لقدم على اسطح الدور وشواطىء النهر ولبس الجميع احسن ما عندهم من الثياب وابهجها واخرجوا الكثير من المآكل والمشرب ووضعوهما فى أوان من الفضة و الذهب ، وكانت ليلة لم تغلق فيها الدروب وغطس معظم الناس اعتقادا منهم أن الاستحمام ليلة الغطاس أمان من المرض وابراء من الداء."

وقد حكمت مصر بحاكم كان يتم تعيينه فى البداية من الخلفاء الراشدين بعد الفتح الاسلامى وحتى عام ٦٦١م ثم عن طريق الخلفاء الامويين حتى عام ٧٥٠ م ثم بواسطة الخلفاء العباسيين بعد ذلك، ثم الخلفاء الفاطميين الذين اقاموا نظام حكم مباشر لحوالى قرنين من الزمان (٩٦٩ -١١٦٩ م).

وقد وجد الاقباط لانفسهم اماكن متميزة داخل بلاط الخلفاء بشكل شبه دائم وشغل العديد منهم مناصب عليا فى الدولة ،وكانت هناك فترات فى التاريخ الاسلامى شهدت تزايدا ملحوظا لنفوذ غير المسلمين -الاقباط على وجه الخصوص- فى مواقع القيادة والتأثير .

ويعتقد د. مصطفى الفقى فى دراسته حول الاقباط فى

السياسة المصرية بأن معاملة أهل الذمة فى مصر -قبل الفاطميين- قد خضعت للتعليمات السياسية والاقتصادية التى مرت بها الدولة .وكانت معاملة بعض الحكام للاقليات خشنة و قاسية الى أن حدثت التغيرات الواضحة تحت حكم الفاطميين الشيعة، لانهم كانوا- الى حد بعيد مستقلين عن الدولة السنية فى بغداد، حيث نشأت فيما بينهما علاقة منافسة سياسية و دينية ، ولم يكن فى امكان الفاطميين -طبقا لذلك- الاعتماد على تأييد المسلمين السنة فيمصر مما يفسر النفوذ المتزايد للعناصر غير.المسلمة فى العصر الفاطمى.

عين الحكام الفاطميون عددا من غير المسلمين لتولى مناصب هامة فى الدولة ومستشارين ووزراء ، وكان لكل حاكم فاطمى سياسته الخاصة فى التعامل مع الاقليات . فلم يخل التاريخ الاسلامى من صفحات ليست على نفس قدر التسامح والانسانية اللتين هما عماده فى علاقته بالاديان الاخرى ،فقد تعرض بعض غير المسلمين خلال تلك الفترة الطويلة لما يخالف مبادىء الاسلام واحكامه وواجههم الاعتداء من جانب بعض الافراد المسلمين أو بعض اصحاب السلطة منهم ولكن مثل هذا الظلم أيضا كثيرا ما وقع على المسلمين انفسهم من قبل حكامهم.

عندما ظهر الصليبيون فى المنطقة بعد خمسمائة عام من الفتح العربى لم يظهر الاقباط الحماس للاوربيين ولم يظهروا قدرا من التعاطف أو التعاون معهم بل انهم على العكس من ذلك اعتبروا هزيمة الصليبيين عقابا من الرب بسبب هرطقة الكنيسة الغربية ورفضوا ادعاء الصليبيين بأنهم انما كانوا يحاولون حماية الاقليات المسيحية فى

الشرق والاقباط من بينهم ،ولم يسمح الصليبيون للاقباط -كما لم يسمحوا للمسلمين- بزيارة القدس عندما كانت المدينة فى أيديهم ،وكان وضع الاقباط- اثناء الحرب الصليبية- وضعا حرجا بسبب الخاصية الدينية للحرب والاشتباه فى الولاء والشكوك التى سادت الدولة الاسلامية تجاه الاقليات فى تلك الفترة ،الا انهم اكدوا تمسكهم وارتباطهم بوطنهم واستقلاله ،وقد خلفت هذه الحروب الصليبية من ورائها حساسية تاريخية بين الاسلام والمسيحية.

لم تشهد الفترة التالية للحروب الصليبية طوال القرون الستة التالية احداثا هامة فى وضع الاقباط فيما عدا سياسة العزلة التى فرضها عدد من الحكام على الاقباط وكان ذلك رد فعل فيما يبدو لذلك الاثر الذى خلفته الحروب الصليبية فى النفوس ، واقتصر نشاط الاقباط فى تلك الفترة -حكم المماليك - على مجالات جمع الضرائب والانشطة المالية واعمال الحسابات بسبب شهرتهم الخاصة فى المهام المالية وبعض المناصب التنفيذية.

فى يوليو ١٧٩٨ نزل نابليون على شواطىء مصر ، وقد تميز موقف الاقباط من الحملة برد فعل متحفظ تجاه سياسة نابليون ، الا انه عندما قرر نابليون أن يبنى هيكلا لحكومة محلية لم يلبث أن وجد نفسه يستعين بالاقباط فى الوظائف ذات الطبيعة المالية والحسابية مثله فى ذلك مثل حكام مصر وأمرائها طوال الحقب الماضية فقد كان اقباط مصر مستودع اسرار شئونها الادارية ، فقام بتعيين المعلم جرجس الجوهرى- وكان اكبر موظف قبطى فى جهاز الحكم المملوكى - مفتشا

اداريا عاما لمصر وطلب اليه أن يضع على الورق قواعد للوائح المتبعة فى مسألة الجمارك و الرى كخطوة أولى.

على أن هناك حادثا هاما وقع أثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر اثار التحفظ ، يتمثل هذا فى التعاون العسكرى بين بعض الاقباط و الفرنسيين و الذى كان من خلال ذلك الرجل الذى اشتهر باسم الجنرال يعقوب الذى شكل ما أطلق عليه "الفيلق القبطى" ضم هذا الفيلق مجموعة من الشباب القبطى بقيادة "يعقوب" واتخذوا لانفسهم زيا عسكريا مماثلا للزى العسكرى الفرنسى، ووضعوا انفسهم فى خدمة الغزاة ، ولقد اصبح الجنرال يعقوب فيما بعد قائدا مساعدا للجنرال "ديزييه" على رأس القوة التى طاردت "مراد بك" الى الصعيد.

على أنه ينبغى الا نذكر هذا الحادث دون الاشارة الى أن معظم الاقباط عارضوا سياسة الجنرال يعقوب ، بل ان بطريرك الاقباط فى ذلك الوقت رضى عن دور المعلم جرجس الجوهرى ولكنه اعلن معارضته للدور العسكرى الذى يقوم به يعقوب، ووصل الخلاف بين البطريرك ويعقوب الي درجة ان حاول الاخير ذات مرة ان يقتحم مقر البطريركية ممتطيا جواده، شاهرا سيفه، و لم يستطع يعقوب أن يظل بمصر بينما الفرنسيون ينسحبون منها ، فانسحب معهم وبصحبته عدد من أفراد لوائه و تقول بعض الروايات انه خرج من شاطىء مصر و لم يصل لشاطيء اخر حيث مات على الباخرة التي كانت تقله الي فرنسا.

علي الرغم من الشرخ الذي تركته الحملة الفرنسية من ورائها ، الا انه مع مجيئها و مجىء القرن التاسع عشر

بداءت مصر مرحلة الانتقال من اوضاع القرون الوسطي في الفكر و السياسة الى بداية دولة عصرية في مجال الصناعة و الزراعة و التعليم بحيث يمكن اعتبار تلك الفترة بداية خلق الدولة الحديثة ومولد القومية المصرية .

"في البدء كانت الدولة "

هكذا تحدث طارق البشرى عن محمد على في كتابه عن المسلمين و الاقباط و الدولة المصرية هي المؤسسة القومية التي قام على اكتافها بناء الجامعة السياسية المصرية ، و كانت حتي الثورة العرابية هى التنظيم الاوحد الذى رعى هذه الجامعة وعني بها ، فالتنظيم " المصرى " كان سابقا على الوعي بالمصرية ، كما ان هذا التنظيم دفع اليه مشروع سياسى كبير جرى علي يد محمد علي و محمد علي بناء و مصلح عظيم انعطف علي يديه التاريخ المصري الحديث الي حيث يجري علي دربه الي اليوم ، و بقدر ما حاول محمد علي الاعتماد علي العنصر المصري في مشروعات و خطط دولته من اجل خلق الدولة العصرية بقدر ما تاثرت سياسته تجاه الاقباط بصورة متوازية .

ابقى محمد علي للاقباط دورهم التقليدى في ادارة شئون المالية العامة للدولة لما اشتهروا به من تخصص في هذا الامر و لم يفعل بذلك شيئا مختلفا في هذا الشان عمن سبقوه لحكم مصر . كان الاقباط يكونون وقتها نحو مائة و ستين الفا من المصريين البالغ عددهم وقتئذ حوالي ثلاثة ملايين نسمة و قد زاد نفوذ الاقباط في عهد

محمد علي بحكم زيادة نفوذ الدولة و اضطلاعها بالمسئوليات الجسام في بناء مشروعات الوالي الاقتصاديه .

و قد ظهر في تقرير أرسل به "جون بوزنج" المبعوث الانجليزي الي " بلمر سنون " وزير الخارجية البريطانى فى ١٨٣٧م مدى الوفاق و التقارب الذى كان يعيش فيه الاقباط و المسلمون فى ذلك الوقت يقول التقرير " ان ثمة شيئا من التعاطف بين القبط و ابناء العرب - يقصد المسلمين - لعله نتيجة ما يقاسونه جميعا من آلام فضلا عما يتحلون به من صفات حسن المعاشرة وحب السلام و الفطنة و الذكاء، ولا يكاد يوجد بينهم وبين النازحين من الاوربيين اى اختلاط، ولا يعرف عن عاداتهم المنزلية الا القليل شانهم فى ذلك شان المسلمين، فالحجاب مضروب على نسائهم كما هو مضروب على نساء المسلمين".

على ان الاقباط فى هذه الفترة لم يظهر ان احدا منهم جند فى الجيش ضمن من شملهم التجنيد الاجبارى، وذلك على الرغم من ان المصريين شكلوا قواعد الجيش كلها نحو ٣٧٦ الف جندى عام ١٨٣٩م لم يكن يؤذن لهم بتولى وظائف الضباط الا لقلة منهم وحتى رتبة اليوزباشي- ولكن يلاحظ ايضا فى هذا الشان انه و ان لم يكن هناك قبط فى الجيش الا ان تنظيم محمد على لجهاز الدولة لم يفصل فصلا كاملا بين الخدمة المدنية و الخدمة العسكرية انما جاء نظامه على نمط بناء مؤسسة واحدة مدنية عسكرية وطبع جميع الوظائف المدنية بالطابع العسكرى. وقد لاحظ" جون بوزنج " فى تقريره الذى سبقت الاشارة اليه ان التسامح قد خطا خطوات فسيحة فى

السنوات الاخيرة وأن الفوارق بين المسلمين والمسيحيين آخذة فى الاختفاء ، وأن المسيحيين يرقون الى أرفع المناصب فى الدولة ، ولا يوجد من يتعرض لاقل مضايقة بسبب عقيدته الدينية ، وذكر فى موضع اخر من تقريره "اذا ظلت الامور تجرى على هذه السنن فستنقطع هجرة الترك بعد سنوات قليلة انقطاعا يكاد يكون تاما وتؤول مقاليد السلطة الى الوطنيين وحدهم مسلمين كانوا أو مسيحيين" عندما تولى سعيد باشا السلطة فى مصر كرس الاعتماد على العنصر المصرى وزاد من فرص توليهم مناصب فى الحكومة و الترقى فى الجيش ، وكان يرغب فى الحد من المشاركة التركية فى جميع المجالات ، وازاح-فى النهاية- العقبة الاخيرة لتوحيد المجتمع المصرى وتحقيق تكامله، عندما قرر السماح للاقباط بالخدمة العسكرية فى الجيش المصرى، والغى -فى الوقت نفسه- فى سنة ١٨٥٥م ضريبة "الجزية" على غير المسلمين. وكان منطقه فى ذلك أن على الاقباط أن يحملوا السلاح الى جانب المسلمين فتكون عليهم ذات الواجبات ليتمتعوا بذات الحقوق، وبذلك ألغى آخر علامات التفرقة بالغاء الجزية. ويقال ان الاقباط قابلوا قرار تجنيد ابنائهم بروح معارضة وأن البطريرك وسط الانجليز ليضغطوا على الوالى ليعفيهم من ذلك. الا أنه ينبغى ملاحظة أن غالبية المصريين فى ذلك الوقت كانوا راغبين عن التجنيد عاملين على الفرار منه، فالحاق الفلاح الشاب بالجيش كان يعنى فراقا لاسرته وقريته قد لا يكون بعده لقاء قريب. من ناحية اخرى فان مؤرخى التاريخ القبطى ينكرون صحة معارضة البطريرك كيرلس الرابع لتجنيد الاقباط، اذ كان بطريركا وطنيا متحمسا لمصريته ، وانه لما اشيع عنه طلب اعفاء القبط من الخدمة العسكرية

صرح علانية "يقول البعض أنى طلبت الى الباشا، أن يعفى اولادنا القبط من الخدمة العسكرية، فحاشا لله أن اكون جبانا بهذا المقدار، لا اعرف للوطن قيمة، أو افترى على اعز ابناء الوطن بتجريدهم من محبة اوطانهم، وعدم الميل لخدمته حق الخدمة والمدافعة عنه، فليس هذا ماطلبت ولا ما اطلبه".

بين عامى ١٨٥٤ و ١٨٦١ كان الجالس على الكرسى البطريركى كيرلس الرابع البطريرك العاشر بعد المائة وكان قد ترهبن فى دير الانبا انطونيوس بالصحراء الشرقية وكان معروفا بشغفه بالقراءة، واطلق عليه لقب "أبو الاصلاح" وقد ترافق وجوده مع قيام الاقباط باعادة تشكيل منظماتهم وهيئاتهم وتحسين أحوالهم بانشاء المدارس الحديثة، وكان ذلك نتيجة لمشروع اصلاح الطائفة القبطية الذى ارتبط بكيرلس الرابع. وانشأ كيرلس الرابع مدرسة مجاورة للكاتدرائية، وقد كان الاقباط حتى ذلك الوقت يتلقون تعليمهم وفقا لنظام تعليم بدائى يقوم على المدارس الريفية الصغيرة المشابهة للكتاتيب، وانشأ مدرسة ثانية فى" حارة السقايين و تخرج فى هاتين المدرستين الكثيرون ممن لعبوا ادوارا هامة فى المجتمع القبطى، من بينهم بطرس غالى رئيس الوزراء، وميخائيل عبد السيد مؤسس الصحيفة القبطية "الوطن" و درس فيهما ايضا عبد الخالق ثروت و حسين رشدى ممن تولوا رئاسة الوزراء فيما بعد. كذلك انشأ كيرلس الرابع اول مدارس للفتيات القبطيات.

استشعر كيرلس الرابع الخطر الذى يتهدد الكنيسة من

جراء التبشير الغربى بالمسيحية ، وهو التبشير الغربى الذى اخفق فى تحويل المسلمين عن دينهم فالتفت الى الاقباط ليحولهم عن مذهبهم الارثوذكسى. ويأتى وقوف الكنيسة القبطية المصرية فى وجه حركات التبشير متسقا مع طبيعة الكنيسة ، ورد فعل طبيعيا ومتوافقا مع التاريخ الطويل للكنيسة المصرية فى مواجهة الكنائس الاخرى ،وتأصيلا لتراثها الذى بذلت فى سبيله الكثير على مر العصور السابقة.

ويعود بدء تصاعد حركة التبشير فى مصر الى القرن السابع عشر عندما وفد الى مصر كثير من التجار الفرنج، وفى أواخر هذا القرن ارسل البابا فى روما جماعة من الرهبان الكاثوليك للتبشير بين المسلمين ويبدو انهم فشلوا فوجهوا نشاطهم لبث المذهب الكاثوليكى بين الاقباط، واستوطن بعضهم مدن الصعيد وتبعهم عدد قليل من القبط و نشأ بذلك انقسام مذهبى.

ولكن الكنيسة فى ذلك الوقت تنبهت لهذا وحشدت جهودها للتصدى لهذه الحملة التى شنتها الارساليات الكاثوليكية ويذكر هيكل فى كتابه " خريف الغضب" نقلا عن كتاب ريتا هوج- ابنة المبشر الامريكى المشهور جون هوج- حيث تقول أن والدها حاول أن يثنى كيرلس الرابع عن حظره على نشاط الارساليات التبشيرية ، لكن البطريرك المصرى رفض مجرد المناقشة فى الامر بحسم قاطع و لمواجهة هذا التحدى الوافد شرع كيرلس الرابع فى تحديث الكنيسة. وكانت المطبعة هى أول مظاهر الحداثة ، فاشترى واحدة ، ما ان وصلت حتى استقبلها رجال الكنيسة بتعليمات منه استقبالا رسميا وهكذا فان القسس و الشمامسة قاموا

بزف الصناديق التى تحوى قطع المطبعة فى موكب كنسى الى المبنى الذى اعد لها ، وينقل د. غالى شكرى فى "الاقباط فى وطن متغير" عن محمد فؤاد شكرى فى كتابه "مصر والسودان" ان كيرلس الرابع قال وقتها "لو كنت حاضرا لرقصت امامها كما رقص داود النبى امام تابوت الرب"

كان اهم ارساليتين بروستانتيتين وفدتا الى مصر فى القرن التاسع عشر، وهكذا اضيف الى نشاط الكاثوليك نشاط البروتستانت، وقد انتشر التعليم الاجنبى على ايدى الارساليات الاجنبية ، حيث انشأت مدارس خاصة وغلب على هيئات التدريس فيها الطابع الدينى واتخذوا التعليم المجانى وسيلة لجذب الفقراء من تلاميذ الاقباط وهكذا، فلم يكن وقوف الكنيسة المصرية ضد النشاط التبشيرى محض رفض له. بل تعدى ذلك الى ان يكون عنصرا فى حث الكنيسة على تشجيع الاستفادة من العلوم الحديثة.

اثرت رياح التغيير القادمة من الغرب على الكنيسة المصرية كما اثرت على مصر كلها ، وبدا المواطن القبطى يشعر بأن امور الكنيسة تعنيه، وكان من بين الاراء الجريئة لكيرلس الرابع أن يكون لكل ابرشية مجلس يتولى امورها يضم فرعين : فرعا لشئون الكنيسة يضم رجال الدين ، وفرعا للشئون المدنية يضم مواطنين عاديين، ولقد نظم هذا الفرع الاخير فيما بعد بحيث يجرى انتخاب اعضائه كل خمس سنوات. وتطور ليصبح المجلس الملى وصدر بذلك امر من الخديو اسماعيل وهكذا ولد أول مجلس ملى للاقباط فى فبراير ١٨٧٤م.

بعد تسعة اشهر من هذا التاريخ انتخب الراهب يوحنا الناسخ بطريركا باسم "كيرلس الخامس" وكانت علاقة البطريرك الجديد بالمدنيين فى المجلس الملى طيبة فى الفترة الاولى من توليه ولكنها سرعان ما توترت واحتدمت المعركة بينهما لان البطريرك راح يقاوم تدخل المجالس الملية فيما اعتبره اختصاصا مطلقا للكنيسة وبالتالى تحديا غير شرعى لسلطته و فى الوقت نفسه رأى المدنيون اعضاء المجالس الملية أن الاوقاف القبطية والمصالح المتصلة بها كانت اكبر من أن تترك تحت السيطرة الكاملة لراهب واحد، واصدر كيرلس الخامس قرارا فى مايو ١٨٨٢ بتحديد العلاقة بين المجلس و الكنيسة ، وفى منتصف ١٨٩١ طلب بعض أعيان الاقباط من البابا تجديد تشكيل المجلس و احياءه فرفض، واجتمع المجمع المقدس (الذى يتكون من كبار رجال الدين "الاكليروس") واصدر بيانا يقرر فيه أن المجلس الملى "يسلب حقوق الكنيسة" وقام البطريرك بتسليم البيان الى الخديو توفيق شخصيا.

كان بطرس غالى باشا قد اصبح رئيسا للمجلس الملى العام، وقد حاول أن يحل الخلاف عندما طلب الى الخديو أن يتدخل فى الامر ، وفى الوقت نفسه تكونت جمعية للتوفيق بين الطرفين أطلق عليها "جمعية التوفيق القبطية" ولم تنجح كل جهود التوفيق وفى ١٨٩٢ لجأ بطرس غالى باشا ومعه اغلبية من المجلس الملى العام الى خديو مصر الشاب فى ذلك الوقت عباس حلمى وناشده اصدار اوامره باعادة تشكيل المجلس، وصدرت الاوامر وجرت الانتخابات فى حراسة الشرطة ، وكان فى مقدمة الناجحين بطرس غالى و يوسف وهبه ، ولم يترأس البابا المجلس الجديد بل شن عليه هجوما شديدا فى الكنائس و الصحف، وفى يوليو ١٨٩٢ اجتمع مجلس النظار "الوزراء" برئاسة الخديو عباس حلمى وقرر اعفاء البابا من الاعمال الادارية، ورفض بيان المجمع المقدس الذى ينفى شرعية المجلس الملى ، وتقرر تعيين أحد الاساقفة -الانبا اثناسيوس من دير صنبو- قائما بأعمال البطريرك لكن البطريرك كان اسرع فجمع المجمع المقدس على الفور وقرر حرمانه، وبينما كان اثناسيوس يركب القطار قادما من الصعيد متجها الى القاهرة ، لقيه على محطة بنى سويف اسقف بنى سويف بأمر البطريرك ، وتصور اثناسيوس أنه يستطيع أن يتجاهل قرار الحرمان فاستمر فى رحلته الى القاهرة وعند وصوله الى البطريركية وجد حشدا من الناس تمنعه من الدخول وتهتف فى وجهه "اذهب يا محروم" وعلى ذلك تمكن المجلس الملى من اتهام البطريرك فى بيان رسمى الى الخديو بانه يرفض تنفيذ القرارات السنية "الخديوية " وأنه يثير الشعب ولذلك يقترح المجلس احتجازه فى دير البراموس بوادى النطرون بمحافظة

البحيرة . ووافق الخديو ، ولم يكن ممكنا لاثناسيوس أن يمارس مهامه ، فقد امتنع الاقباط العاديون ورجال الدين (الاكليروس) عن التعاون معه ، وبدأ الاساقفه والمطارنة يغادرون ابرشياتهم ويتجهون الى دير البراموس حيث يوجد البابا . وتدخل رياض باشا رئيس الوزراء وهو مسلم - لدى الخديو وقال له : "ان الدستور لايعطيه الحق فى نفى مواطن مصرى عادى ، فكيف ينفى زعيما روحيا له مكانة لاتقل عن مكانة بابا روما" وفى ٣١ يناير ١٨٩٣ صدر العفو عن كيرلس الخامس ليعود منتصرا على كل اعدائه وليكون له دور بارز فى ثورة ١٩١٩ .

الفتنة نائمة

فى كتابه عن" مصر " ذكر جورج يونج عن فترة القرن التاسع عشر "انه لا توجد فى مصر تفرقة طائفية ضد الاقباط، من تلك التى عانت منها الاقليات الضعيفة فى اوربا ، وأن الكتاتيب مفتوحة للاقباط لكى يتلقوا فيها تعاليم دينهم ، وفى الاقاليم التى تزيد فيها نسبة الاقباط ، كانت الحكومة تقدم للمدارس القبطية اعانات لها اثرها ، وعندما لا يتمكن الاقباط من الوصول الى المجالس النيابية المحلية فقد كان يضم عدد منهم بالتعيين الى هذه المجالس ، وانه منذ قرون لم يحدث اضطهاد لهم ، كما ذكر أن تاريخ الاقباط يكشف عن انهم عانوا ضيما من اهل ديانتهم المسيحيين الارثوذكس أو الكاثوليك اكثر مما عانوا من اهل وطنهم المسلمين ، وأنه من المثير للفضول أن يلاحظ أن العلاقة بين العنصرين أوثق ماتكون فى المناسبات الدينية ، اذ يبنى الاقباط مساجد المسلمين كما يعيد المسلمون بناء

الكنائس القبطية، ويشترك الشيوخ و القساوسة ، في الاحتفالات الدينية وما بقى من مظاهر الديانات القديمة مثل عبادة النيل. ويذهب المسلمون و الاقباط الى زيارة الاضرحة ذاتها للاولياء و القديسين المحليين، ويتناقلون الاقاصيص ذاتها ويهزجون بالاغانى ذاتها ولهم الفضائل ذاتها والصفات ذاتها، ووجهات النظر ذاتها عن الحياة "

هذه الشهادة ليونج استشهد بها العديد من الكتاب والمؤرخين لتصوير شكل العلاقة بين المسلمين والاقباط فى مصر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولكن مع بداية القرن العشرين بدأت تمر العلاقة بين قطبى الامة بدرجة ما من التوتر ، بل و يمكن القول انها مرت بمرحلة حرجة ، وان ظل هذا الحرج على مستوى الصفوة و القيادات من الطرفين ولم تتأثر القاعدة ، كما أن هذه المرحلة كانت نتاجا لمحاولات الاحتلال البريطانى فى ذلك الوقت لشق صف الامة .

على هذه الارضية المشحونة بمشاعر السماحة والمودة والالفة بدأ الانجليز يتحركون وقد اتسمت حركتهم بالدهاء و الخبث البالغين، مما أدى الى وضع بذرة التعصب بين المسلمين و الاقباط. وقد لخص فهمى هويدى فى كتابه " مواطنون لاذميون" دراسة تاريخية هامة لطارق البشرى وضعها فى كتاب "المسلمون والاقباط" فى فصل تحت عنوان "السياسة البريطانية والتفرقة الطائفية" يقول: عندما لمس البريطانيون تلك العناصر الايجابية فى العلاقة بين المسلمين والاقباط، عدلوا عن منهجهم التقليدى فى جذب الاقليات اليهم واعتمدوا نهجا

اخر ، يتمثل فى العمل الصبور على خلق الخلافات خلقا فى المدى الاطول نسبيا ، وكانت وسيلتهم فى ذلك هى العمل من خلال الحكومات المصرية التابعة لها على ابعاد الكثير من القبط من وظائفهم بالتدريج ، وتعميقا للفوارق الدينية ، وتحت شعار حق الاغلبية فى المناصب الرئيسية ، مع تقدير أن هذه السياسة ستلتصق تلقائيا بالحكومات المحلية المسلمة ، وبذلك يتخلص الانجليز من العنصر القبطى جزاء لما لم يبده من صداقة وعون لهم ، ويعتمدون على جاليات واقليات أخرى من الشوام والبروتستانت وغيرهم.

ومع الزمن تظهر مشكلة اضطهاد القبط او استبعادهم وتتبادل ردود الفعل العشوائية وغير العشوائية ، وينمو الاحساس الذاتى لدى كل من القبط والمسلمين ، مع العمل على جذب بعض عناصر القبط اليهم. ثم تثور المشكلة فتتدخل لعلاجها لصالح "انصاف" القبط، لتظهر بمظهر من تحميهم من المسلمين. وقد تتابع تنفيذ هذا المخطط الخبيث بدقة شديدة طوال الاحتلال البريطانى لمصر.

وكان من نتائجه :

مع بداية القرن العشرين اشتد ساعد الحركة الوطنية المعادية للاحتلال البريطانى، ومع هذا النمو ظهر نوع من اصطناع الخلاف بين المسلمين والاقباط، انعكس من جهة على صحيفتين قبطيتين هما "مصر" و "الوطن" وعلى صحيفة "المؤيد" التى كان يصدرها الشيخ على يوسف، وتولت الصحيفتان القبطيتان الدفاع عما اسمته "حقوق الاقباط" وكانت هناك صحيفة اخرى باسم "المقطم" تنطق بلسان دار المعتمد البريطانى تولت

تزويد جريدة "الوطن" بالكتابات المثيرة التى كانت تتلقفها وتزيد من اشتعال النار.

ظهر على المسرح رجل يدعى اخنوخ فانوس ليكون من اوائل دعاة الانشقاق الطائفى فى مصر. وقد كان زعيما للطائفة الانجيلية، وتلقى تعليمه فى المدرسة الانجيلية باسيوط ثم اكمله فى الجامعة الامريكية ببيروت، ورغم انه تربى فى احضان ارساليات التبشير الاجنبية، ورغم انه لم يكن تابعا للكنيسة القبطية الارثوذكسية دينا وتعليما، فانه دعا فى ١٩٠٨ الى تشكيل حزب سياسى اسماه الحزب "المصرى". ونشر الرجل برنامج حزبه الذى كان يدعو الى توثيق الصلات مع بريطانيا. وادخال الاجانب فى نسيج المؤسسات السياسية المصرية عن طريق تشكيل مجلس تشريعى نصفه من الاجانب، كما كان يدعو الى تشكيل مجلس اخر للنواب يقوم على التمثيل الطائفى.

ظهرت الاشارات الى تعصب المسلمين المصريين واضحة بعد حادث "دنشواى" سنة ١٩٠٦، والذى اشتبك فيه الفلاحون المصريون ببعض الجنود الانجليز وقتلوا بعضا منهم، وردت سلطات الاحتلال باعدام هؤلاء الفلاحين، وعندما اثير موضوع دنشواى فى مجلس العموم البريطانى، فان ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا واللورد كرومر، لم يجدا دفاعا يبرران به بشاعة المسلك البريطانى تجاه المصريين الا الزعم بأن الحادث هو من اثار التعصب الدينى لمسلمى مصر ضد المسيحيين و الاوربيين . وتم الترويج لمقولة التعصب هذه بقوة بعد مصرع بطرس باشا غالى رئيس الوزراء

بواسطة احد الوطنيين المصريين- ابراهيم الورداني - عام ١٩١٠ وعمل مشيرو الشقاق على استغلال الحادث في تفجير الخلافات الطائفية ، وذلك رغم ان أسباب الاغتيال باعتراف الورداني كانت تعود الى كون غالي احد منفذي السياسة البريطانية ، فضلا عن انه هو الذي راس محكمة دنشواى التي اصدرت احكام الشنق و الجلد على الفلاحين وانه كان يعمل على مد امتياز قناة السويس اربعين عاما بعد انتهائه. كان هناك ايضا عامل اخر تمثل في الحزب الوطني الذي راسه مصطفى كامل ، فعلى الرغم من محاولاته -أى مصطفى كامل - احتواء كل من المسلمين والاقباط في حزبه ، فضمت اللجنة التنفيذية لحزبه شخصيتين قبطيتين هما ويصا واصف ، ومرقص حنا ،كما اعلن مصطفى كامل في احدى خطبه أن المسلمين والاقباط شعب واحد تربطهم و توثق فيما بينهم كل الوشائج ، وانه لا يوجد أى سبب أو مبرر للفصل بينهم ، ولكن ظل الاقباط -من ناحية اخرى- متحفظين تجاه برنامج الحزب الوطني الذى كان يقر بحق السلطان العثماني في حكم مصر ، ويسجل سلامة موسى في مذكراته عن الفترة مابين ١٩٠٣ - ١٩٠٧ أنه على الرغم من أن الشباب القبطى كان يشترى "اللواء" صحيفة الحزب الوطني فان كثيرا من الاقباط لم ينضموا الى الحزب الوطني بسبب صبغته الدينية. ومات مصطفى كامل. وتولى محمد فريد زعامة الحزب فقدم ويصا واصف استقالته من الهيئة التنفيذية للحزب في اغسطس ١٩٠٨ ، وذلك بعد أن فقد محمد فريد تأييد الاقباط الى حد كبير لانه اتخذ موقفا متشددا وطلبا من تعيين بطرس غالي رئيسا للوزراء ، ولم يبد تأثرا عند اغتياله.

وكان اعلان اخنوخ فانوس عن حزبه فى جزء منه رد فعل او استغلالا لهذا الجو المتوتر.

ادى هذا التطور فى الاحداث الى الدعوة لعقد مؤتمر لبحث "مطالب الاقباط" فى عام ١٩١١ ، وقد اثارت الدعوة لهذا المؤتمر العديد من المواقف المتباينة الا ان ما يهمنى ذكره فى هذا المقام هو موقف البطريرك فى ذلك الوقت كيرلس الخامس، فعلى الرغم من تاييد مطران اسيوط -مكان عقد المؤتمر- لانعقاده واشتراكه فى الدعوة اليه وافتتاحه اياه-و حضور جلساته فان كيرلس الخامس اظهر شيئا من النفور من هذه الدعوة وابدى التخوف منها والحذر و اصدر بيانا بهذا المعنى، هاجمته صحيفتا "الوطن" و"مصر" وذكرتا ان لاشان للبطريرك بمثل هذا الامر .

رد المسلمون بمؤتمر آخر فى العام ذاته تحت اسم المؤتمر المصرى، ولكن الامر المثير و الملاحظ ان عقلاء الطرفين سيطروا على المؤتمرين كمالوحظ انه فيما عدا المطالبة بأن يكون يوم الاحد عطلة للمسيحيين فى المدارس و المصالح- كما طلب المؤتمر القبطى-وقرارات كلا المؤتمرين القبطى و الاسلامى تماثلت فى جوهرها ، ورفض كلا المؤتمرين بشدة فكرة التمثيل الطائفى فىالمجالس النيابية ، وعلق د. محمد حسين على هذين المؤتمرين بقوله : "لم تكن هذه المحنة شرا خالصا فقد وضعت هذه الخصومة السافرة حدا لسوء الظن المتبادل بين الفريقين وكانت تنفيسا شفى النفوس ".

وتجمعت قوى الثورة ضد الاحتلال البريطانى على الاساس

الوطنى ،وكانت ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول شديدة الوعى بحقائق مصر عندما رفعت شعار "وحدة الهلال والصليب " وادرك الاقباط أن الاحتلال البريطانى لمصر ليس الاعارضا طارئا فى تاريخها ورغم انهم لا يكونون الا عشرة بالمائة من السكان الا أن اقدارهم تنصهر فى نفس البوتقة مع اقدار اخوانهم من المسلمين . وتبين الفريقان أن محاولات التفرقة لا ينبغى ان تنجح. ووقف مشايخ الازهر يحرضون على الثورة فى الكنائس ، ووقف القسس الاقباط يلقون بعظاتهم فى المساجد وفى الازهر على وجه التحديد ، وتعانق الهلال و الصليب .

الاقباط و الثورة

انتهت ثورة ١٩١٩ والاقباط فى مصر قد اصبحوا عنصرا مندمجا مع التيار الرئيسى للحياة المصرية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا و استمر حزب الوفد فى قيادة الحركة الشعبية وسارت الحياة السياسية على طريق محاكاة "الليبرالية" البرلمانية على النمط الاوربى فنشأ وتدعم منهج الاحزاب والانتخابات والبرلمانات وذلك منذ ان صدر الدستور عام ١٩٢٣ و حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، وقد شارك الاقباط فى الحياة السياسية بقوة فى هذه الفترة حتى يمكن اعتبارها من هذه الزاوية من اغنى فترات الوحدة الوطنية ، فتواجد الاقباط على الساحة السياسية و الاجتماعية وكان طبيعيا أن يكون رئيس مجلس النواب مسيحيا -ويصا واصف -وان ينتخب نائب قبطى فى دائرة اسلامية ، ايضا لم يكن مستغربا أن ينتشر الاقباط فى المناصب العليا ويشغلوا الوزارات ، ولم يشكل ذلك حساسية لدى المسلمين، وقد كان ذلك

لاختفاء التمايز الدينى ونمو الوعى الحضارى .

وشهد فجر ٢٣ يوليو قيام الثورة ،وظهر أن للثورة مجلس قيادة مكونا من ثلاثة عشر ضابطا ، ولم يكن بينهم قبطى واحد ،وكان هذا بداية القلق القبطى فى المرحلة التالية هذا على الرغم من أن تفسيرات غياب الاقباط عن مجلس قيادة الثورة بعضها يعود اليهم ذاتهم كطبيعة الاقلية ،فالاقليات عادة فى أى بلد -خاصة اذا كان الوئام يسود حياتها مع الاغلبية لا تنضم بسهولة الى حركات سرية تحت الارض ، ومع ذلك فقد كان هناك عدد لا باس به من الضباط الاقباط بقرب صفوف حركة الضباط الاحرار .

ويقدم طارق البشرى تفسيرا آخر لعدم تمثيل الاقباط فى تنظيم الضباط الاحرار بكثرة بان ذلك يعود الى الوسط

الذى نشأ فيه تنظيم الضباط الاحرار فقد نشأ فى المؤسسة العسكرية ، وكان الجيش خاضعا للنفوذ التقليدى للملك، ولم يلحظ أنه كان للوفد نفوذ مؤثر على المؤسسة العسكرية المصرية ، حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة ، و من ثم بقيى الجيش يحمل فى تكوينه العضوى أثرا للتفرقة بين المسلمين و الاقباط خاصة فى الرتب العليا، فجاء تنظيم الضباط الاحرار على شاكلة المؤسسة التى انبثق منها

ويمكن تقسيم وضع الاقباط فى مصر وعلاقتهم بالثورة فى ثلاث مراحل ، الاولى تمتد منذ بداية الثورة حتى ١٩٦١ ، الثانية منذ قرارات التأميم و القرارات الاشتراكية وحتى ١٩٦٧ و الثالثة مرحلة مابعد ١٩٦٧

كان من اول اجراءات الثورة عقب الاطاحة بالنظام السابق لها أن حظرت نشاط الاحزاب السياسية القديمة -خاصة حزب الوفد- الذى كان الاقباط عنصرا بارزا فى نشاطه ،كان هذا سببا فى اختفاء عدد من القيادات السياسية القبطية من ساحة الحياة العامة فى مصر، وبالتالى فقد بدا بين الاقباط شعور بأن شيئا ماقد ضاع

على الرغم من تأييد الاقباط للثورة -كغالبية المصريين- وعلى الرغم من أن الثورة نجحت فى ازالة العديد من معوقات التوحد القومى و الاندماج بين عنصرى الامة وذلك باتخاذ بعض القرارات كتوحيد المحاكم و الغاء المحاكم الشرعية و المجالس الملية ، والغاء الكثير من مدارس التبشير الاجنبية و اخضاعها لرقابة الدولة الحازمة ، وحققت قدرا كبيرا من المساواة فى فرص التعليم والعمالة ، بالتوسع فى مجانية التعليم من ناحية ، والتزام نظام شبه صارم فى التحاق الطلبة بالمدارس الاعلى وكليات الجامعات عن طريق مكاتب التنسيق ،كما شرع الالتزام بالحاق الخريجين بالوظائف عن طريق مكاتب العمل ، والتزم فى ترقية العاملين بالحكومة والقطاع العام بالاقدمية.

على الرغم مما سبق فان نظام يوليو لم يتخذ من السياسات العملية ما يحقق به الاندماج القومى الذى يهدف اليه بين العناصر الدينية ، فقد بعد نظام يوليو عن الاعتماد على المؤسسات الجماهيرية الديمقراطية سواء فى صورتها النيابية أو فى غيرها من الصور الحزبية ، وكان يميل الى تركيز السلطة على نحو فردى وقد حاصر المؤسسات المنتخبة واضعف سلطتها ، وامتد

هذا المسلك الى المجلس الملى نفسه -المؤسسة القبطية المنتخبة- و التى كانت تقف تاريخيا فى مواجهة

الاكليروس (رجال الدين) وتجمع العناصر القبطية المدنية ذات النفوذ.

على الرغم من كل هذا ،فان نظام يوليو حرص دائما على تحقيق الاندماج الدينى ، والاكيد ان النية كانت صادقة ولكن لعلها -فى بعض الاحيان - اخطات الوسائل ، حاول نظام يوليو ان يعالج هذه الحساسية التى نشأت عن الوضع الجديد ،وكانت أول الاجراءات التى اتخذها فى هذا الاتجاه اثناء الانتخابات لبرلمان ١٩٥٧ ، لضمان تمثيل الاقباط أن اصدر قرارا باغلاق عشر دوائر انتخابية اقتصر فيها الترشيح على الاقباط،وقد تم اختيار هذه الدوائر بعناية حيث يكون التواجد القبطى ملموسا فيها و اقتصر الترشيح فى هذه الدوائر على الاقباط ، ولكن اشترك كل أهالى هذه الدوائر مسلمين واقباطا فى عملية الانتخاب .وتم حل هذا البرلمان فى أعقاب الوحدة مع سوريا ١٩٥٨ وفى الانتخابات البرلمانية التالية الغى نظام اغلاق دوائر على الاقباط ، واستعيض عن هذا الاجراء باستغلال حق رئيس الجمهورية فى تعيين عشرة اعضاء فى البرلمان، وجرى العرف أن يكون غالبية الاعضاء المعينين من الاقباط . هذا الاسلوب كان له أثران الاول أنه أعطى الاحساس بأن تمثيل الاقباط منحة فى يد الحاكم، ولانها منحة فمن الممكن الا تعطى ، الثانى أنه لوحظ أن الاعضاء المعينين بشكل عام لم يكونوا ذوى فاعلية فى المجالس المتعاقبة وذلك ربما لانهم يعرفون مصيرهم مسبقا لو لم يكونوا كما يراد لهم

من جانب آخر حرص النظام فى مصر منذ ثورة يوليو - وحتى الان - على تمثيل الاقباط فى الوزارة بعدد من الوزراء الاقباط ، ولكنهم لم يكونوا اكثر من مجموعة من التكنوقراط ليس لهم تاثير عميق فى مجتمع الاقباط المصريين . لم يكن لهم التاثير الذى يسمح لهم بان يكونوا قيادات أو زعامات سياسية على مسرح الحياة العامة . وفى الغالب كان توليهم المنصب الوزارى هو بداية دخولهم الحياة العامة وليس العكس. هذا الغياب لوجود قيادات قبطية مؤثرة فى مجتمعنا ممثلة فى الجهاز التنفيذى أو السياسى للدولة كان له أثر كبير وسوف نستوضحه فيما بعد فى رسم الحدود الجديدة لدور الكنيسة القبطية فى الحياة السياسية المصرية.

عبر ميلاد حنا عن موقف الاقباط أبان حكم عبد الناصر عندما قال فى كتابه " نعم أقباط لكن مصريون " ان الاقباط قد قبلوا عن طيب خاطر التواجد الشكلى المحدود على الساحة السياسية لانهم أدركوا أن القيادة الحقيقية و الفعالة لم تكن للمجالس النيابية، بل كانت بالفعل لشخص عبد الناصر ، وهو موضع ثقة الجماهير العريضة كلها أقباطا و مسلمين، وعلى المستوى العربى ودول العالم الثالث على كافة مواقعها. "جمال عبد الناصر كان يفكر فى البلد دون تفرقة بين مسيحى و مسلم، فلما قام بالاجراءات الاجتماعية من تمصير و تاميم كان يفكر فى البلد لا فى الطوائف والاديان . كانت سياسته وطنية عامة ، اعطته شهرة عربية و دولية" . هذا الكلام للبابا شنودة فى مجال تقييمه لفترة حكم عبد الناصر وتاثيرها على الاقباط والكنيسة ، لكن الواقع أن سياسات الثورة فيما بعد

الخاصة بالتاميم و قوانين يوليو الاشتراكية قد اثرت تاثيرا مباشرا -عن غير عمد - فى وضع الاقباط فى المجتمع المصرى . فقد كانت هذه القوانين ضربة شديدة الى البرجوازية المصرية ، وكانت الضربة محسوسة اكثر بين الاقباط ورغم ان احدا لم يدع قط بانها اتسمت باى وجه من وجوه التفرقة بين الاقباط والمسلمين فان تاثير هذه القرارات على الاقباط كان اكبر كثيرا ، وذلك لانهم كانوا قد قطعوا شوطا كبيرا فى مجالات الاعمال والتجارة ، وكان الاثر المباشر هو تصاعد ظاهرة الهجرة الواسعة لعدد من شباب الاقباط الذين ذهبوا يحاولون بناء حياة جديدة فى الغرب ، وهى ايضا الظاهرة التى سيصبح لها اثر ملحوظ فى مستقبل الكنيسة والاقباط فى مصر وفى علاقاتهم بالنظام السياسى فى المراحل التالية لحكم عبد الناصر.

فى نهاية الاربعينات وبعدما ظهرت جماعة الاخوان المسلمين بفترة و اصبح لها صوت مسموع ظهرت بعض المؤشرات عن وجود جماعة دينية قبطية باسم " جماعة الأمة القبطية " كان البعض يعدها النسخة المسيحية من جانب الاخوان المسلمين حتى ان شعاري كل من الجماعتين تشابها فى الالفاظ ، وان اختلفا - بالطبع- فى التوجهات ، قامت جماعة الأمة القبطية بممارسة العديد من الانشطة الاجتماعية ، واقامت العديد من المراكز ، وحققت بعض الشعبية فى الاوساط القبطية ، وقد كان ظهور هذه الجماعة انعكاسا لدى قطاع من الاقباط تمكن من الرغبة فى اثبات هويته داخل المجتمع ، وقد بدا هذا واضحا فى المنشورات التى كانت توزعها الجماعة

وتضمنها دعوتها الى سيادة اللغة القبطية والمطالبة بالحكم الذاتى للاقباط .

فى فجر أحد ايام عام ١٩٥٤ -وكان أحد الاعوام الحبلى بالاحداث فى تاريخ مصر - قامت مجموعة من خمسة أفراد مسلحين ينتمون الى هذه الجماعة بهجوم مسلح على المقر البابوى ، اقتحموا بوابة دار البطريركية و جردوا حرسها من عصيهم ، وشقوا طريقهم الىالداخل حيث غرفة نوم البطريرك العجوز" الانبا يوساب" ، استسلم البطريرك العجوز لقدره ، وامتثل لأوامر مهاجميه ووقع مجموعة من الاوراق ،هى وثيقة تنازله عن وضعه كبطريرك و وثيقة يدعو فيها المجمع المقدس و المجلس الملى لاجراء انتخابات لبطريرك جديد ، ووثيقة ثالثة بتعديل لائحة انتخابات البطريرك بحيث يشارك فيها الرعايا الدينيون ايضا ، واقتادوا بعد ذلك البطريرك وذهبوا به الى دير بوادى النطرون ، وهناك سلموه لراهب الدير مخبرين أياه بأن يبقيه لديه رهن الاحتجاز لانه تنازل عن موقعه كبطريرك، وعادت المجموعة الى القاهرة لترسل بيانا الى الكنائس و الصحف تعلن فيه تنازل البطريرك واقراره بالفساد المستشرى فى الكنيسة ، وتطلب الى الاقباط انتخاب بطريرك جديد ، وتحذر الحكومة من أى تدخل فى شئون الاقباط الداخلية .

تدخلت الحكومة على الفور ، والقت القبض على المجموعة المختطفة -كانت بقيادة محام شاب- يدعى ابراهيم هلال - وأطلقت سراح البطريرك ، واعادته الى المقر البابوى ليواصل ممارسة سلطاته ، وقدمت المجموعة المختطفة الى المحاكمة، وصدر عليهم احكام

بالسجن ثلاثة أعوام ، " لكن الحادث الغريب والاستثنائي ترك رائحته في كل بيت قبطي" كما قال غالي شكري الذي يضيف " وقد شاع الشعور الغامر بضرورة التغيير ، كان مصطلح الفساد من المفردات المعروفة قبل الثورة ، ولكنه كان مقصورا على رجال الحكم ، والآن أصبح مقترنا ببعض الرجال والظواهر في الكنيسة وبقدر ما غضب المسيحيون المصريون من "جماعة الامة القبطية" بقدر ما تسربت اليهم الشكوك حول المقامات العليا الدينية . وعندما توفي البابا يوساب الثاني عام ١٩٥٦ تنهد الناس تنهيدة الارتياح و القلق معا ".

***

لكل تطور كبير في أي كيان اجتماعي مقدمات اساسية ، قد لا يبدو في حينها أن هذه المقدمات تؤدي بالضرورة الى تلك النتائج ، وفي الغالب لا يكون مقصودا بتلك المقدمات احداث ذلك التطور ، هذا ينطبق على أهم تطورين شهدهما المجتمع القبطي الكنسي في مصر ، الاول تمثل في مدارس الاحد "الكلية الاكليريكية " ، وهو ما أدى الىالتطور الثاني الذي يمكن أن نطلق عليه اسم بروز ظاهرة جيل الاربعينات بكل ما تميز به ، وكلا التطورين أسهم بشكل كبير و مؤثر في وضع الكنيسة في الوضع الذي وصلت اليه الان .

ارتبط اسم مدارس الاحد بتحديث الكنيسة، وارتبط اسم حبيب جرجس بمدارس الاحد، كان حبيب جرجس يعمل موظفا في" البطريركية " في مجال التعليم الديني في بدايات القرن ، وكان غير متزوج ، اهتم بشتى مناحي الحياة في المجتمع القبطي، كان احساس حبيب جرجس بانتمائه لدينه وكنيسته وبذاته احساسا عظيما واستشعر المخاطر

التى يتعرض لها هذا الاحساس بالذات- من وجهة نظره- من تاثيرات المبشرين الاجانب أو من تاثيرات ازدياد التاثير المتزايد للعلمانية على الحركة الوطنية والثقافية المصرية ، أو تزايد النبرة الاسلامية داخل الحزب الوطنى فى مطلع القرن الحالى وهو الامر الذى أثار حفيظة الاقباط كما سبق وان اشرنا ، واجه حبيب جرجس هذه المخاطر بانشاء المدرسة الاكليريكية فى عام ١٩١٠ وذلك لتخريج الوعاظ و الكهنة المثقفين وذلك لاقتناعه فى ذلك الوقت بأن رجال الدين (الاكليروس) غير المتعلمين قد تحولوا الى مجرد "رجال طيبين "، وتحولت رعاية الكنيسة على ايديهم الى حرفة وكذلك الكهنوت.

كان البناء الكنسى يتكون من الشمامسة " الشماس مهمته أن يساعد الكاهن فى الخدمة الكنسية " وفى الاصل كان متفرغا لعمله، وعندما ساءت الاحوال فى الكنيسة اصبح معظم الشمامسة صبيانا متطوعين. بعدهم فى الترتيب يأتى الكهنة الذين يمثلون العمود الفقرى فى الخدمة الكنسية ، وكان يسمح لهؤلاء الكهنة بالزواج ، ولقرون طويلة فان معظم هؤلاء الكهنة كانوا فلاحين يزرعون الارض طوال الاسبوع ، ويفتحون حجرة للصلاة فى آخره ،فوق القسيس - أو الكاهن - يأتى القمص ، وهو عادة رئيس كنيسة كبيرة يقوم بمساعدته ما بين ثلاثة الى خمسة من القسس . واذا لم يكن رئيس كنيسة كبيرة فانه عادة يكون مسئولا عن أكثر من كنيسة صغيرة فى منطقة واحدة ، عندما يأتى التركيب الهرمى للكنيسة لهذا المستوى فانه يبدأ فى الاختلاف نوعيا فى اتجاهه نحو القمة اذ يبدأ من هنا سلك الرهبان ، فمنهم يجىء

الاساقفة الذين يتولون الرعاية الكنسية على مستوى الاقليم، ولا يتزوج الاساقفه بالطبع باعتبارهم رهبانا ، وتعتبر رسامة كل واحد منهم على أبرشيته نوعا من الزواج المقدس بينه وبينها ، والابرشية هى منطقة الولاية الجغرافية لسلطة الاسقف الذى يرسم حدودها هو المجمع المقدس ، وفى العادة فان تقسيم الابرشيات كان يتسق في مصر الى حد كبير مع تقسيم المديريات او المحافظات فيما بعد . ومن الاساقفة والرهبان كان يتكون المجمع المقدس الذى هو أعلى سلطة فى الكنيسة والذى يقوم بدور اساسى عادة فى اختيار البطريرك ، كان هذا هو الشكل الهرمى الذى ظل على حاله لقرون طويلة ، ورأى حبيب جرجس انه يحتاج الى اعادة بعث جديد ، وباعتباره متصلا بشئون التعليم فى الكنيسة وقد بدأ من النقطة التى كان يقف عندها فلاحظ أن قسيس القرية أصبح فلاحا اميا يحفظ مجموعة من الصلوات والترانيم و الادعية بشكل تلقائى ودون أن يفهم معانيها أو يعرف قواعدها. وكان أسلوب تعليم الاطفال القبط فى القرى لا يختلف عن الكتاتيب عن طريق العريف الذى كان يتقاضى اجره عينا من منتجات الريف ، كان ذلك فى الوقت الذى بدأت تتجه فيه الارساليات البريطانية والامريكية نحو بناء مستشفيات ودور ملاجىء لليتامى ، وأدخل هؤلاء المبشرون أول انجيل مطبوع قادما من لبنان وانتشرت فى شوارع بعض مدن صعيد مصر عربات كارو تحمل مطبوعات مسيحية اخرى تباع باسعار رخيصة . كان لهذا تأثير فى نجاح الارسانيات التبشيرية فى تغيير عدد ملموس من الاقباط لمذهبهم الى المذهب البروتستانتى والمذهب الكاثوليكى . ادراكا من حبيب جرجس لهذا الوضع كانت دعوته و مبادرته - كما ذكرنا - لانشاء

المدرسة الاكليريكية كمدرسة تنشأ فى حضن الكنيسة .
كان هذا تطويرا لمدرسة اللاهوت التى اغلقت منذ القرن الخامس الى أن اعيد افتتاحها وكان من اول خريجيها - بالمصادفة - حبيب جرجس عام ١٨٩٨ ، وفى البداية فتحت ابوابها لعدد من ابناء القسس ، وكان رأى حبيب جرجس أن هؤلاء بحكم نشأتهم ، اقرب استعدادا الى تلقى التعليم الدينى عن غيرهم من الصبيان، وكان المؤهل الوحيد المطلوب فى المدرسة الإكليريكية فى ذلك الوقت هو شهادة الدراسة الاولية ، ومع تقدم التعليم العام فى مصر فقد ارتفع مستوى القبول ليصبح الحصول على البكلوريا شرطا لدخول المدرسة الاكليريكية " تحولت الآن الى جماعة دينية قبطية " ، وقد استطاع حبيب جرجس بذلك أن يكون مجموعة من رجال الدين اكثر ثقافة واكثر ملاءمة للعصر ومتطلباته فى الحدود التى تحافظ على الجوانب التقليدية للكنيسة لم تكن المدرسة الاكليريكية هى الاسهام الوحيد لحبيب جرجس الذى شغلت باله قضية " خصوصية الاقباط " ، واول من استعمل ذلك التعبير الخطير " الآمة القبطية " ، ولكن كان له دور آخر كبير الاهمية هو دوره فى انشاء "مدارس الاحد" التى قدر لها فيما بعد أن تلعب دورا هاما فى تشكيل الدور الجديد للكنيسة ، ففكرة مدارس الاحد كانت منتشرة فى اوربا ووجدها حبيب جرجس صالحة للتطبيق فى مصر، وسبق أن طبقتها الارساليات الكاثوليكية فى مصر ، بدأ حبيب جرجس بتطبيقها فى القاهرة وكانت الفكرة تتركز فى أن الاطفال يذهبون مع اهلهم الى الكنيسة يوم الاحد ، وعندما يصلون اليها ينفصلون عن ذويهم ويذهبون مع اقرانهم من الاطفال الى مكان آخر يتلقون فيه دروسا مكثفة تشمل الانجيل و التاريخ القبطى و تاريخ الكنيسة

يعتقد بعض الدارسين لهذه الحقيقة ومن بينهم ابو سيف يوسف أن مدارس الاحد مرت بثلاث مراحل هى :

١ - من عام ١٩١٨ كان لها دور دينى احيائى فى مواجهة الارساليات.
٢ - من عام ١٩٤٠ كان لها دور خيرى .
٣ - من عام ١٩٥٠ كان لها دور سياسى .

كلتا الخطوتين انشاء المدرسة الاكليريكية و انشاء مدارس الاحد، كان لها اكبر الاثر في خلق تيار قوي أثر تأثيرا كبيرا في الكنيسة القبطية، و في توجهاتها، وفي حدود دورها في المجتمع القبطي والمجتمع المصري ككل ، تمثل هذا التأثير فيما يمكن تسميته بجيل الاربعينات ، و هي الفترة الزمنية التي بدأت فيها مشروعات الكنيسة التعليمية تؤتي أكلها في الوقت الذي تضافرت فيه مجموعة من العوامل الخارجية في المجتمع اهلت لحدوث هذا التأثير،تمثلت هذه العوامل في بروز مجموعة من التيارات السياسية و الدينية علي الساحة - و خاصة الاخوان المسلمين و المجموعات اليسارية ، وبدء تخريج الجامعات المصرية لاول انتاجها .

كان جيل الاربعينات القبطي هو جيل القرار الصعب ، هكذا يقول "رفيق حبيب " في دراسته حول الاحتجاج الديني و الصراع الطبقي في مصر ، جيل كان عليه أن يختار طريقه ، بالطبع كان الكثير من ابناء هذا الجيل قد وجد طريقه الي الحياة العامة في المجتمع البعض

قد ابتعد عن الكنيسة ، لكن جزءا من الطبقة الوسطي التف حول الكنيسة و تعلق بها ، و ايضا كان للكنيسة دور كبير في حياتهم ، فعن طريق مدارسها نالوا قسطا وافرا من الثقافة ، و هنا نلمس العلاقة بين ابناء الطبقة الوسطي و الكنيسة و هي العلاقة التي تتبلور في المدرسة ، فابناء هذه الطبقة كانوا في حاجة الي التعليم المجاني ، و هو ما قدمته الكنيسة لهم ، وكان ذلك سببا مهمافي ارتباطهم بالكنيسة ، التي اصبحت تمثل جزءا من الحياة العملية .

و لكن ماذا بعد التعليم و التربية في الكنيسة ؟ كان هذا هو تساؤل جيل الاربعينات ، و كان دوره أن يتخذ القرار و كان أحد احتمالين :

١ - الخروج الي المجتمع العام و الذوبان فيه .
٢ - البقاء داخل الكنيسة و العمل من خلالها .

و بالرغم من وجود طريقين الا أن الهدف كان واحدا ، فالطبقة الوسطي من ابناء الموظفين و المهنيين ، تتركز احلامها في النجاح علي مستوى الحياة العملية لهذا كان امل الجميع هذا العمل العام . و كان طموح البعض يتوقف عند الوظيفة ، و داخل هذه الفئة كان الاختيار بين العمل داخل الكنيسة او خارجها ، يعتمد علي الشخص نفسه ، و من الطبيعي أن تخرج الاغلبية للحياة العامة دون أن تفقد ارتباطها بالكنيسة .

و من الجانب الاخر كان هناك اصحاب الطموح الذين يراودهم حلم الانجاز علي المستوى القومي . و قد كان

اختيار الكثيرين هو العمل خارج الكنيسة ،و من هؤلاء نجد كثيرا من اعلام المجتمع و السياسة اليوم، و منهم نجد من لم يتكيف مع الحياة او ضاقت به الحياة ووجد طريقه الي بلاد المهجر .

أما البعض الاخر فقد اختار العمل داخل الكنيسة وظل حلمه تحقيق انجاز قومي ، و كان هذا الاختيار عاملا يدفع الكنيسة الي معترك الحياة العامة ، وبالرغم من الحذر القبطي السائد ، كان الصدام حتمية تفرضها طبائع الامور ، و كان علي جيل الاربعينات الذي شق طريقه أن يكون جيل الصدام .

لقد كانت ظاهرة ملفته للنظر بعد الحرب العالمية الثانية عندما بدأ عدد من الشباب القبطي من خريجي الجامعات بتخصصاتهم المختلفه يقدمون انفسهم للاديرة طالبين الالتحاق بسلك الرهبنة. كانت الظاهرة مفاجئة كما كانت ملفتة للانظار ، يعتقد محمد حسنين هيكل" أن هذه الظاهرة لم يكن ممكنا أن تكون محض مصادفة ، وانما كان من ورائها بالتأكيد منطق محدد في فكره وهدفه، كان واضحا أن هناك مجموعات من الشباب تؤمن بأن الكنيسة القبطية لا تزال هي العنصر الاساسي في حياة الاقباط في مصر" و كان واضحا ايضا أن هذه المجموعات من الشباب تعتقد أن السيطرة علي شئون الكنيسة تتركز في أيدي الرهبان الذين يرأسون الاديرة أو يشغلون مناصب الاساقفة، و بالتالي يكونون المجمع المقدس، وكان واضحا أخيرا أن هذه المجموعات من الشباب ترى أن القوة في الكنيسة ، و من ثم في المجتمع القبطي، تكمن في الاديرة .

و يفسر البابا شنودة لي اسباب اتجاه الجامعيين في تلك الفترة الي سلك الرهبنة قائلا :لا يجوز الفصل بين اي تطور و بين الجو العام ففي البداية لم تكن هناك جامعة في مصر و لذلك كان من الطبيعي ا لا ينضم متعلمون الي سلك الرهبنة ، كانت الكليات قليلة ،وكان الجامعيون قلائل ، و لكن عندما انتشر التعليم الجامعي كثر المتعلمون في الاديرة الامر الثاني - يضيف البابا شنوده الذي يعتبر من جيل الاربعينات الذى نتحدث عنه -ان الاتجاه الدينى فى التكريس لخدمة ربنا لم يكن قد نما لان التعليم الدينى نفسه كان ضعيفا جدا ، ثم بدأ ينمو ، ومع نموه بدأ كثير من المتعلمين يرتبطون بالكنيسة .

وينفى البابا شنودة ان يكون عجز التنظيمات السياسية التى كانت قائمة وقتئذ عن استيعاب هؤلاء الشباب المتعلم هو السبب الذى دفع بهم للاديرة بل ويؤكد على أن الجامعيين الذين دخلوا الاديرة لم يكن لهم علاقة بالسياسة ولا الاحزاب على الاطلاق وانما جميعهم نشأ فى اطار التعليم الدينى الذى ازدهر فى تلك الفترة وأشار تحديدا الى مدارس الاحد .

***

ظل الكرسى البابوى شاغرا ثلاث سنوات كاملة بين وفاة البابا يوساب الثانى عام ١٩٥٦، واعتلاء البابا كيرلس السادس ١٩٥٩ ، وهى ثلاث سنوات حافلة بالاسرار والغموض الى الان - كما قال د. غالى شكرى -.

كان واضحا أن تيار مدارس الاحد هو التيار الاقوى ، وأن هذا التيار هو الذى بات أحد افراده مرشحا لشغل

الكرسى الشاغر ، وكان المجمع المقدس - ولايزال -هو العمود الفقرى للسلطة الكهنوتية ، وفى ذلك الوقت كان المجمع يضم القوى التقليدية المستعدة دوما للذهاب بعيدا اذا اقترب احد من سلطتها . لذلك قام المجمع المقدس بتغيير اللائحة بحيث يستحيل الترشيح للمركز البابوى لمن هم أقل من اربعين عاما ، ولم يحددوا السن بساعة الترشيح لشغل الكرسى البابوى بل بساعة خلو المنصب ، وكانت هذه هى المرة الاولى فى تاريخ الكنيسة القبطية التى يحدد فيها سن المرشح للكرسى البابوى . فقد كان الانبا اثناسيوس مثلا بطريركا وهو فى سن السابعة و العشرين .وقد كان معظم شباب مدارس الاحد أو الرهبان الجدد أقل من الاربعين بعام أو اثنين لذلك لم يعد واردا أن يصل احدهم الى مقعد السلطة الكنسية العليا وتهدئة للخواطر ادرج الانبا أثناسيوس مطران بنى سويف الراحل اسم الراهب مينا المتوحد بوصفه المعلم والمرهبن لهؤلاء الشباب المرغوب فيهم ، واصبح هم الشباب الوحيد هو العمل على توصيل القمص مينا الى هذا المقعد الذى ابعدوا عنه . ولم يكن الامر سهلا . كان لابد من كسب الانصار فى صفوف المجلس الملى وفى صفوف الدولة وفى صفوف الاكليروس (رجال الدين) . ولكن الامر احتاج الى ثلاث سنوات كاملة حتى وصل القمص مينا للعرش البابوى ويصبح البابا كيرلس السادس ، وكانت هذه المعركة ايذانا بموجة جديدة لم ينجح القديم سوى فى عرقلتها ولكنها كانت ماضية لتصل الى هدفها وهو قيادة الكنيسة لم يكن كيرلس السادس صاحب بيت مصر القديمة من جيل الاربعينيات ، كان اسمه " عازر يوسف عطا " (١٩٠٢ -١٩٧١) وقد ولد من اسرة صعيدية نزحت الى "طوخ النصارى" فى المنوفية ثم الى دمنهور

عاصمة محافظة البحيرة ، وفي طفولته درس على يدي الشيخ احمد غلوش في الكتاب و انتقلت الاسرة الى الاسكندرية حيث اشتغل عازر وكيلا لدائرة احمد يحيى باشا ، وكانت هذه الدائرة مقرا لرجال الوفد، وبالتالى كانت مركزا للحركة الوطنيةفى فترة ثورة ١٩١٩ ، فوجد عازرفرصته مواتية للتعبير عن وطنيته، كان عازر شابا متدينا ، وترهبن فى عام ١٩٢٨وسمى "مينا" واصبح قسا بعد ثلاث سنوات ، ثم امضى بعض الوقت فى دراسة اللاهوت ثم عاد الى دير البراموس وعلى بعد ساعة سيرا على الاقدام سكن فى مغارة ، ثم انتقل الى طاحونة فوق جبل المقطم، وبالرغم من موافقة الحكومة المصرية الا ان سلطات الاحتلال البريطانى لم تدع له فرصة الاستمرار ، فتعاون بعض الناس فى شراء قطعة ارض لبناء كنيسة مار مينا العجائبى التى بنى فوقها مكانا لسكناه، وفى الدور الارضى مجموعة من الغرف نصفها لتعليم اولاد الحى بعض الحرف والنصف الاخر للطلبة المغتربين ،وفى هذا المكان سكن بعض ابناء مدارس الاحد من جيل الشباب الجامعى .

يقول البابا شنودة: كنت اعرف ابونا مينا المتوحد منذ ١٩٤٨ وسكنت فى بيته بمصر القديمة بين عامى (١٩٥٠ و١٩٥١) . لم يكن مينا المتوحد واحدا من جيل الشباب ولكن كان جسرا من القديم الى الجديد ، ذلك ان هذا الراهب الذى بدأ حياته متوحدا اصبح البابا كيرلس السادس، وقد اتاح فى عهده للجيل الجديد من الرهبان المثقفين الفرصة ليثبتوا وجودهم داخل الكنيسة وليتمكنوا من شغل المراكز التى اهلتهم لدفع الكنيسة المصرية لترسم شخصيتها ودورها الجديدين على الساحة.

***

تميزت العلاقة بين البابا كيرلس و النظام بانها كانت علاقة جيدة جدا ،وكان بين كيرلس وجمال عبد الناصر اعجاب متبادل -كما يذكر هيكل- وكان معروفا ان البطريرك يستطيع مقابلة عبد الناصر فى اى وقت يشاء وقد استفاد البابا كيرلس من هذه العلاقة الخاصة فى حل العديد من المشاكل ،وكما سبق وان ذكرنا فان الانخفاض الملحوظ لدور الصفوة القبطية كممثل للكنيسة و الاقباط نتيجة طبيعتهم التكنوقراطية ،ولما اصاب الصفوة التقليدية للاقباط من ضربات متتالية مما ادى الى انزوائها او هروبها الى الخارج . لذلك اتيح للكنيسة دور اكبر فى تمثيل الاقباط لدى الدولة، وان ظل هذا الدور محدودا حتى نهاية فترة عبد الناصر- او بالأحرى نهاية عصر كيرلس السادس- فظلت المشكلات القبطية تحل عن طريق الوزراء الاقباط، او بتوسيط من قبل البابا كيرلس السادس لبعض المسئولين فى الدولة -سواء مسلمون او مسيحيون- لحل هذه المشكلات، ولعل نموذج بناء كاتدرائية القديس مرقص بالعباسية يعد نموذجا مثاليا لتصوير العلاقة الثلاثية بين الكنيسة و الدولة و الصفوة القبطية الجديدة المتمثلة فى الوزراء. كانت احد اكبر المشاكل -ومازالت -تلك المشكلة الحساسة الخاصة ببناء كنائس جديدة فالحكم فى اصدار التراخيص بانشاء كنائس جديدة او تجديد الكنائس القديمة هو رئيس الجمهورية شخصيا وذلك وفقا لقانون "الخط الهمايونى الصادر عن الباب العالى بتحديد دور العبادة لأهل الذمة بمصر" كان هذا الخط يضع قيودا على بناء الكنائس الجديدة ويسمح بها بشروط استقر امرها فى النهاية فى يد وزارة الداخلية

وعلى اساس موافقة الداخلية يصدر رئيس الجمهورية قراره بشأنها. وكانت هناك محاولات قبطية متعددةلتجاوز هذه القواعد كان هذا بأن يلجأوا الى شراء قطعة أرض و يتم انشاء مجموعة من المبانى الصغيرة على اطرافها و فى الوسط ساحة خالية تستغل فى البداية كساحة لممارسة الالعاب الرياضية ثم تتحول الى مكان اجتماعات دينية ثم يقام جدار ثم يقام مذبح كنسى وتقام الشعائر الدينيةويكتسب المكان صفته الدينية ويصبح كنيسة كأمر واقع. كانت هذه المحاولات تسبب حرجا مزدوجا لدى البابا كيرلس السادس و لدى الحكومة على حد سواء لما كانت تؤدى اليه من احتكاكات سواء مع سلطات وزارة الداخلية او مع السكان المسلمين وحلا لهذه المشكلة تحدث البابا كيرلس السادس الى عبد الناصر فى هذا الشأن الذى اعطى موافقة على أن يكون عدد الكنائس الجديدة خمسا وعشرين كنيسة. وكان قد وقع احتكاك بين الاقباط والمسلمين بأحدى ضواحي الاقصر ، وحدث اعتداء على كنيسة هناك، كما يروى البابا شنودة - واجتمع المجمع المقدس لهذا السبب وكتب بيانا وزع على جميع الكنائس و الذى حدث كما سمعت - يقول البابا شنودة - أن اتصالا تم بين محمد حسنين هيكل وبين أمين فخرى عبد النور والانبا صموئيل اسقف الخدمات العامة بغية ايجاد حل للمشكلة . وقام الاستاذ هيكل بمقابلة الرئيس عبد الناصر وشرح له الموقف وكان الحل هو أن بادر الرئيس بوضع حجر الاساس للكاتدرائية وتبرع بمائة ألف جنيه .

هذه كانت رواية البابا شنودة، ويقول هيكل فى روايته لهذا الحادث انه كانت هناك مشكلة اخرى واجهت البطريرك كيرلس السادس ،فقد كان تواقا الى بناء

كاتدرائية جديدة تليق بمكانة الكنيسة القبطية، كان بناء كاتدرائية جديدة مشروعا محببا الى قلب البطريرك ولكنه لم يكن يريد أن يلجأ الى موارد من خارج مصر يبنى بها الكاتدرائية الجديدة ، وفى الوقت نفسه فان موارد التبرعات المحتملة داخل مصر كانت قليلة لأن القرارات الاشتراكية أثرت على اغنياء الاقباط - كما اثرت على اغنياء المسلمين- ممن كانوا فى العادة قادرين على اعانة الكنيسة بتبرعاتهم ، الى جانب أن المهاجرين الاقباط الجدد لم يكونوا بعد فى موقف يسمح بمد يد المساعدة السخية ، ثم ان أوقاف الاديرة القبطية أثرت فيها ايضا قوانين الغاء الاوقاف ، وهكذا وجد البطريرك نفسه فى مأزق ، ولم ير مناسبا أن يفاتح جمال عبد الناصر مباشرة فى مسألة بناء الكاتدرائية ، فلقد تصور فى الموضوع اسبابا من الحرج، وهكذا فقد تلقيت - يقول هيكل- شخصيا دعوة من البطريرك لزيارته وذهبت فعلا للقائه بصحبة الانبا صموئيل الذى كان اسقفا بدار البطريركية ، فى هذا اللقاء حدثنى البطريرك عن المشكلة، واظهر تحرجه من مفاتحة جمال عبد الناصر مباشرة فى الامر حتى لا يكون سببا فى اثارة أية حساسيات ، ثم سألنى ما اذا كنت استطيع مفاتحة الرئيس فى الموضوع دون حرج للبطريرك و لا حرج على الرئيس نفسه، وعندما تحدثت مع الرئيس عبد الناصر فى هذا الموضوع كان تفهمه كاملا (....) هكذا فانه قرر على الفور أن تساهم الدولة بنصف مليون جنيه فى بناء الكاتدرائية الجديدة ، نصفها يدفع نقدا ونصفها الاخر يقدم عينا بواسطة شركات المقاولات التابعة للقطاع العام والتى يمكن ان يعهد اليها بعملية البناء . هذا الحادث الذى يتفق اثنان من رواته فى

كافة التفاصيل الاساسية فيه يعطي مجموعة من الدلالات حول أولا: طبيعة العلاقة بين الدولة فى ذلك الوقت والاقباط، وتعاملها معهم بتفهم لمدى اهميتهم وحقوقهم، واعطاء الاحساس بأن الدولة قادرة على أن تضفى عنايتها و اهتمامها على كل ابناء الوطن. ثانيا : احساس الكنيسة بحجم دورها فى المجتمع وطبيعته ، وايضا طبيعة العلاقة بين الكنيسة والسلطة فى البلد . وتسليمها بقدرات الدولة على القيام بواجبها تجاه مواطنيها . ثالثا: تراجع دور الصفوة القبطية فى التعبير عن الاقباط ، ولكن استمرار الاعتماد عليها - رغم صفاتها الجديدة - كقناة اتصال مع الدولة بكافة مستوياتها.

اذن تميزت علاقة البابا كيرلس بالنظام باكبر قدر ممكن من الهدوء ، والتفاهم، واستطاع من خلال هذه العلاقة وعن طريق الوزراء الاقباط وبعض المسئولين الاقباط أن يوجد قناة اتصال فيما بين الكنيسة وبين الدولة، اضافة الى الاتصال المباشر الذى كان يتم احيانا ، ومن خلال هذه الشبكة من الاتصالات استطاع أن يحل العديد من المشكلات التى واجهت الاقباط فى مصر فى ذلك الوقت . وظل الدور الاساسى للكنيسة منحصرا فى الدور الدينى والروحانى .

على انه من الخطأ تفريغ الواقع من محتواه والتعامل مع الكنيسة كعنصر وحيد للقياس . فالكنيسةوالاقباط جزء فاعل ومتفاعل مع الواقع المعاش واذا تصورنا الطبيعة السياسية للنظام السياسى فى ذلك الوقت ، وطبيعة الاهداف القومية التى التف حولها الناس -

بغض النظر عن مناقشة مضامينها - نجد ان الحكومة استطاعت أن تذيب الخلافات ..

وكان العنصر الحاسم هو مدى قوة الدولة فى تلك الفترة - بغض النظر ايضا عن سر هذه القوة فقد استطاعت الدولة أن تسيطر على مقدرات الامور ومشاعر الجماهير ، بالتالى لم تتح لاى كيان أو تكتل أن يقوم بدور يتميز على دور الدولة أو أن يتخطاها ، لذلك كان طبيعيا أن يظل دور الكنيسة محصورا فى حدود الدولة الذى بقيت فيه ، والذى لم يطلب منها أن تقوم بأكثر منه .

ولكن الى أي مدى كان هذا الدور مرضيا للآخرين ؟. أصدر مؤلف امريكى(ادوار وكن) فى ١٩٦٣ كتابا : عن الاقباط اسماه "الاقلية الوحيدة" .أصدره فى سياق تاريخى من تصاعد حركة القومية العربية المناوئة للنفوذ الامريكى و الغربى عامة . وينطوى الكتاب على دراسة تفتقد العمق والاصالة - كما يقول طارق البشرى- ولكنها تفتش من خلال دراسة أوضاع الاقباط عما اذا كان ثمة امكانية لتحريك ام لا . ويذكر أن القومية العردية البتى يترنم بها نظام عبد الناصر ،لا تعنى على ألسنة المسلمين غير الاسلام فهى صنو له ومرادف، وانه حتى مع اختفاء الاخوان المسلمين فلا يزال طعم الاضطهاد عالقا فى حلوق القبط ، الذين يستشعرون روح الاخوان بغير جسدهم .

ثم تكلم عن ان ظروف الكنيسة القبطية قد صارت اكثر مواتاة ، اذ حلت مشاكلها مع كنيسة اثيوبيا وحلت الصراعات بين القبط بعضهم ببعض وحلت مشاكل الاوقاف التى كانت تستنفد جهودهم . كما وجد بالكنيسة جيل من المحدثين ضرب لهم أمثلة منهم الاب مكارى السريانى المتحدث الرسمى باسم البطريرك ، والمتخرج فى جامعة القاهرة ، والحاصل على درجة علمية من المعهد الدينى ببرنستون بامريكا ودرجة اخرى من الجامعة الامريكية بالقاهرة ."ويذكر ان البابا كيرلس السادس ،وان كان يؤخذ عليه انصرافه للامور الدينية وحدها وعدم ادراكه ان "السياسة جزء من وظيفته" ،فان تطوير الكنيسة صار امكانية واضحة كما يمكن لراهب مثل البطريرك ان يسيطر على خيال القبط وان يحركهم بمثل الصدمة الكهربائية الى العمل فيتحول من النظر وحيد الجانب الى العالم الاخر الى الاهتمام بالمشاكل الحديثة. وان المخاطر المحدقة بالديانة القبطية وقلة عدد الاقباط فى الوظائف الكبرى وغيرها يمكن ان تحفز على هذا التحول وان تصوغ راهبا فى حالة بطولية يتحدى الاغلبية المسلمة و الضغوط المتعددة ضد الاقلية . وانه يمكن فى اى وقت ان يظهر من احد الكهوف المنعزلة فى الصحراء راهب يتخذ مسوح المخلص . ويستمر الكاتب مؤكدا ان القبط باقامتهم الروابط مع التيار الاساسى للمسيحية فى العالم ، مع تنمية انتماءاتهم الدولية، يجعلون من الصعب على اى نظام مصرى ان يهاجم كنيستهم بغير ان يتعرض هذا النظام لردود فعل قوية ، وبقدر ما تهتم الحكومة المصرية بالدعاية الخارجية، يجب على الاقباط ان يهتموا بهذا السلاح الاحتياطى، فان خطبة واحدة تظهر شكاوى القبط فى اى اجتماع دولى ، وتصطحب بالتغطية

الصحفية المناسبة ، لقادرة على جذب اهتمام عبد الناصر الى صيحات القبط فى بلده .

***

الفصل الثانى

الجسر

"ما حدث فى المجتمع حدث فى الكنيسة • وكما تجمعت كل الخيوط لتصنع ثورة يوليو، تجمعت خيوط مشابهه لتحدث ثورة يوليو الكنسية - ان جاز التعبير - • وبينما اتخذت ثورة يوليو طريق الانقلاب تميزت ثورة الكنيسة بسمة الحذر القبطى، فكانت ثورة صامتة او ثورة من الداخل " لعل هذه الفقرة يمكن ان توجز ما شهدته الكنيسة القبطية بعدما تولى البابا كيرلس السادس • فقد وصل الى موقع البابا بفضل مساندة جيل الرهبان الجدد • أو جيل الاربعينات ـ كما اصطلح على تسميتهم ـ وحان الوقت لان يساعدهم كما ساعدوه ليس هذا فقط، بل انه " اصبح الأن فى حاجة الى دعم قوى و مؤثر داخل المجمع المقدس لقد كان البابا كيرلس السادس يعمل حسابا قبل أى قرار يتخذه للمطارنة و الأساقفة الذين يرفضون التجديد، لانهم هم الذين عزلوا البابا يوساب قبله " هكذا قال البابا شنودة فى الاجابة عن بداية التغيير داخل الكنيسة وعما دفع البابا كيرلس للقيام بهذا الدور •

ويضيف البابا شنودة " ان البابا كيرلس كان يمثل الرهبان القدماء وقد احتضن فكرا حديثا، وعاش بين الفكرين القديم و الحديث، كان يساعد على نشر الافكار الجديدة، وكان يبقى على بعض الاوضاع القديمة " وكانت اهم مطالب الرهبان الجدد اسقفيات جديدة تعطيهم مكانا فى المجمع المقدس • ولم تكن هناك اسقفيات خالية، وهكذا اقدم البابا كيرلس على خطوة جديدة لاول مرة فى الكنيسة القبطية، فانشأ اسقفيات جديدة لا تمثل مناطق جغرافية، "اساقفة دولة" كما جرى التعبير

فى ذلك الوقت ، فرسم اساقفة يتفرغون لمهام معينة دون ان يرتبطوا بمناطق جغرافية او سكانية محددة • فعين - او رسم - اسقفا للخدمات ومسئولا عن العلاقات الدولية للكنيسة وكان اسمه " سعد عزيز " خريج اداب واصبح راهبا باسم " مكارى السوريانى " واصبح اسقفا باسم " الانبا صموئيل " وكان مسئولا عن العلاقات الخارجية للكنيسة القبطية ، والاتصال بالكنائس الاخرى والمؤسسات الكنسية العالمية •

ورسم اسقفا للبحث العلمى ، وكان هو " وهيب عطالله " وهو حاصل على دكتوراه فى فلسفة اللغات ، ورسم اسقفا باسم الانبا " جريجوريوس " • وكان الثالث لاكثر النجوم لمعانا بين جيل الرهبان الجدد " نظير جيد " الذى تخرج فى كلية الآداب وعمل صحفيا وكاتبا وشاعرا قبل ان ينخرط فى سلك الرهبنة • ورسم اسقفا للتربية فى الكنيسة باسم الانبا " شنودة " والذى اصبح فيما بعد البابا شنودة •

وهكذا فرض القدر ، والواقع الجديد على البابا كيرلس ان يكون الجسر بين القديم والحديث وان يسمح فى عهده لبذور الثورة والتغيير داخل الكنيسة لان تنمو وتتمكن من احتلال مواقع قيادية وقوية تمكنها من الوصول الى غايتها فى التغيير• ولكن ، هل كان البابا كيرلس مدركا لما يحدث ، وهل كان يستهدف ان يبدأ فى عهده عملية تحديث وتغيير فى الكنيسة ؟ تضاربت الاجابات والتصورات حول هذه التساؤلات فهناك من اكد ان البابا كيرلس كان مقتنعا بأن ما يقوم به من" تجديد دم " للكنيسة هو مسألة اساسية لتقوية الكنيسة

وتطويرها ، وهناك من يعتقد انه لم يكن مدركا لان ما يقوم به سيؤدى حتى الى تغيير ، وان هدفه كان محصورا اما فى رد جميل من ساندوه من الرهبان الشبان ، او دعم وجوده ومركزه برسم مجموعة من تلاميذه أساقفة ليكونوا دعما له داخل المجمع المقدس. ولعل من المناسب فى هذا المقام أن أسوق جزءا من الحوار الذى دار بينى وبين البابا شنوده حول هذه القضية ، وحرصت على أن أترك النص كما هو توخيا للدقة.

* اذا اعتبرنا أن البابا كيرلس يمثل آخر رجال الحرس القديم - اذا صح التعبير - فى الكنيسة ممن تولوا البطريركية ، ألا تعتقد أنه قام بدور أساسى فى عملية نقل و تغيير الكنيسة هذه النقلة الكبيرة ؟

** نشأ البابا كيرلس فى المجموعة القديمة ، ولكن كانت له فضائل شخصية تميزه ، فلما اختير للبطريركية أصبح جسرا بين القديم والحديث. القديم من حيث نشأته هو ، والحديث باستعانته بعدد من أولاده من الجيل الجديد كى يخدموا معه. فشهدت رحلته الاثنين القديم والجديد ، وعن طريق الأخير دخلت أشياء جديدة.

* رغم أن البابا كيرلس انتمى للجيل القديم الا أنه احتضن الجيل الجديد ، هل كان هذا تعبيرا عن عدم رضا عن الدور الذى تلعبه الكنيسة أم عن عدم رضا عن الجيل القديم وادائه ، فى تقديرك ما هى الدوافع التى دفعته لذلك ؟

** كان البابا كيرلس يحب الروحيات، وكان هؤلاء الأشخاص يمثلون جوا روحيا اعتمد عليه فيما بعد، وكانوا أبناء له في الاعتراف وأبناء روحيين له •

* هل كانت علاقته الشخصية أم رغبته في التغيير هي الدافع ؟

** الاثنان معا، فالعلاقة الشخصية يمكن ان تستخدم بأن يثق في أشخاص يمكن أن يقوموا بعمل سليم سواء كان هذا العمل فيه تغيير أو لا•

* هل كان يقصد التغيير أم لم يكن يقصد التغيير ؟

** على الاقل كان يقصد التغيير في الروح وليس في المنهج، أن يعملوا بطريقة روحية سليمة لا أن يخترعوا أفكارا جديدة •

* قام البابا كيرلس بخلق أبرشيات جديدة ليسكن فيها الجيل الجديد؟•

** هو استحدث عبارة الاسقف العام ،وكنت أنا اول اسقف عام يرسمه ، فرسمت اسقفا عاما للتعليم ومعي الانبا صموئيل اسقف عام للخدمات ، وتقسيم الأبرشيات هو الذى بداه ، فمثلا أبرشية الجيزة والقليوبية أصبحت اسقفيتين ، وكذلك الحال لبعض الابرشيات الاخرى مثل الدقهلية ودمياط • وكان يرسم اسقفا قديما على احدى الابرشيتين والآخر جديدا • رسامة أولاده كان يضمن بها جوا روحيا ، ويضمن بهم أيضا اتجاه المجمع المقدس •

* كيف استقبل القدامى العناصر الجديدة القادمة ، وكيف استقبل من ينتمون للفكر القديم تلك الثورة داخل الكنيسة (ثورة بمفهوم التغيير) ؟

** أصحاب الفكر الجديد كانوا أيضا من النوع المسالم الهادى الطيب الذى لايؤذى وكان القدامى يقبلونهم من أجل روحهم الطيبة دون ان ينافسوهم .

* لكن فعليا خلق هذا جو منافسة؟.

** لا .. اذا كان كل مطران فى ابرشيته فتكوين أو خلو ابرشية لا يضره فى شيء.

* لكن من طبائع الامور أن يحدث شكل من أشكال الصراع بين القديم والحديث ، فمابالك عندما يأتى عدد من الاتجاه الجديد ويحتل مواقع متميزة يعتبرها القدماء تنتمى لهم أكثر مما تنتمى للآخرين؟

** يمكن أن ينسب هذا الأمر الى الأديرة وليس الأبرشيات فالاديرة اذا دخلت فيها عناصر روحية جامعية وقوية ربما يشعر الرهبان القدامى بأنه اذا احتاجت الوظائف الى رهبان فسيكون هؤلاء الجدد هم المفضلين ، لاشك ان مثل هذه المشاعر يمكن أن توجد ولكن اذا كان هؤلاء الجدد يقابلون الرهبان القدامى بروح طيبة ومعاملة طيبة فلا تؤثر مثل هذه المشاعر

* لمـاذا كـان اصرار البابا كيرلس على تعيينك اسقفا عامـا للتعليم ، وماتفسيرك لهذه الرغبة الشديدة عنده والتى كانت تتعارض مع رغبتك كما ذكرت ؟.

** كـان بـينى وبينه محبة كبيرة ، عندما كنت علمانيا كـانـت بـينى وبينه صداقة وكان يثق بى ، وعندما عملت كسكرتـيـر له كـنـت امـثله فى اغلب الانشطة . ولذلك فاصراره يـمـكـن تفسيره كنوع من الثقة ، وان يضع احد ابـنـائه فى موقع مسئولية ، وايضا يمكن أن يحقق مطلبا جماهيريا فى نفس الوقت .

* ماذا تعنى بمطلب جماهيرى ؟

** هؤلاء الاشخاص الذين اختارهم ليرسمهم اساقفة كانوا قـبـل ان يترهبنوا قيادات معروفة ومحبوبة ولهم فكرهم وتـأثيرهم على الآخرين ، فعندما يرسم ايهم كاسقف يؤدى هذا الى تأثير شعبى كبير جدا للبطريرك نفسه.

* هل هذا يـعنى بشكل او بآخر ان البابا كيرلس وقتها كان يحتاج الى دعم شعبيته فى هذه الفترة ؟

** لا اريـد ان اتـحدث فى هذا المـوضوع كـثـيرا ، لكن لانـنـسى انـه فى عهد البـابـا يوساب ـ البابا السابق لكيرلس ـ ثار المطارنة على البابا وعزلوه.

* وبالتالى كان يحتاج الى دعم ؟

** لا أستطيع أن أقول هذا ، ولكن أن يكون بجانبه مجموعة من أولاده فهذا يعطى روحا جديدة و فى المجموع تأييدا للبابا نفسه .

* هل نستطيع أن نقول أن البابا كيرلس كان يدرك أنه بهذا يقوم بعملية تحديث وتطوير غير عادية فى الكنيسة ؟.

** لا .. لم يفكر فى هذا .

* ولكن هذا ماحدث فيما بعد كتطور طبيعى لكل ما حدث؟

** عبارة تطوير أو تحديث الكنيسة أمر لا تقبله الكنيسة ، لأن المعروف أن كنيستنا كنيسة تقليدية تحافظ على الأوضاع القديمة ، بل يكاد يشبه وضعها الحالى وضع الكنيسة فى القرن الأول الميلادى . لذلك تعبير تطوير أو تحديث الكنيسة وصف غير مقبول فى الوسط الكنسى ولكن كل ما كنا نقوله نحن هو أن نرجع الكنيسة الى أوضاعها القديمة الأولى التى كانت الكنيسة فيها فى أفضل أوضاعها ، فلم يكن الهدف تحديث الكنيسة بقدر ما كان ارجاع الكنيسة الى وضعها المشرق القديم الذى كان موجودا أيام القرن الأول .

***

الأمر الاكيد أن التغيير بدأ مع البابا كيرلس . سواء كان مدركا لذلك ، أو بدافع من رغبة فى تدعيم مركزه داخل المجمع المقدس . الا أن الاكيد أيضا أنه لا يملك أن يقوم بهذا الدور الا شخص يمتلك مقومات كتلك التى

كان يتمتع بها البابا كيرلس السادس • فعبر آخر رجال الحرس القديم مر الجيل الجديد ، وبدأت الكنيسة المصرية فصلا جديدا •

وصول جيل الاربعينات الى السلطة الكنسية يميل البعض الى تفسيره فى اطار مفهوم " خاص " • ويعبر عن هذا المفهوم محمد مورو الكاتب الاسلامى اذ يعتقد ان الخط العام للاقباط والكنيسة القبطية هو انها كنيسة مستقلة فى عقائدها وتختلف فى تلك العقائد عن الكنائس الاوربية ، وانها كنيسة ذات تراث تقليدى فى الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية • وانها عانت من الاضطهاد طويلا على يد الرومان ثم الصليبيين ثم الاستعمار بهدف تذويبها او القضاء عليها وانها اصبحت جزءا لايتجزا من الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية •

يستمر محمد مورو مشيرا الى انه بجوار ذلك الخط العام كان هناك خط هامشى تمثل فى بعض الاقباط الذين تعاونوا مع سلطات الاحتلال الفرنسى ثم الانجليزى مثل الجنرال يعقوب واخنوخ فانوس وغيرهما الا انه خط لا قيمة له حيث ان العملاء لا اثر لهم و لاقيمة على المستوى العام وهم ملفوظون من الجميع • الا ان هناك خطا ثالثا بجوار الخط الرئيسى العام والخط الهامشى الذى لا قيمة له وهو ما نطلق عليه القوة الثالثة ، وهو خط خطير - وفقا لراى محمد مورو - حيث يضم قطاعات من المثقفين والوجهاء ويريد ان يفرض رايه على الكنيسة المصرية ضاربا عرض الحائط بتراث الكنيسة وتقاليدها التاريخية وعقائدها الخاصة • وقد شجع الاستعمار هذه القوة لانه وجد ان من المستحيل استخدام

القوى التقليدية فى الكنيسة لتحقيق اهدافه فهذه لها تراثها وتقاليدها وعقائدها المعادية لكل ما هو اوربى كما ان الاستعمار كان يدرك ان العملاء قوة لا يعتد بها وهكذا اختار الاستعمار دعم القوة الثالثة لانها اقدر على تنفيذ مخططاته فهى اولا لا تتمسك بالتراث القبطى التقليدى ، ثم ان ولاءها للحضارة الاوربية اكبر من ولائها للكنيسة بل ولها مصالح اقتصادية واجتماعية تبرر لها التحالف مع السلطة الاستعمارية او مع اية سلطة . وقد ظهرت تلك القوة لاول مرة فى صورة السيطرة على المجالس الملية التى ادخلها البابا كيرلس الخامس للاشراف على الشئون المالية والمدنية للكنيسة وكان من الطبيعى ان يحتدم الصراع بين الاكليروس الذى يمثل التقاليد الطبيعية للكنيسة وبين تلك القوة الثالثة المرتبطة فكرا وسلوكا بالنمط الحضارى الاوربى وشهدت مصر صراعا طويلا بين تلك القوتين ، بل لقد حاولت القوة الثالثة برئاسة بطرس غالى ان تطيح بالبابا كيرلس الخامس وان تستعين بالاحتلال والخديو وتستصدر قرارا بتعيين بطريرك آخر مكان الانبا كيرلس الا ان الاقباط تمسكوا بالانبا كيرلس واكتشفت القوة الثالثة - والحديث مازال لمورو - انه لا مناص لها ولكى تنفذ الى اعماق المجتمع القبطى فلا بد من السيطرة على الاكليروس ليتسنى لها تنفيذ مخططاتها استنادا الى القوة الروحية التى يمثلها الاكليروس وانشاء عدد من الجمعيات التى تطالب بالحكم الذاتى مثل جمعية الامة القبطية ، والنشاط الكبير بين اقباط المهجر لان ذلك يعطيها النفوذ السياسى والمالى ايضا • وفى هذا الاطار فقد سعت تلك القوة الثالثة الى الوصول الى اغراضها عن طريق دعم انتخاب البابا كيرلس

السادس عام ١٩٥٩ الا ان البابا كيرلس لم يكن يمثلهم تماما وان كان قد فتح لهم ابواب النفوذ فى المجتمع القبطى عبر مدارس الاحد او انشاء ابرشيات جديدة يسيطرون عليها • وكان من الطبيعى ان الزحف الطويل والمنظم للقوة الثالثة سيسفر عن سيطرة تلك القوة الثالثة على الاكليروس ، ففى سنة ١٩٧١ تم اختيار البابا شنوده الثالث بطريركا للكنيسة القبطية •

***

بينما يلجأ د• محمد مورو الى تفسير التطور الذى شهدته الكنيسة المصرية تفسيرا تآمريا يلجأ د. رفيق حبيب الى التفسير الطبقى لما حدث • فهو يعتقد ان جيل الاربعينات وجد نفسه امام احد قرارين - كما سبق ان ذكرنا - اما الخروج الى المجتمع العام والذوبان فيه او البقاء داخل الكنيسة والعمل من خلالها • وكان اختيار الكثيرين هو العمل العام خارج الكنيسة ومن هؤلاء نجد الكثير من اعلام المجتمع والسياسة اليوم ومنهم نجد من لم يتكيف مع الحياة او ضاقت به الحياة ووجد طريقه الى بلاد المهجر• اما البعض الآخر فقد اختار العمل من داخل الكنيسة وظل حلمه تحقيق انجاز قومى ، وكان هذا الاختيار عاملا يدفع الكنيسة الى معترك الحياة العامة • كان على جيل الاربعينات الذى شق طريقه من داخل الكنيسة ان يكون جيل الصدام • وقد تجسد ذلك فى صدام الكنيسة والدولة •

فى الكنيسة الارثوذكسية تقدم للرهبنة مجموعة من حاملى الشهادات الجامعية وكان ذلك ظاهرة جديدة ادخلت الى الاديرة ابناء المدينة ، بعد ان كانت مقصورة على ابناء القرية •

ولا نقصد المعنى الضيق للمدينة والقرية ولكن نعنى مجموعة القيم التى نشأت فى المدينة متأثرة بالتعليم والصناعة وتلك القيم التى نشأت فى القرية متأثرة بالزراعة والفطرة •

ويفسر د• حبيب كيفية شق رجال الدين الجدد لطريقهم وكان ذلك بتوسيع دائرة الاهتمامات الدينية ، لذلك كان لهذا الجيل عدد من المراحل المتتالية تعبر عن مراحل تطور اهتماماتهم ورؤيتهم الدينية وهذه المراحل هى :

١ ـ الاهتمام بالحياة اليومية
٢ ـ التركيز على العمل الاجتماعى
٣ ـ الاهتمامات السياسية

وهكذا يتم توسيع دائرة الرؤية الدينية لتشمل حياة الفرد ، ثم الجماعة ، ثم المجتمع • وبهذا يبدأ الطريق داخل الكنيسة ليصل فى النهاية الى الحلم الأول وهو تحقيق انجاز قومى •

من خلال هذه الرؤية كان الطريق يبدأ بالهجرة ، هجرة الرهبان الى الأديرة وبذلك كانت المرحلة الأولى البعد المؤقت عن القضايا العامة والتركيز على القضايا الدينية ومن خلال هذه المرحلة استطاع هذا الجيل الجديد أن يثبت مكانه فى الكنيسة وبعد ذلك كان عليه أن يبحث لنفسه عن مكان فى المجتمع •

ويستمر د• حبيب فى تفسيره الطبقى لتطور الكنيسة • فيحدد موقف جيل الاربعينات بانه يختلف عن الاجيال

السابقة ، فهو جيل ينتمي للطبقة الوسطى ، فى الوقت الذى شهد تضخم الآمال وتزايد العقبات ، فمنذ بداية القرن العشرين بدأت الطبقة الوسطى فى النمو من خلال التعليم والحاجة الى الموظفين • ولهذا شهد هذا القرن تنامى آمال هذه الطبقة • وشهد بالتالى صراعا من أجل تحقيق هذه الآمال ، وهى ظاهرة عامة تشمل المسلمين والاقباط •

فعلى المستوى القبطى كان نموذج حبيب جرجس ومدارس الآحد من أوضح العلامات على بداية الصراع بين الطبقة الوسطى والطبقة العليا • ومنذ ذلك التاريخ نشهد الكثير من المحاولات التى يهدف من خلالها أبناء الطبقة الوسطى الى خلق مكانة خاصة بهم فى المجتمع. فى هذا المناخ كان جيل الاربعينات يدرك مافى الواقع من مشكلات تحول بينهم وبين النجاح • لهذا اختار الاقباط طريق الكنيسة باعتباره طريقا آمنا • ولم يكن هذا الاختيار سمة عامة للشباب القبطى ، بل كان اختيار جماعة محددة • وعبر سنوات هذا القرن كان هذا الاختيار يكتسب تدريجيا مزيدا من المؤيدين •

وهكذا تمكن جيل الاربعينات من الطبقة الوسطى من أن يحتل الكنيسة من الداخل وأن يكون له تواجد مؤثر وكان ذلك خطوة فى طريق قيادة الكنيسة •

أيا ما كان التفسير ، سواء كان ذلك مدركا أو غير مدرك ممن حدث التغيير فى عهدهم ، فان الاكيد أن الامور تغيرت كثيرا ، وأن جيلا جديدا قادم ليقود الكنيسة ،

بمفهوم جديد يختلف عن المفهوم السائد حتى وقتها • وان هذا الجيل له نجومه •

***

عاش الشعب المصرى كله الحلم مع عبد الناصر ، الذى استطاع أن يشكل انسانا مصريا جديدا تملؤه العزة والاحساس بالذات • وساعد على ذلك الانتصارات المتتالية التى استشعرها المصريون • واستطاع عبد الناصر أن يحقق الكثير من الانجازات فى عهده ، سقطت الملكية ، وقامت الجمهورية ، ورأى الشعب تأميم شركة قناة السويس ، وشهد فشل امبراطوريتين كبيرتين فى منعه من تحقيق هدف الشعب فى تأميم قناته ، وشهد المصريون بلدهم فى موقع زعامة معترف بها فى عالم عربى جديد •

ولكل هذه الانجازات ، ومع كل الأحلام التى صنعها عبد الناصر داخلهم ظن الجيل الجديد أن أكبر الأهداف يمكن تحقيقها ، بل وهو قادر على ذلك • ثم جاءت كارثة حرب ١٩٦٧ ، ولم يستطع النظام - أيا كانت الظروف - تحقيق الهدف الأساسى لأى نظام وهو قدرته على حماية حدود وطنه واهتزت شرعية النظام • ووقعت هزيمة ٦٧ كالزلزال الذى قضى على أشياء كثيرة فى سرعة كبيرة ، وهوى " غرس الثورة و" ثمارها " من قمة الزهو الى قاع الاحباط •

كان الوجه الآخر للهزيمة عميقا ، يتكون ويتبلور تحت السطح ، فالكارثة العسكرية كانت عنوانا فقط لجملة كوارث اجتماعية وثقافية وسياسية • وكانت الشخصية العملاقة لجمال عبد الناصر هى التى تحجب الوجه الآخر للهزيمة • وقد كان هو أول من نبه الى ظهور " الطبقة

الجديدة " عام ١٩٦٥ ، واول من لفت الانتظار الى "حزبها المنظم " ، واول من قال بعد النكسة " لقد سقطت دولة المخابرات " . كانت هذه الاقوال تحتاج الى افعال الى ما دعاه عبد الناصر نفسه " ثورة فى الثورة " . ولكن هذا لم يحدث فظلت الاقوال هائمة على وجهها حتى رحيل صاحبها .

وكأنه قدر للنظام ان يهزم مرتين فى شهر واحد ، مرة باحتلال سيناء ومرة عندما راح الشعب يغنى من الغيظ : "قولوا لعين الشمس ما تحماشى احسن الجيش المصرى راجع ماشى " . ويضيف عادل حموده فى كتابه " الهجرة الى العنف " مستشهدا بدراسة للدكتور عمر شاهين " مثل رفاق الحسين (رضى الله عنه) " راح المصريون يجلدون انفسهم ويطرزون بايديهم كفنا جماعيا ، ومع عمق الاحباط انتشر الاحساس بالحزن والالم واتهام الذات واتهام الآخرين ، وانتشر الاحساس باليأس من المستقبل والانطواء على الذات ، وهكذا اوشك المجتمع المصرى ان يصبح جزرا آدمية تعيش فى وطن واحد وقلوبها شتى ، وكان ان راح اقدم مجتمعات الارض حضارة يفقد اشهر خصاله واحدة بعد الاخرى. انكمش الاحساس بالآخرين واصبحت الذاتية هى القاعدة . احترقت الجسور بين الفرد والمجتمع ، وابتعد القادرون - بالهجرة - عن السفينة الغارقة .

فى هذا المناخ كانت الجماعات الدينية احد البدائل المهمة التى جذبت الشباب فقد ولدت هذه الجماعات فى احضان هزيمة ١٩٦٧ ، فاصبح الدين ملجأ يحتمون به من عصف الهزيمة ، والاحساس بالضياع ، وبدا دور المسجد

يكبر ، وعلى الجانب الآخر بدأت الكنيسة هى الاخرى تتحول لعامل جذب للشباب ، وعلى الرغم من أن البابا شنوده ينفى أن يكون لهزيمة ٦٧ اثر فى ازدياد التفاف الاقباط حول الكنيسة الا أن العديد من الدارسين يؤكدون عكس ذلك ٠

وفى مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، اختفى عبد الناصر ، وعلى الرغم من رفع شعار " الاستمرارية " ، الا أن الأمر المؤكد أن هذا الاختفاء كان يؤذن بانفجار كل ما كان مكبوتا ، أو بشكل آخر حانت الفرصة لكى يظهر الوجه الاخر للهزيمة واضحا ومؤثرا وايضا حانت الفرصة لكل القوى التى اشار اليها عبد الناصر عقب الهزيمة "بالطبقة الجديدة " و " حزبها المنظم " لأن تتولى السلطة ٠

كانت وفاة جمال عبد الناصر هى أول - واكبر - حدث انقلابى تقريبا تشهده مصر مع بداية عقد السبعينات، حتى أن كل الانقلابات التالية التى شهدتها مصر يمكن القول انها بشكل أو بآخر قد خرجت من معطف الحدث الانقلابى الاكبر ٠

شيعت مصر عبد الناصر - فى جنازة شارك فيها ٦ ملايين مصرى - الى مثواه الأخير ، كانت جنازة شعبية ، تلقائية مذهلة ٠ وبعد حوالى اسبوعين ، وفى ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ اصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بعد استفتاء نال فيه ٩٠٫٠٤ ٪ من اصوات الذين شاركوا فى الاقتراع على رئاسته ٠ واصبح حاكم مصر ،" وان لم يصبح بعد حاكما له كامل الحرية فى قراره ، لأن تحديات

كبيرة لسلطته كانت لاتزال تنتظره عند أول منحنى من الطريق " • كما يقول هيكل • وأمام كاميرات التلفزيون وفى مجلس الامة عندما ذهب ليؤدى اليمين انحنى السادات أمام تمثال عبد الناصر فى انفعال وتأثر ، بعد أن أكد أنه سيمشى على طريقه • ولكن ظل عبد الناصر التحدى الحاضر الغائب دائما أمام السادات •

وبعد حوالى خمسة أشهر من رحيل عبد الناصر ، رحل البابا كيرلس فى ٩ مارس ١٩٧١ ، وفى ١٥ مايو ١٩٧١ حسم السادات الصراع على السلطة وأزاح كل رجال سلفه من منافسيه أو منازعيه على السلطة ، سمى البعض ما حدث " انقلابا " ، والبعض فضل تسميته " حركة " ، أما السادات فرأى أنه " ثورة " • كان انقلاب السادات يعنى لحلفاء النظام الطبيعيين - أو من كانوا يعتبرون أنفسهم كذلك - انذارا مبكرا ، بأن للنظام الجديد توجهات جديدة ، وبالضرورة حلفاء جدد • ولم يحتج السادات الى وقت طويل ليقع اختياره على الاخوان المسلمين ليكونوا هم الحلفاء الجدد • وقد بدأت الاتصالات الاستكشافية بين الاخوان والسادات سرا ، وكان ذلك بمساعدة حاكم عربي كبير ، وبعض المنظمات الاسلامية فى الخارج وقد بدأت الاتصالات الجدية فى بدايات صيف ١٩٧١ أى فى أعقاب ١٥ مايو وقال لهم السادات وقتها " انه يواجه المشاكل من نفس العناصر التى قاسوا منها ، ثم أنه يشاركهم أهدافهم فى مقاومة الالحاد والشيوعية ، وكذلك فان عبد الناصر قد خلف له تركة ثقيلة "•

بدأ النظام يرسم لنفسه مسارا جديدا ، وتحالفات جديدة

وبدات مصر مرحلة السادات ، ايضا بغياب البابا كيرلس طوت المرحلة الانتقالية اوراقها وبدات مؤشرات مرحلة جديدة للكنيسة ، فقد حان لجيل الرهبان الشبان أن يتولى مقاليد الامور ، وعلى الرغم من تحفظ الجيل القديم فى أن يبتعدوا عن صدارة الكنيسة الا أن البابا كيرلس كان قد مهد الأرض للاتجاه الجديد ، لذلك كان مؤكدا ان عملية نقل السلطة محسومة لذلك الاتجاه الجديد •

لعله من المناسب هنا ان نورد تحليل د• غالى شكرى عن وضع الكنيسة فى أول السبعينات ، حيث يعتقد انه لم يكن ثمة اختلاف على أن مرحلة الانتقال قد انتهت وأن احد رموز النهضة وصناعها ـ أيا كان اسمه ـ هو الذى سيتسلم السلطة •

كانت القاعدة الاجتماعية لهذه " النهضة الكنسية " قد تبلورت تدريجيا فى اجيال من الشباب استفادت مباشرة من الاجراءات الناصرية ، خصوصا من التعليم المجانى • كان المشهد الاجتماعى فى اطار المؤسسة الدينية المسيحية قد تغير ، ولم يعد الباشوات او البكوات من الاقطاعيين واشباههم هم مركز الضغط الأول فى الكنيسة • بل ان الغاء الحياة الحزبية فى العهد الناصرى قد دفع بالقواعد القبطية لحزب الوفد (حزب الطبقة الوسطى بشرائحها المختلفة قبل الثورة) الى اعتبار الكنيسة هى " حزبهم الجديد " كانت الاجراءات الاجتماعية الناصرية قد غيرت كثيرا فى البنية الطائفية • فلم تعد هناك المصارف والشركات والاراضى التى يمتلكها كبار الاقباط واعيانهم • وتحولت قطاعات كبرى من مصاف

البرجوازية العليا الى فئاتها المتوسطة • وازدادت نسبيا أعداد الموظفين منهم ، وهم الذين تربوا غالبا وتقليديا على العمل الحر • ونمت القطاعات الشعبية فى الريف والمدينة • واصبح العمال والفلاحون منهم قادرين على تعليم أبنائهم وبناتهم حتى أعلى درجات التعليم • ولكنهم كبقية أبناء الشعب المصرى لم يجدوا الحزب السياسى العلنى ، بل الاحزاب السياسية القادرة على تنظيمهم فى عمل عام • قلة قليلة التحقت بالحركة الشيوعية ، كما كانت هناك القلة القليلة من المسلمين التى التحقت بالاخوان • لكن الكثرة التحقت بالكنيسة من أبوابها الأمامية :

مدارس الاحد ، الكلية الاكليركية ، المعاهد المتخصصة والأديرة •

***

وهكذا شهد مطلع السبعينات بدايات التغيير المزدوج فى الدولة والكنيسة ، وبدأت معايير القوى فى المجتمع تتغير ، وبدأت ثمار التغيير فى الكنيسة تنضج ، واصبح أنور السادات رئيسا لمصر ، واصبح البابا شنودة رئيسا للكنيسة القبطية •

الفصل الثالث

مشروع " بابا "

* مشروع "بـــابـــا"

فـى قـــرية " سلامة " ، الـتـابـعة لـمـحـافـظة اسيـوط وفـى احدى لـيـالـى الـصيف الـحـار (٣ اغسطس ١٩٢٣) رزق جيد روفـائيل بـــابـنـــه الـثـالث على بنـاتـه الـخمس ، و اطلـق عـلـى مولـوده اسم "نــظيـــر" وبـعـد سـاعـات قـليـلـة من الـولادة تـوفـيت الام بـحمـــى الـنـفـاس ،و تـركـت الـرضيـع بـدون ام ، فـتـولـت شـقيـقـتـه الـكـبرى الـمـتزوجة ارضاعه . هكذا نـشا الـطفل نـظيـر معـتـمدا عـلـى الـمـــرضعات الـمـــسيـــحيـــات و الـمـــسلمـــات مـــن الاقـارب و الاغراب.

كـــان الـوالـد يـــعد مـــن بين الاغنيـاء اذ ورث عن والـده ١٢٥ فـدانـــا ، ويـــتـــحدث الـبـــابـا شنـودة عن والـده :هو رجل ريـــفـى بسيـط وطيـب، كـان يـمـثـل الـجـانـب الابوى الـعطوف، لـكـن الـرعـايـــة و الـتـــهذيـــب و الـتـــاديـــب و الـجدية كـانـت من اخى الاكـبر روفـائيـل الـذى انـتـقـلـت لـلـعيش مـعه فـى دمـنـهور حيث كـان يعمل موظـفـا بـاحدى ادارات وزارة الـمـالـيـة . و الـتـحقـت بـــالـمـــدرسة فـى الـسنة الـتحضيـرية ثـم امضيت عـامـا اخـر فـى الـمرحلـة الابتـدائيـة . بعدهـا انـتـقـلـت الـى الاسكـنـدرية لامضى بـهـا عـامين مع اخوتـى ثم عدت مرة ثـانـيـة الـى اسيـوط لاقضى بـهـا الـسنـة الـنـهـائيـة بـالابـتـدائـى "الـرابعة الابـتـدائيـة" .

فـى هذا الـتـــوقـــيـــت كـان عـام ١٩٣٣ بدا نـظيـر واخوه الـذى كـان يكبـرة قـلـيلا (شوقـى) فـى الاهـتـمـام بـالـمسائـل الـديـنـيـة ، وبدا فـى دراسة الـديـن والارتـبـاط بـه وكـان الـسبـب الـرئيسى فـى تـزايـد اهـتـمـامـهـمـا طـبـيـعة شخصيـة مطران اسيـوط فـى ذلـك الـوقـــت الانـبـا مكـاريوس (اصبـح بطريركـا فيـمـا بـعد) كـان يـــعـتـــبـــره الـبـــابـــا شنـــودة "مـــن افضل مطارنـة الـكـنـيـسة الـقـــبـــطيـــة" وايضا وجود واعظ شهيـر اسمه اسكـنـدر يـوحنـا

وكان رئيس الشمامسة ويصف البابا شنودة تلك الفترة:
"انجذبنا انا وشقيقى الى الجو الدينى بفضل صلوات الانبا مكاريوس وعظات اسكندر يوحنا لدرجة ان شقيقى تشبع بهذا الجو وتحول الى الدراسة فى كلية اللاهوت واصبح قسيسا وظللت انا فى هذا الجو الدينى احضر دروس التربية الكنائسية واحفظ الترانيم والمزامير وكانت هذه هى البداية لارتباطى بالجو الدينى حتى الان.
وبسبب انغماس نظير فى الجو الدينى لم يحصل فى ذلك العام (١٩٣٣) على الشهادة الابتدائية فاخذه اخوه معه مرة اخرى ولكن الى بنها حيث مقر عمله الجديد، وحصل من هناك على الشهادة الابتدائية : ولم تكن هناك سوى مدرسة ثانوية اميرية واحدة ولكنها لم تقبل نظير وذلك لانه لم تكن له شهادة ميلاد، فيبدو ان وفاة والدته السريعة في حر صيف الصعيد شغل الاهل عن الاهتمام باستخراج شهادة ميلاد له.ولذلك اضطر اخوه لرفع دعوى لقيده ضمن سواقط القيد.

يقول البابا شنوده عن هذه الفترة " لقد مرت علي مجموعة من الظروف التي اثرت في شخصيتي ، فطفل يعيش مع اخيه الكبير الموظف الذي لا يتواجد في المنزل لفترة طويلة و لم يكن قد تزوج بعد ادي هذا الي وجود وقت فراغ كبير كنت اقضيه في القراءة . اتذكر انني قرأت كتابين لطه حسين و انا في الرابعة الابتدائية "الايام " و " قادة الفكر " ، كنت اقرا في كل المجالات و احيانا كنت اقرا خطب المحامين الفصيحة التي كانت تنشر في الصحف في ذلك الوقت . و كانت هناك فرصة اخري سنحت لي علي الرغم مني ، فلقد ولدت في اغسطس ١٩٢٣ وتوفيت والدتي مباشرة فلم يهتموا بتقييد اسمي في سجلات

المواليد فاصبحت من سواقط القيد ، و دخلت مدارس اهلية حتي انتهيت من الدراسة الابتدائية و لذلك لم تمثل شهادة الميلاد مشكلة ، و عندما رغبت في دخول المدرسة الثانوية لم تكن هناك سوي مدرسة اميرية واحدة في بنها لم تقبلني لعدم حصولي علي شهادة ميلاد رفعنا دعوى لتقييدي ، و استغرقت القضية أربع سنوات ، وارسلوني الي الطبيب المختص لتحديد عمري (التسنين) و اتذكر وقتها و كان عمري احد عشر عاما انني قلت للطبيب اياك أن تقع في خطأ ، فمن الجائز ان يولد طفل لاب يتوفى و قد ترك الجنين في بطن زوجته ، و لكن من المستحيل ان يولد طفل بعد وفاة والدته . و قال الطبيب هذا طبيعي فاضفت أن والدتي توفيت في التاريخ الفلاني بحمي النفاس و معني ذلك ببساطة انني لم اولد بعد هذا التاريخ و ضحك الطبيب و حدد تاريخ ميلادي الطبيعي و الصحيح و هو التاريخ الذي يسبق بيوم او اثنين تاريخ وفاة والدتي المثبت في الشهادة الصحية التى تصرح بالدفن "

يستمر شنودة في تذكر تلك الايام " لقد دفعت ثمنا غاليا لشهادة الميلاد اذ بقيت سنين بدون مدرسة الي أن نقل اخي الي القاهرة ، فكان عندي مجال واسع جدا للقراءة في كل شيء ، فقد كنت اقرأ كل كتاب يقع في يدي ، قرأت خلال هذين العامين في الادب والاجتماع وحتي الطب فتكونت لدى كمية هائلة من المعلومات في سن صغيرة جدا . و الاهم أن القراءة تحولت الي عادة نفسية و عقلية . و هو الامر الذي ساعدني في حياتي المقبلة مساعدة كبيرة . لذلك عندما دخلت التعليم الثانوي كان مستواي أعلي كثيرا من مستوى زملائي الطلبة فقد كانوا

•

منشغلين في اللهو و كنت منشغلا في القراءة. لذلك كان سهلا أن احتفظ بالتفوق طوال وجودي في الدراسة "

عندما يتحدث البابا شنوده عن تلك الفترة يملؤه احساس بالفخر بنفسه " عندما دخلت التعليم الثانوي كان مستواى في الفكر اعلى ، و كان كثير من زملائي الطلبة يأتون الي بكل مشاكلهم الشخصية والعائلية . تعلمت الشعر في السنة الثانية الثانوية. كنت انظم الابيات التي لا اجرؤ علي تسميتها شعرا . فلم اكن قد درست قواعد الشعر بعد . كنت اراه شعرا منثورا في احسن الاحتمالات . و لكن في الثالثة الثانوية عثرت علي كتاب عنوانه " أهدى سبيل الي علمى الخليل" فكنت اذهب الي دار الكتب يوميا في الصباح و المساء لاقرأ في الكتاب و انسخه و منه تعلمت قواعد النظم من التفاعيل و الاوزان والبحور و تدريجيا جرؤت علي تسمية ما اكتبه شعرا وفي الرابعة الثانوية كنت احفظ عشرة الاف بيت من الشعر العربي و في امتحان الثقافة العامة (الرابعة الثانوي) امتحنت في شعري . كان اثنان من الاساتذة يمتحنانني و طلب منى احدهما أن القي قصيدة احفظها فسألته من اي عصر؟ سألني : و هل تحفظ كل العصور ؟ اجبت : نعم قال اسمعني من العصر الحديث قلت له : ولاي شاعر من شعراء العصر الحديث؟ سألني: وهل تحفظ للجميع؟ قلت له لاكثر من ثلاثين شاعرا. فعاد يسألني : و لماذا تحفظ الكثير من الشعر ؟ قلت له لانني احبه. حينئذ سألني : و هل تقرضه ؟ اجبت نعم . و هنا قال : اذن اسمعنا بعضا من شعرك هممت ان اضع يدى في جيبي لاستخرج بعض ما كتبت فقال لي : اسمعنا من محفوظاتك لنفسك . و قد كان فالقيت احدى قصائدي .و لما

انتهيت من انشادها سألني من أى بحر فقلت البسيط. سألني عن الوزن فقلت : مستفعلن فاعل / مستفعلن فاعل.. هنا تأكد الرجل مما اقول . و حصلت في شهادة الثقافة في اللغة العربية علي ٤٨ من ٥٠ و كان احد الاستاذين قد اقترح ان احصل علي ٥٠ من ٥٠ . و لكن الآخر سأله :و في هذه الحال على ماذا نحصل نحن؟

و يستمر البابا شنودة في الحديث عن نفسه في تلك المرحلة " نشأت احب الشعر ، حتي انني فى حصة الانشاء كنت اكتب الموضوع بكامله شعرا أو نصفه علي الاقل ، كان معلم اللغة العربية يطلب مني في حصة الانشاء أن اتكلم حول الموضوع أمام التلاميذ، ثم يقول لهم اكتبوا مما سمعتم. كانت لدي ذاكرة قوية جدا في بعض الاشياء من بينها الشعر ، و كنت استطيع التقاط المعلومات بسرعة و بشكل مرتب . و لذلك فعندما حولت الي القسم الادبى لم أجد مشكلة و كنت قد التحقت في البداية بالقسم العلمي من "التوجيهية" و هو اسم الشهادة الثانوية حينذاك . بعد شهرين جلست مع نفسى أفكر في مستقبلي ، و كان الاتجاه العلمي يعني انني اخترت ان اكون طبيبا مثلا و هو الامر الذي لا يوافق نفسيتي ، فلم أكن أستطيع تحمل الالم ، حاولوا اقناعي بانني سوف اتغير بعدما أدخل كلية الطب الا انني رفضت و قلت لا اريد ان اتغير. فقررت ان اصلح شيء هو القسم الادبي . أتذكر أن الاستاذ الذي كان يدرس لنا الجغرافيا كان يقف ويرسم خريطة العالم كله بمنتهى الدقة و الإتقان ، وكان هذا اول درس في القسم الادبي وقال الاستاذ و هو يشير الي ان القادم من القسم العلمي لن يفهم بسرعة ما أقول ، و كان يشرح الزلازل.

فقلت أنني على استعداد لاعادة الشرح كاملا على مسامعه. وفعلت سردت ما قاله حرفيا. و بدأ هذا الاستاذ منذ ذلك الوقت يطلب مني تلخيص كل درس.

***

نجحت في التوجيهية بمجموع كفل لي الالتحاق بالجامعة بالمجانية، كانت معلوماتي تزيد و تعاملي مع الحياة بجدية، لم اضيع وقتا في اللعب و اللهو و الانشغالات التي لا تفيد و عندما دخلت الجامعة تعاملت معها بنفس الجدية التي الزمت نفسي بها. وكان عندي نهم شديد للقراءة و المعرفة. و لانه كان من الصعب أن التحق بقسم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول. رأيت أن اقرب تخصص ممكن لي بعدئذ هو التاريخ. فقرات بنهم مدارسه وتياراته المختلفة. و اهتممت بوجه خاص بالتاريخ الفرعوني و التاريخ الاسلامي. و كان الاساتذه في ذلك الوقت يكلفوننا بعمل بحوث يعطون عليها درجات اعمال السنة و كانت صغيرة قياسا الى المجموع الكلي للدرجات. و لكن مع ذلك كنت اخذها بجدية شديدة جدا، و اذهب الى دار الكتب و الى مكتبة الجامعة و الكلية، واقضي شهورا طويلة في هذه البحوث. و كان الاساتذه يعجبون جدا بها و بعضهم كان يحتفظ بها لنفسه. وعلى الرغم من أن هذه البحوث كانت تستهلك وقتا طويلا على حساب المناهج الدراسية الا انها افادتني كثيرا فيما بعد و حتى الان في اعتماد طريقة البحث و اكتساب روح البحث العلمي".

تميز نظير جيد خلال كافة مراحل حياته بقدرته على

التكيف في المجتمع الذي يعيش فيه ، و ايضا قدرته علي خلق جو من المحبة له من الاخرين . و ساعده في ذلك كثيرا قدرته علي استخدام اللغة و ايضا خفة ظله التي حببت فيه الكثيرين . ويبدو ان البابا شنوده (نظير جيد) مازال يذكر هذا ويدركه واظن انه مازال يمارسه حتى وهو يحتل اعلى منصب رجل دين فى طائفته يقول البابا شنودة "لم تكن هناك ابدا مشكلة دينية ، كنا طلبة نعيش فى محبة ومودة ، وكانت تربطنا علاقة اجتماعية قوية بالطلبة ، وكان يسود روح المرح والالفة واذكر اننى فى السنة الاولى القيت زجلا بعنوان " حاجة غريبة " عن الجغرافيا وكانت احدى المواد الصعبة قلت فيه :

حاجة غريبة بدخلها بالعافية فى مخى مابتدخلشى
بنشوف فى الاطلس امريكا و المانيا و بلاد الدوتشى
ازاى اخذوا صور امريكا بالدقة وسنتى ما يفرقشى
ماتقول لى باى فوتوغرافيا وتقول ما تقول مابصدقشى
حاجة غريبة بدخلها بالعافية فى مخى مابتدخلشى.
رياح مبلولة تجيب ميه ورياح جافة ماتمطرشى
ورياح بتساحل فى الساحل تتبع تعريجه و بتمشى
ورياح بتغير وجهتها ورياح تمشى ما تحودشى
انا عقلى اتلخبط بين ديه ودى وبين ديه وديه ما بتفرقشى
حاجة غريبة بدخلها بالعافية فى مخى مابتدخلشى

فى كل مناسبة كنت القى لزملائى ازجالا فكاهية او اشعارا فكاهية ايضا كنت ادرس الاسلام فى مقرر التاريخ فى الوقت الذى كنت ادرس فيه فى مدارس الاحد منذ كان عمرى ١٦

سنة ولم يكن هناك فى أيامنا أى تفرقة بين المسيحى و المسلم. كنا نستذكر التاريخ الاسلامى كمادة مقررة وقرأت القرآن كاملا أيضا فى هذه السن. وقد أثر هذا كثيرا فى لغتى. أيضا كنت معجبا بمكرم عبيد كرجل فصاحة و لغة، وأيضا كان قد قرأ القرآن وحفظه، وكان من كبار الخطباء و البلغاء فى عصره وكنت معجبا جدا ببلاغته واحفظ بعض كلماته اذكر مثلا عندما قال فى عيد ميلاد الملك فاروق " فى مثل هذا اليوم ولد لنا طفل يحيط الجلال بسريره و الجمال بأساريره " وأيضا " لاتفرحوا لشهوة نلتموها بل لشهوة اذللتموها" وايضا " الرجل الحق هو الذى يتطور دون أن يتغير ويكبر دون أن يتكبر ويحتفظ بشبابه فى وثباته " كنت أعجب كذلك بالاسلوب البيانى والفصاحة اللغوية. وقد زرت مكرم عبيد ذات يوم والقيت أمامه قصيدة فاعجب بها قائلا " أهلا بشاعر الكتلة " وكنت مندهشا لان يقول مكرم عبيد عنى هذا الكلام. ولكن هذا لم يدفعنى لجو السياسة فلم اجده يتفق معى.

ولكن كانت مصر فى تلك الفترة تموج بالسياسة، وبالتنظيمات السياسية و المظاهرات التى كان عمادها الطلبة، ألم تكن لك مشاركة أو تفاعل مع كل هذه الاحداث؟ أسأل البابا شنودة الذى يجيب، فى هذه الفترة كان يهمنى حياتى الدراسية أكثر من السياسة. كنت طالبا يهمنى التفوق فى حياتى الدراسية. فلم يحدث أن رسبت فى سنة دراسية.. مجرد النجاح كان قليلا بالنسبة لى لان ماكنت أسعى له هو التفوق. طالب من هذا النوع كان كل ما يهمه حياته الدراسية ".

على الرغم من عدم انخراط نظير جيد فى انشطة سياسية فى ذلك الوقت الا أن اهتماماته الاخرى ظلت تحتل جزءا كبيرا من حياته. وكان مجموع ما يقوم به من انشطة مثيرا للدهشة . فبينما كان فى السنة النهائية فى كلية الاداب التحق بالكلية الاكليريكية. (السنة الاولى بالقسم الليلى وكان قد قبل فيه بصفة استثنائية لان الانتساب كان مشروطا بالتخرج فى الجامعة ولم يكن قد تخرج نظير بعد ولكنه قدم تعهدا بتقديم الليسانس قبل نهاية العام الدراسى الاكليركى . وفعلا تخرج فى الجامعة فى يونيو وتقدم لامتحانات نهاية العام الاكليركى فى سبتمبر التالى . ايضا عمل فى نفس التوقيت معلما للغة العربية فى مدرسة انجليزية لطلبة السنة النهائية من المرحلة الثانوية . وفى الوقت نفسه أيضا عمل مدرسا للغة الانجليزية لتلاميذ مدرسة ابتدائية وأيضا محررا فى مجلة مدارس الاحد. واثناء وجوده بكلية الاداب التحق نظير بالقوات المسلحة فى التدريب العسكرى متطوعا فى سلك المتطوعين ثلاث سنوات وتخرج فى كلية الاداب عام ١٩٤٧ وفى مدرسة ضباط الاحتياط فى العام نفسه وفى الكلية الاكليركية عام ١٩٤٩ .

لو اخضعت تفكيرى لمنهج التآمر لاعتقدت انك كنت تعد لتتولى دورا ما فى مرحلة ما ولكن ما أريد أن اسألك فيه ، ما الذى دفعك لان تقوم بكل هذه الانشطة فى نفس التوقيت ؟ اسأل البابا شنودة الذى يجيب" اولا كنت اشعر ان طاقتى على العمل اكبر من ان تستوعبها مسئولية واحدة ثانيا كانت تعرض على فرص فكنت أوافق عليها ثالثا كنت اخذ خبرات فى الحياة .

واسأل البابا شنودة فيما يتعلق بالتحاقك بالتدريب العسكرى الا تجد أن هناك تناقضا مابين طبيعتك واهتماماتك وبين التحاقك بكلية ضباط الاحتياط ؟ . ويجيب "لم يكن هناك عنف فى أيامى وكنت اعتبر انه يمكن أن أخذ خبرة جديدة وفضائل جديدة فى العسكرية لا يمكن أن اجدها فى المجال المدنى . فى الجيش يكتسب الانسان الجدية و الالتزام ، النظام والطاعة ، والاعتماد على النفس و الشجاعة . الجيش ليس مجرد قتال و سلاح . وكانت لى علاقات ممتازة مع زملائى فى الجيش فى هذه الفترة وكنت أنا الذى اشرف على طعام الافطار لزملائى فى رمضان و أوقظهم فى السحور . كنت محبوبا من الجميع .

بدا نظير جيد التفكير فى الرهبنة وهو فى السنة الثالثة من الكلية . وقد بدا هذا واضحا فى اتجاهات الشعر الذى يكتبه ، فقد بدا يأخذ منحى دينيا ونسكيا واضحا.. يقول البابا شنودة "كنت متأكدا اننى سأصل الى هذه المرحلة ، كانت المسألة بالنسبة لى مسألة وقت لارتب أمورى ،ولى قصائد من الشعر كتبتها وانا طالب فى الجامعة كلها لها اتجاه نسكى كنت اتصور نفسى فيها وانا راهب وكنت أتحدث بشعور الراهب واذكر قصيدة كتبتها و أنا فى السنة الثالثة فى الكلية قلت فيها :

غريب عشت فى الدنيا نزيلا مثل آبائى
غريب فى اساليبى و افكارى واهوائى
يحار الناس في الفى و لا يدرون ما بائى
يعيش الناس فى صخب و في لهو و ضوضاء
و أقبع هاهنا وحدى بقلب وادع نائى
تركت مفاتن الدنيا و لم احفل بما فيها

و رحت أجر ترحالى بعيدا عن ملاهيها
خلى القلب لا اهنو الى اهواء أهليها
(....)
أقول لكل شيطان يريد الان اغرائى
حذارك انى أحيا غريبا مثل آبائى

كذلك اذكر قصيدة استوحيتها من قصص الكتاب المقدس مثل قصة يوسف الصديق حينما نزعت المرأة الخاطئة ثوبه عنه عنوانها "هوذا الثوب"

هوذا الثوب خذيه ان قلبى ليس فيه
أنا لا املك هذا الثوب بل لا أدعيه
هو من مالك انت ليس من مال النزيه
انما قلبي و قد أقسمت ألا تقربيه
انه ملك لربي و قد استودعنيه

استغرقت الرحلة من مرحلة التفكير في الرهبنة الي تنفيذها حوالى تسع سنوات منذ كان نظير جيد طالبا بالسنة الثانية في كلية الاداب و حتى عام ١٩٥٢ . كانت هذه الفترة بمثابة فترة اعداد لنظير ليدخل سلك الرهبنة أولا ثم ليقوم بدوره الذى قدر له فيما بعد .تلك الفترة كانت مشحونة بالانشطة الدينية و الاجتماعية و ايضا تدريب النفس على امور بذاتها .

من بين الانشطة التى مارسها في تلك الفترة عمل صحفيا في مجلة مدارس الاحد التي بدأت في الصدور عام ١٩٤٧ . ثم رئيسا لتحريرها بعد ذلك و ظل في منصبه هذا حتي تاريخ رهبنته . كانت تلك الفترة فرصة مناسبة ايضا ليقترب من الكنيسة و ليدخل في نسيجها يشاهد و يختزن

في ذاكرته ملاحظاته مبلورا صورة للواقع الذي تعيشه الكنيسة و تصورا للافضل الذى يمكن أن تكون عليه - من وجهة نظره و نظر جيله -
بدات علاقة نظير بالكنيسة مبكرا منذ كان طفلا ، و لكنه أصبح عضوا فاعلا فيها منذ ان بلغ السادسة عشرة من عمره عندما بدأ في التدريس في مدارس التربية الكنسية التي اصبح اسمها مدارس الاحد . و كان يدرس فيها لاطفال الدير
و كما سبق الذكر انضم للكلية الاكليركية (مدرسة اللاهوت) وهو في السنة النهائية في الجامعة ، و بُعد أن تخرج فيها اصبح مدرسا فيها . و كانت تلك الفترة ايضا هي التي بدأ فيها الاتصال بالصحافة القبطية ، مما اعطى له فرصة الحديث عن الكنيسة و سياستها . يقول البابا شنودة " اعطتني مجلة مدارس الاحد الفرصة حتي اتكلم في سياسة الكنيسة ، كنا نتكلم عن المبادىء وليس الاشخاص ، و كانت هذه الفترة فرصة لدراسة قوانين الكنيسة و انظمتها وواجب الرعاة والكهنوت ، كما اعطتني فكرة عن معلومات كنائسية كثيرة وجعلتني أضع يدى على الاخطاء التى يمكن أن توجد ، وما ينبغى عمله من أجل اصلاحها ، هذا ساعدنى فيما بعد عندما أصبحت بطريركا "

اسال البابا شنودة عن ملاحظاته التى لاحظها فى تلك الفترة عن أداء الكنيسة وما اذا كان يعتقد انها لاتقوم بدورها المفترض فيها ويجيب مؤكدا أن ملاحظاته لم تكن ايجابية فى بعض الجوانب حول اداء الكنيسة فمثلا - يقول البابا شنودة - كان رؤساء الكنيسة اذا رسموا كاهنا قسيسا كانوا لاياخذون رأى الشعب ، بينما

قوانين الكنيسة تقول أن من حق الشعب أن يختار راعيه. ولهذا السبب كانت تثور مشاكل أحيانا بين الشعب وبين رؤساء الكنيسة عند اختيار الاساقفة ولم يكن المطران يعبأ كثيرا برأى الشعب ، وكان هذا يخلق فى نفوس الناس شعورا بأنه كان من الممكن أن يأتى من هو اكثر صلاحية ممن اختاره رؤساء الكنيسة . وكانت هناك مشاكل بين رجال الدين والمطارنة ورؤساء الاديرة والمجلس الملى كانت تصل أحيانا الى ساحات المحاكم . ولم يكن رجال الدين أو الكهنوت يتمتعون بشعبية كبيرة بين الناس . وكان ممثلو الاقباط الفعليون أو زعماؤهم هم وكلاء المجلس الملى أو بعض كبار الشخصيات القبطية واصحاب المناصب الرفيعة فى الدولة .

أسأل البابا شنودة : ألم تحدك الرغبة أو الامل فى أن تغير شكل الكنيسة وعلاقتها بالناس ؟
يقول كنا جميعا نتمنى ذلك ولكن ليس على أيدينا . فنحن كنا بعيدين عن الخدمة الكنسية .

تعرف نظير جيد على " أبونا مينا " -الذى اصبح البابا كيرلس السادس- عام ١٩٤٨ وسكن فى بيته بمصر القديمة بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥١ . وفى ١٩٥٣ أصبح نظير مدرسا فى مدرسة الرهبان بحلوان . واصبح -ايضا- عضوا فى مجلس ادارة جماعة التربية القبطية . ثم أصبح رئيسا لمجلس ادارة بيت مدارس الاحد. ولم يستمر فى هذا المنصب وفضل ان يتفرغ " للعمل الفكرى والتعليم فى الكلية الاكليركية ورئيسا لتحرير مجلة مدارس الاحد".

يقول الاب متى المسكين فى كتابه عن " الرهبنة القبطية " أن تاريخ الرهبنة يعتبر الخلفية الحية المحركة لكل أحداث الكنيسة القبطية وامتدادها وتطورها منذ القرن الرابع الى اليوم :

(١) منذ بداية المسيحية فى مصر و بتاثير الانجيل تاثيرا مباشرا نشأت حاسة روحية نسكية عالية بين الاقباط باعتبار تغليب الاحساسات الروحية على الاحساسات الجسدية .

(٢) منذ القرن الأول ومن أيام الرسل اندفعت نماذج فردية وجماعية كثيرة لتقرير حياة نموذجية ، فيها كان يعيش الفرد أو الجماعة فى عزلة قريبا من البلاد ، ولكن لم يكن هناك منهج معين يعيش عليه الفرد أو الجماعة ، لذلك كان من النادر أن يستمر الانسان فى سلوكه الروحانى العالى.

(٣) كثير من الافراد رجالا و نساء مارسوا النسك فى بيوتهم ووسط عائلاتهم . ولكن الاحتكاك المستمر بالحياة اليومية ومناقص أهل العالم أضعفت هذا الاتجاه مما جعل مثل هؤلاء النساك يترقبون بفارغ الصبر ظهور المؤسسات الرهبانية الجماعية .

(٤) كثير من الافراد بتاثير الحرارة الروحية العالية والشجاعة والعزم انطلقوا فعلا الى البرارى و القفار البعيدة وعاشوا حياة توحيدية كاملة ومارسوا النسك والتقشف فى أعلى درجاته وصوره . ولكن أثبتت الخبرة لهم بعد جهادهم الطويل أن الانفراد المطلق فوق طاقة

الانسان فقالوا بهذا وعلموه لزائريهم و مريديهم و اقنعوهم ان الحياة الجماعية اضمن طريق لتكميل النسك و العبادة خصوصا لذوى الامزجة و الطباع البسيطة .

(٥) تعليم الاباء الاوائل وتمجيدهم لحياة البتولية و النسك الهبت قلوب الشباب و العذارى في الجيل الثانى و الثالث وجعلتهم باستمرار على اهبة الاستعداد للانطلاق من العالم .

***

قرار الرهبنة من اهم القرارات التى يتخذها انسان مسيحى ، بل لعله اهم قرار على الاطلاق ، ومن المؤكد ان عديدا من الظروف الخاصة و العامة هى التى تدفع شخصا ما لاتخاذ مثل هذا القرار . و الاكيد ايضا انه لنجاح تنفيذه يتطلب هذا شخصا ذا مواصفات خاصة وتأهيل خاص.
عندما سألت البابا شنودة عن الظروف التى احاطت به لحظة اتخاذه قراره بأن يسلك سلك الرهبنة قال : ان فكرة الرهبنة موجودة عندى منذ كنت طالبا فى الجامعة ، ولكن المسألة كانت مسألة توقيت ، كان عندى مجموعة من الامور ينبغي ترتيبها فى البداية ، كان على ان اتخرج فى مدرسة اللاهوت، وتخرجت فيها وصرت مدرسا بها . وكان على ان اقوم بواجب فى التدريس ، وايضا بعد اندماجي فى مدارس الاحد ، ثم مسئولياتى العائلية .
ترتيب امورى الشخصية وامورى فى خدمة الكنيسة استغرق هذا الامر سبع سنوات منذ تخرجى فى الجامعة . وعندما حان الوقت المناسب اتخذت القرار .

هل واجهت فشلا في حياتك دفعك لاتخاذ القرار بان تكون

راهبا أو تمنيت شيئا لم تحققه؟ لم يحدث أن تمنيت شيئا ، لان أمنيتي الوحيدة كانت أن أترك هذا العالم و أتقرب الي ربنا . أما الفكرة التى لدى بعض الناس عن أن الفاشلين في حياتهم يتجهون الى الرهبنة هربا من الحياة فهذه يمكن ان يكون منبعها عناصر سابقة علي دخول المجموعة المثقفة لسلك الرهبنة . و حاليا يندر وجود راهب غير جامعي . وغالبيتهم كانوا ناجحين في حياتهم و بعضهم أساتذة في الجامعات . هذه الفكرة أصبحت خارج التاريخ . ألا تعتقد أنها مسألة مثيرة للدهشة هذا التناقض الكبير ما بين الرغبة في حياة الوحدة و العزلة التي تميز حياة الرهبنة و شخصية اجتماعية و دودة لها علاقاتها القوية بالاخرين ؟ .

هذا التساؤل يجيب عن التساؤل السابق عليه فليس كل من يدخل الرهبنة انسانا فشل في حياته الاجتماعية ، لان هناك فارقا بين الوحدة و الانطواء . الفاشل ينطوي علي ذاته ، أما الناجح فيدخل الرهبنة و هو ممتلىء بحبه للناس لكى يمتلىء بحب اكبر هو حبه لله . فاذا حدثت ظروف و خرج من حياة الوحدة يلجأ الي محبة الناس التي كان بها . هو الناجح في حياته الاجتماعية و بنفس النجاح يدخل الى الرهبنة لكى ينجح في فضائل الوحدة و في فضائل الهدوء والسكون و التأمل و الصلاة . فاذا اجتذبته الكنيسة مرة أخرى الي خدمتها يرجع الى النجاح فى المجتمع كما كان من قبل . أما الانسان الفاشل فاذا دخل الرهبنة اما أن ينطوى على نفسه أو أن يصحبه فشله ، فاذا اختير لخدمة الكنيسة يختار وفشله مصحوب معه الى الخدمة الكنسية .

يقول شوقى جيد شقيق البابا شنودة الذى اصبح بعد ذلك قسا نقلا عن د. غالى شكرى - أن أخاه فى عام ١٩٥٤ أرسل له خطابا من اربع صفحات، وكان الخطاب الثانى من ثلاث صفحات أما الثالث فلم يتجاوز صفحتين ، وكان الرابع من صفحة واحدة ثم كان الاخير من سطر واحد قال فيه " أرجو أن يكون لقاؤنا فى السماء "

يفسر البابا شنودة اتجاهه للرهبنة ضمن مجموعة المتعلمين بقوله :لاينبغى الفصل بين موضوع البابا شنودة و الجو العام المحيط به. لم تكن هناك جامعة فى مصر وكان الجامعيون قلائل لذلك لم يكن بالاديرة جامعيون وعندما انتشرت الجامعات كان طبيعيا أن يكون هناك رهبان جامعيون الامر الثانى متعلق بالتعليم الدينى .فكل من دخل من الجامعيين الاديرة كان من الذين دخلوا التعليم الدينى وبالذات حركة مدارس الاحد التى انشأها حبيب جرجس ، ثم أحياء مدرسة اللاهوت (الكلية الاكليركية) والتى اغلقت بعد القرن الخامس .وكان من اول طلابها حبيب جرجس الذى تخرج فيها فى ١٨٩٨ . بنمو التعليم الدينى بدأ يرتبط المتعلمون بالكنائس .

وينفى البابا شنودة أن يكون سبب لجوء هؤلاء المتعلمين الى الاديرة هو فشل التنظيمات الحزبية فى استيعابهم أو فى التعبير عنهم مؤكدا انهم لم يكن لهم شأن بالسياسة على الاطلاق ولا الاحزاب.
فى ١٨ يوليو ١٩٥٤ ودع نظير جيد اسمه واصبح اسمه انطونيوس السريانى وترهبن فى دير السريان بوادى النطرون

وظل فى الرهبنة بعيدا عن الكهنوت وعن العالم من ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٨ ، كثير ممن أتوا بعده صاروا كهنة ، وكان المسئولون عن الدير يستأذنونه كل مرة ، وظل الراهب انطونيوس راغبا فى أن يبقى بعيدا . يقول البابا شنودة "بقيت بعيدا أريد أن احيا حياة الرهبنة الاولى، غير معروف من الناس لاكون معروفا من الله. كل ما كنت اقوم به فى الدير هو المكتبة و المطبعة ، وكان يصدر باسم الدير ، سواء كان مترجمات أو مؤلفات أو مخطوطات محققة. وأول كتاب قمت بتأليفه فى الدير هو " الزوجة الواحدة" . بدأت ادرب نفسى على الوحدة الجزئية ، ثم سكنت فى مغارة قريبة من الدير على بعد ٣٫٥ كيلو متر ، ثم انتقلت الى مغارة اخرى ابعد تقع على مبعدة ١٠ الى ١٢ كيلو مترا . وكنت أقضى اسابيع طويلة لا أرى فيها وجه انسان . وكنت اشبه الفرق بين سكن المغارة وسكن الدير بان المغارة بالنسبة للدير مثل الدير بالنسبة للعالم . صحيح أن الدير منقطع عن الحياة فى العالم ومشكلاته وضجيجه ، ولكن الدير فى النهاية مجتمع صغير بما فيه من رهبان وكنيسة وعمل و زوار أما فى المغارة فيمكن أن يكون وحدة مطلقة .فلا اتصال بانسان حتى ولوكان راهبا. لم اكن احضر الى الدير الا فى الاعياد للصلاة .

فى ١٩٥٩ استدعى البابا كيرلس السادس الراهب انطونيوس من الدير ليعمل سكرتيرا له ، يقول البابا شنودة عن هذه الفترة "كنت أجلس فى المغارة عندما أتى مكارى السريانى- الذى أصبح الانبا صموئيل- وقال لى البابا محتاج اليك لفترة بسيطة لوضع بعض الانظمة وبعض القوانين لتنظيم الكنيسة" .وبالفعل نزلت الى

الكاتدرائية وكان اول عمل طلبه منى هو وضع طقس رسامة اسقف لاثيوبيا. وعملت مندوبا للبابا فى العديد من اللجان وظللت فى ممارسة مهامى التى اكلف بها من البابا لمدة ثلاثة اشهر لم اغادر فيها باب البطرخانة وبعدها تركت القاهرة هاربا الى الدير . وفى اول زيارة للبابا للدير اعتذرت له.

فى ١٩٦٢ استدعى البابا كيرلس الراهب انطونيوس. واعتقد وقتها أن البابا كيرلس أراد أن يناقشه فى موضوع اختلفت فيه رؤيته عن رؤية البابا تتعلق بالسماح لمجموعة من الشباب وبعض من يعملون فى "القبطيات" بالدخول الى الدير فى الوقت الذى رفض فيه الراهب انطونيوس ذلك ، واعرب وقتها عن موافقته على تحقيق رغبة البابا مقابل أن يتركه يعود الى مغارته مرة اخرى الا أنه أبلغ أن البابا يطلبه ولابد أن يسافر اليه . وفى الرابعة صباحا توجه الى القاهرة بصحبة رئيس الدير ووصلا الى البطريركية فى السادسة ولم يكن مستيقظا سوى البابا.. عاتبه فى موضوع الخلاف ، وعنفه لانه لم يهتم بملابسه ولم يحضر للقائه بعمامة -كان مرتديا جلبابا وطاقية -. يقول البابا شنودة حول هذا الموقف "فجأة قال لى البابا : لقد اخذت حظك من الرهبنة ، فاندهشت وقلت :بل انى لم اترهبن بعد ثم سألنى :الا تريد أن تعاون الكنيسة ؟ أجبت بلى ، ولكنى لن اترك البرية قال : ستذهب الى الكلية الاكليركية وغدد طلابها قليل ، فأقترحت عليه اسماء بديلة قال: كلا بل أريد قائدا. قلت وهل انا قادر على قيادة نفسى حتى أقود غيرى ؟ سألنى هل قرأت مار اسحق؟ (يقصد كتابه عن الرهبانية ويقع فى اربعة مجلدات) قلت : قرأته ونسخته ،

فعاد يسألنى: وماذا قال ماراسحق عن التواضع؟
اجبت: قال" أريد أن اتكلم عن التواضع ولكنى خائف كمن يريد أن يتكلم عن الله" .وكنت اعرف سلفا أن هذا الكلام يعجبه .وأخذنا نتكلم عن سير القديسين واحدا بعد الاخر حتى لم يعد ثمة موضوع محدد نتكلم فيه. وحينئذ صافحه رئيس الدير الذى يصحبنى. وتوجهت بدورى لمصافحته فاذا به يمسك راسى بقوة قائلا" رسمتكم يا شنودة أسقفا على الكلية الاكليركية والمعاهد الدينية". ولم استطع الافلات فقد كان يتمتع ببنية قوية. ثم وجه الى الحديث :لن تستطيع مغادرة هذا المكان. ثم وجه الحديث الى رئيس الدير : اذهب وجهز له الثياب . الرسامة هى وضع اليد ،وقد تمت. ولايبقى سوى الاجراءات الاحتفالية فى الكنيسة. وظهر الخبر فى مانشيت جريدة "مصر" وامضيت اياما فى منتهى التعب. لقد أصبحت أسقفا. ويوم رسامتى كان اكثر الأيام التى بكيت فيها، اذ شعرت أن مجرى حياتى قد تغير تماما، من الوحدة والهدوء والتفرغ الكامل لله الى حياة الخدمة بكل ما فيها من زحام ومسئوليات. ولم تقف أمامى الا آية وردت فى سفر ارميا النبى قال فيها"أخيرا عرفت يارب أنه ليس للانسان طريقه، ليس لانسان يمشى أن يهدى خطواته فالله هو الذى يقود خطوات الانسان".

حدث هذا مابين يومى ٢٥ و٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ ،وبعد أن اصبحت اسقفا أرسل لى أحد المحبين خطابا يتساءل فيه ،هل هذا هو أبونا انطونيوس المتوحد؟ ما هو هذا العمل الذى يجعله يترك مغارته وتوحده لينزل ويعمل، تعبت جدا من هذا الكلام واحسست بالضغط الشديد، أحسست أن أمالى فى الحياة التى كنت أريدها قد تحطمت وأرسلت

لصديقى هذا شارحا له الموقف وقلت له :

هذه آمالى التى ضيعتها هذه احلامى التى انسيتها

***

وتبدا مرحلة جديدة من حياة البابا شنودة ،وبخاصة مرحلة جديدة من تاريخ الكنيسة ، مرحلة الكنيسة الجديدة والعلاقة الجديدة ،مع الرعية و المجتمع .جاء الانبا شنودة بمفهوم جديد عن الكنيسة ودورها فى حياة الافراد ،وساعده فى ذلك جيدا تلك الفترة التى اعد نفسه فيها طوال فترة دراسته ، او عمله كمدرس ،او صحفى ،ثم فترة الرهبنة . وعندما يتحدث البابا شنودة اليوم عن طبيعة الدور الذى قام به او الاسلوب الجديد الذى دخل به العمل الكنسى ، يمكن ان نلمس الى اى حد هو معجب بما فعل ، مقتنع به . وتلك المرحلة التى قضاها كاسقف للتعليم استطاع ان يبنى لنفسه شعبية كبيرة فى الوسط الكنسى و الوسط القبطى بشكل عام .

كان الانباشنودة نجما لامعا فى مدارس الاحد ،وكان وراء نجوميته ،اسلوبه فى الوعظ و الموضوعات التى يطرحها فى وعظته ،فقد استطاع تقديم موضوعات للشباب قادرة على جذب اهتمامهم .وكان الموضوع الرئيسى يتركز على ما يعانيه الشباب من مشكلات ،وما قد يواجهونه من ظلم اجتماعى.ومن هذه الموضوعات كان انطلاق الانبا شنودة ، وكانت بداية شعبيته داخل الكنيسة .فقد كان يقدم الموضوعات الدينية فى علاقاتها بالموضوعات الاجتماعية و السياسية . ويربط بين الدين والظلم الاجتماعى و العدالة فى قالب واحد ، يجعل من الدين رؤية اجتماعية

عامة .ويصبح التدين فى أحد اهدافه وسيلة لتغيير الحياة ،وطرح أساليب جديدة لتغيير الحياة .

عندما يتحدث البابا شنودة عن تلك الفترة يبدا دائما بتلك الرواية عن أحد المطارنه القدامى الذى سهر معه فى تلك الليلة وحذره قائلا : انت الان اسقف كل المعاهد الدينية ولكن اياك أن تلقى درسا أو محاضرة فتضيع كرامة الاسقفية هذه الكرامة كانت تعنى فى ذلك الزمان البعد عن الناس ما أمكن ذلك هكذا يقول البابا شنودة الذى يضيف "لكنى بعد اسبوعين فقط كنت أقف أمام السبورة لأشرح درسا :فكنت أول أسقف يفعل ذلك ، أى "يضيع هيبة الاسقفية " كما يقولون. غير أن الهيبة الحقيقية كانت ومازالت فى تقديرى هى مواهب الانسان وليست وظيفته .كنت أعلم الطلاب واسمح للشعب بحضور الدروس و الاستماع للمحاضرات .وبدا الامر يتطور فبعد ان كنا فى مدرج الطلبة وكان من يحضر مجرد عشرين طالبا زاد العدد ليصبح ١٥٠ ولم يعد يتسع المدرج لنا فانتقلنا الى القاعة الكبيرة التى تسع الف شخص، وازداد العدد أيضا فوضعنا مقاعد خارج القاعة ووضعنا سماعات خارجها.ثم انتقلنا الى الكاتدرائية حتى امتلات على آخرها ،وأصبح هذا الاجتماع هو أكبر اجتماع مسيحى فى الشرق الاوسط كان يحضره اسبوعيا خمسة الآف يزداد ليصل الى الثمانية آلاف ثم تجاوز العشرة آلاف .

عندما اسأل البابا شنودة عن الدافع الذى دفعه ليسمح لعامة الناس بحضور محاضرات مفترض فيها ان توجه الى طلبة اللاهوت يقول " نفس مبدا طه حسين أن العلم كالماء والهواء لجميع الناس .عندما القى محاضرة

ما المانع ان يستفيد بها الناس .بدلا من ان يكون السؤال ما الدافع فليكن ما المانع؟"

اعتمد الانبا شنودة على استراتيجية محددة تقضى بأن يخلق لنفسه شعبية فى الأوساط الكنسية -خاصة بين الشباب- وفى الاوساط القبطية ، وقد فسر هو هذا بنفسه فيما بعد فى كتابه "خبرات فى الحياة" عندما قال "كانوا قمما عالية ولهم قواعد شعبية عريضة ، ثم استهانوا بهذه القواعد الشعبية واكتفوا بمراكزهم كقمم فقد عمد الانبا شنودة الى سحب هذه القواعد الشعبية وضمها اليه لتدعيمه .وبدات الكنائس فى الاقاليم و الابرشيات تدعوه لالقاء العظات والدروس و المحاضرات.. حركة الانبا شنودة لم تلق الارتياح من قبل البعض، ويبدو انها فى مرحلة ما لم تلق قبولا كبيرا لدى البابا كيرلس السادس الذى اصدر قرارا بالا يذهب أو يعظ أحد من الاساقفة فى الكنائس الا باذن منه . فتركز نشاط الانبا شنودة فى "الانبارويس " بالقاهرة ،ثم بدا يحاضر فى الكلية الاكليركية واتخذت محاضراته سمة رئيسية مقصودة عندما جعل الجزء الاول منها دائما مخصصا للاجابة عن الاسئلة الموجهة له "وكانت هذه هى همزة الوصل بينى وبين الشعب" كما يقول البابا شنودة -ووصل الان فى الصراع الخفى الى حد منع الانبا شنودة من القاء محاضراته فى قاعة الكلية الاكليركية بحجة انها آيلة للسقوط ولم يستطع الانبا شنودة الاتصال بالبابا وقتها لاطلاعه على ما يجرى، ويبدو انها كانت رسالة واضحة ان البابا لايريد له ان يستخدم القاعة. وكتب شنودة وقتها متعهدا بالايستخدمها ويبدو أن هذه المظاهر من الخلاف التى بدأت تعتمل كانت تعبيرا عن

صراع الجديد والقديم ليس بين أفراد الجيل القديم فقط والجيل الجديد ولكن فى داخل البابا كيرلس السادس نفسه الذى مهد هو بنفسه الطريق للجيل الجديد، وأيضا كان تعبيرا عن احساس بعدم الرضا الكامل لدى أفراد الجيل الجديد على ما حصلوا عليه حتى ذلك الوقت.

يعلق هيكل على هذه الفترة بقوله ان هذا الجيل من الرهبان الجدد الذى وجد نفسه قرب القمة فى هرم الكنيسة لم يكن طرفا فى صراع مع القديم فقط، وانما دبت الصراعات بين أفراده أيضا نتيجة لاختلاف رؤى كل منهم . كان البابا كيرلس قد تقدم فى السن، وكان يتصور أنه يستطيع أن يعتمد على جيل الشباب الذين فتح لهم هو طريق التقدم الى أعلى المراتب. لكنه بدأ يحس بشكل ما أن المسائل تتجاوز ما كان يقدره لها .

فى البداية شعر أن نشاط الكليات و المدارس الدينية قد بدأت تظهر فيه نبرة سياسية يمكن أن تؤخذ على الكنيسة ، وبدأ يتدخل مع الانبا شنودة . ولكن الخط الفاصل بين الوعظ الاجتماعى والايحاءات السياسية لهذا الوعظ الاجتماعى كان فاصلا دقيقا . وبالتالى أحس البابا كيرلس أن الانبا شنودة لا يطيع تعاليمه، وهكذا قرر نفيه الى وادى النطرون. لكن نفى الانبا شنودة أثار عاصفة من الاحتجاج، خصوصا فى أوساط الشباب . ولم يلبس البابا العجوز أن أعاد الانبا المتحمس الى المعجبين به فى القاهرة.

أيضا دب الخلاف بين بعض أفراد الجيل الجديد، وكان ذلك

انعكاسا للاتجاهين الاساسيين حول حدود دور الكنيسة ، وكان الخلاف بين الانبا شنودة وبين متى المسكين - الذى أثر ان يظل فى الدير وينقطع للرهبنة واصبح مركز اتصالات واسعة و مؤثرة فى شئون الكنيسة - ،كان كلاهما يمثل مدرسة فى الفكر و العمل ، وفى حين كان يرى الانبا شنودة أن الكنيسة مؤسسة شاملة ومكلفة بان تقدم حلولا لكل المشاكل واجوبة لكل الاسئلة المتصلة بالدين و الدنيا ،فان متى المسكين كان له راى اخر هو ان الدين علاقة بين الله وبين ضمير كل فرد ، وانه لاينبغى ان تكون لها علاقة بالسياسة. وقد كان هذا الخلاف موجودا فى كل العقائد وفى كل الكنائس ،لكن الانبا شنودة كان لديه فرصة أوسع من غيره ، فلقد كانت فصول التربية الكنسية تمتلىء بالرجال و النساء ،كما أن مدارس الاحد كانت تمتلىء بالاطفال . بل أن الانبا شنودة أنشأ فصولا خاصة لخدم الكنيسة. وكانت دراسة الانجيل بالطبع تقود الى مناقشات واسعة حول القضايا الاجتماعية وعلاقات الطبقات، بل وتنظيم الاسرة .... الخ

***

اعتمد الانبا شنودة على العديد من العناصر فى خلق شعبية كبيرة له ،وركز على ان يسد الفجوة التى كانت تفصل بين رجال الدين والناس العاديين . ولذلك بدا تحطيم كافة القواعد التقليدية التى اتسم بها كل رجال الدين-تقريبا- حتى عهده .يقول عن هذه النقطة " كان على طلبة اللاهوت ان يلتزموا بامرين حتى ينجحوا. الاول أن يتكلموا بلغة عربية فصحى والثانى أن يعدوا العظة التى سوف يلقونها فى الاختبار. أما بالنسبة لى فقد سلكت مسلكين بارادتى وثالثا رغما عنى الامر الاول انه

لايهمنى استخدام اللغة العربية الفصحى ولكن ما يهمنى أن تصل المعلومات للناس بطريقة يقتنعون بها و يوافقون عليها ساعدنى اننى شاعر ولى كتب عديدة لذلك لن يتهمنى أحد بالجهل فى اللغة. الامر الثانى انه لم يكن عندى مانع اطلاقا من ان أضع بعض النقاط الرئيسية فى موضوع المحاضرة التى القيها امامى وأن اطلع عليها أثناء القاء المحاضرة فلست أريد ان يقتنع الناس باننى احفظ المحاضرة . بل اننى فى بعض الاحيان اقرأ بعض الاجزاء من الاوراق التى امامى .كان المهم أن أصل للناس .الامر الثالث هو اننى منذ ١٩٦٤ قاسيت من آلام فى العمود الفقرى فاضطررت أن أعظ وانا جالس.. هذا بالاضافة الى فتح باب الاسئلة فى كل محاضرة. وهذا هو ما أوجد رابطة بينى وبين الناس .

السؤال الذى يطرح نفسه.. هل كان الانبا شنودة واعيا لما يفعل ؟ بمعنى آخر ،هل كان يخطط لان يصل الى مكانة معينة فى نفوس الاقباط؟ وهل كان يسعى الى أن يخلق من نفسه شخصية كارزمية (زعامية)؟ الامر الاكيد انه كانت هناك رغبة حقيقية لدى الجيل الذى مثله البابا شنودة فى ان يصل بفكره وأهدافه الى حد التنفيذ ، وقد بدا هذا واضحا فى تلك المرات التى حدث صدام فيها وقت أن كان البابا كيرلس السادس موجودا .

وعندما اطرح على البابا شنودة هذه التساؤلات حول وعيه بقضية الزعامة يؤكد انه لم يكن مقصودا على الاطلاق ، "مثل هذه الاشياء لاتكون هدفا بل تكون نتيجة " هكذا يقول ويضيف " فانا انسان بدأ يعلم ، وبدأ الناس يحبون هذا التعليم ويقبلون عليه فوجدت تجمعات حول

التعليم، وليس حول قيادة شعبية، لان الزعامة الشعبية توجه توجيها معينا وأنا لم أوجه فى يوم من الأيام الا الى التوبة و النقاء. فلم أكن اهدف لا الى زعامةو لا الى قيادة شعبية.

وأسأل البابا شنودة كيف تفسر هذا التجمع الذى أصبح حولك وقتها كأسقف ؟ ويجيب لا أفسره الا بانه نوع من التعليم حيث يجذبهم انسان عاش فى المغارة سنوات طويلة فى مجال التأمل ، ولذا أصبح ممكنا أن يعطى عمقا روحيا فيما يقول ربما لم يكن موجودا من قبل، انسان كانت عنده فترة طويلة للوحدة ، ومجال كبير جدا للقراءة ولمعرفة أقوال الاباء القدامى ، فاصبح التعليم له قيمته ليس فقط من جهة الفكر و التأمل ، وانما من جهة التراث أيضا و التاريخ، انسان كانت لديه فرصة قراءة سيرة القديسين وتاريخ الاوائل يمكن أن يزود كلامه بكثير من القصص التى تجذب الناس . هذا بالاضافة الى تلك النقطة الهامة التى سبق ان ذكرتها الخاصة بتخصيص جزء قبل كل عظة للاجابة عن استفسارات الناس و مشاكلهم .

استمر الانبا شنودة فى مسيرته لترسيخ دعائمه داخل المجتمع القبطى وتحول درس الجمعة الى أهم حدث قبطى اسبوعى، وخرج الانبا شنودة من حدود مجتمع الكنيسة ليضع بصمة له فى المجتمع العام، وكان هذا من خلال القضية الاساسية للمجتمع والوطن وقتها وهى القضية الفلسطينية ،والصراع مع اسرائيل ، اى أن مدخله للمجتمع خارج الكنيسة كان مدخلا سياسيا ، وايضا كان تعبيرا عن مفهوم الانبا شنودة لدور الكنيسة فى قضايا

المجتمع . وكانت ابرز مشاركات الانبا شنودة هى تلك المحاضرة التى القاها بنقابة الصحفيين واصدرها فى كتاب عام ١٩٦٦ وكانت حول "اسرائيل فى راى المسيحية"، وكانت اولى محاضراته فى تجمع اعلامى عقب توليه منصب البطريركية كانت ايضا فى نقابة الصحفيين وكانت حول المسيحية واسرائيل وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٧١ . هكذا لم يترك الانبا شنودة مجالا ليدعم فيه مركزه داخل وخارج الكنيسة ليس بالضرورة النظر الى هذا من خلال تفسير تآمرى لكن بالضرورة كان تعبيرا عن مفهوم خاص للانبا شنودة لدور الكنيسة، وايضا تعبيرا عن اتجاه جديد قادم .

***

توفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، وبعد خمسةاشهر تقريبا فى ٩ مارس ١٩٧١ توفى البابا كيرلس السادس: وخلا الكرسى البابوى، وآن الآوان ليحصد الجيل الجديد ثماره . واصبح عمر الرهبان الشبان متجاوزا لحاجز الاربعين عاما الذى سبق وان وضعه الرهبان القدامى كشرط من شروط الترشيح لكرسى البطريركية ، وذلك ليكون عائقا دون وصولهم لارفع منصب كنسى . وهكذا بات واضحا ان الطريق اصبح ممهدا.

وكانت اللوائح الجديدة التى تنظم انتخابات البابا قد استقرت على عدة ضمانات للاختيار . كان هناك نظام لاستطلاع راى الجماهير القبطية عن طريق نوع من الاستفتاء ، ثم كان على المجمع المقدس ان يختار من بين اعضائه ثلاثة من الرهبان .ثم تقرر كتقليد ان يترك للعناية الالهية دور فى عملية الاختيار ، وذلك عن طريق وضع اسماء الرهبان الثلاثة اصحاب اعلى الاصوات فى

المجمع المقدس فى صندوق صغير ، ثم وضع هذا الصندوق فى غرفة مظلمة ،ثم الاتيان بطفل يدخل وحده الى الغرفة المظلمة ويمد يده الى الصندوق ثم يسحب ورقة واحدة ، ويكون اسم الراهب المكتوب عليها هو البابا الجديد الذى تلعب العناية الالهية دورها فى اختياره عن طريق الاختيار العفوى ليد طفل صغير تمتد فى غرفة مظلمة الى صندوق يحتوى على ثلاثة أسماء. وبعدها كان المجمع المقدس يخطر الحكومة بأسم الراهب الذى شارك الشعب والمجمع المقدس و العناية الالهية فى اختياره . فيصدر مرسوم جمهورى بأعتماد نتيجة الاختيار ،وتكون قيمة المرسوم العملية هى مجرد أن الدولة تتعامل مع البابا الجديد باعتباره راسا للكنيسة.

تمت الانتخابات فى يوم الجمعة ٢٩ اكتوبر ١٩٧١ فاسفرت عن اختيار ثلاثة من الخمسة كانوا حسب الاصوات هم ، الانبا صموئيل (٤٤٠ صوتا) ،الانبا شنودة (٤٣٤ صوتا) و القمص تيموثاوس المقارى (٣١٢ صوتا) ثم أجريت القرعة الهيكلية (الطفل داخل الحجرة المظلمة) يوم الاحد التالى ودخل طفل صغير عمره ست سنوات اسمه ايمن وعصبت عيناه بمنديل أحمر وحمل الانبا أنطونيوس صندوقا فضيا به الورقات الثلاث التى تحمل أسماء الرهبان الثلاثة المرشحين وفتح الصندوق ،ومد الطفل يده واختار احدى الورقات الثلاث وكانت تحمل أسم الانبا شنودة.

فى ذلك الوقت كان الرهبان الثلاثه فى دير السريان بوادى النطرون ،وفور ابلاغ الانبا شنودة بنبأ اختياره بطريركا وبابا للاسكندرية قال : اشكر ابنائى الذين

اعطونى من محبتهم ومن ثقتهم فوق ما استحق وقال الانبا صموئيل الذى كان قد حاز على أعلى الاصوات فى انتخابات يوم الجمعة: بكل فرح نشكر الله على اختياره الموفق و الروح العظيمة التى يحملها الانبا شنودة لاننا نشعر ان الكنيسة فى حاجة الى قيادة جماعية . والانبا شنودة يحب التعاون وله مشروعات وافكار اصلاحية كثيرة . وكلنا سنعمل معه يدا واحدة لتأدية رسالة الكنيسة فى تدعيم القيم الروحية وخدمة الوطن والمجتمع.

وعاد البابا شنودة الى القاهرة مساء نفس اليوم ،وعاد وهو على رأس الكنيسة ، كنيسة تغيرت وسط مجتمع تغير هو أيضا . وبدأت مرحلة جديدة للكنيسة و المجتمع.

***

الفصل الرابع

موكب الكهنة

* موكب الكهنة

وجد البابا شنوده نفسه على راس كنيسة باتت تملك مقومات جديدة للقوة ، تمثلت فى تيار جديد قوى مثله البابا شنوده نفسه ، تيار تميز بمستواه العلمى العالى ، وطموحاته التى لا حد لها ، ورؤيته لحجم الدور والتواجد الذى يعتقد بانه جدير به ، ايضا كنيسة بدات تكون امتدادات لها فى بلاد المهجر خاصة فى الولايات المتحدة وكندا ، مما اعطى لها دعما سياسيا ومعنويا وماديا كبيرا ، ومن اهم ماميز هذا الدعم غير قوته انه ظل بعيدا عن سلطة الدولة فى مصر . ولم يقتصر الوضع على مجرد وجود امتدادات للكنيسة بالخارج بل تعدى ذلك الى بداية خلق قنوات اتصال وعلاقات متميزة مع المؤسسات الكنسية العالمية ، والكنائس الأخرى حتى تلك التى كانت دوما على الطرف الآخر من الكنيسة القبطية أيضا كان لعدم وجود زعامات مدنية سياسية قبطية منافسة للكنيسة فى تاثيرها على الاقباط دور حاسم فى طرح الكنيسة كمحور يتجمع حوله وبه الاقباط.

هكذا بدت الكنيسة مهياة تماما تملك من القوة اسبابها ولم يبق سوى من ياتى لقيادة هذه الكنيسة القوية ، المتغيرة ، المستعدة لدخول تحديات جديدة وغير مالوفة حتى ذلك الوقت .

فى الطرف الآخر ، وجدت الكنيسة انه اصبح على راسها رجل يدرك تماما هذه المتغيرات الجديدة - بل انه كان احد صانعيها - ، أيضا يتمتع بقدر عال من الاحساس بالقوة الذاتية - سواء على المستوى الشخصى أو على

مستوى الكنيسة - مدرك لطبيعة الدور الذى عليه ان يقوم به ، ممتلك مقومات زعامية حرص طوال سنوات طويلة على تأكيدها وصقلها ، أيضا رجل يعرف كيف يوظف الفضائل فى تأكيد القوة والتميز ، ولعل البادرة التى قام بها عقب توليه منصبه بأن أمر بجعل المقعد الذى يجلس عليه البابا مساويا لمقاعد الآخرين - ذلك على عكس العرف الذى كان متبعا بأن مقعد البابا يكون أعلى بحوالى عشرين سنتيمترا - هذا الموقف والذى قصد به تأكيد ارتباط البابا بالآخرين وبأنه منهم ، هو ايضا موقف أثبت فيه البابا شنوده فضيلة التواضع ،ولكن لا يمكن تخليصه من الذكاء ، ومن الرغبة فى خلق شخصية جماهيرية زعامية محبوبة لدى الآخرين • يعتقدون فى ذكائها وقوتها وتواضعها •

باجتماع كنيسة بهذه المواصفات الجديدة ، وبطريرك بهذه الصفات ، أصبح الوضع مواتيا لأن تكون الكنيسة طرفا مستقلا ازاء الدولة ، محاورا أحيانا ، ومناوشا فى بعض الأوقات ، ومستعرضا للقوة أحيانا أخرى • وفى ظل ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية خاصة ، بدا واضحا أن صداما قادما لاشك فيه ، طرفاه الكنيسة والدولة وان محركى هذا الصدام وعلى رأسه البابا شنوده ، والرئيس أنور السادات •

لا يمكن الزعم بأن أى بلد مهما تعاظم فيه الشعور بالوحدة الوطنية يمكن أن يكون بمنأى عن حوادث فردية أو شقاق يقع بين أشخاص ينتمون الى طوائف مختلفة سواء أكانت دينية أم غير دينية • ويمكن فى بعض الحالات ، وفى ظل ظروف معينة أن ينتقل هذا الشقاق من

المستوى الشخصى أو الفردى الى المستوى الطائفى • انطلاقا من هذه القاعدة فانه من الطبيعى جدا أن تشهد مصر حوادث شخصية بين مسلمين واقباط ، وقد تتصاعد هذه الحوادث الى مستوى أعلى من ذلك فى بعض الاحيان ، ولكن لم يحدث حتى الآن أن وصل الأمر الى حد الشقاق الطائفى ، ونأمل ألا يحدث ذلك أبدا •

فقد صاغ الشعب المصرى وحدته الوطنية خلال أجيال من تاريخه الطويل • ولعله بسبب هذه الوحدة تمكنت مصر من مقاومة الغزاة على مر العصور ، واحتفظت بشخصيتها القومية ، فقد كانت هذه الوحدة حائلا دون شق الصفوف ، فلم يسمح القطاع العريض من الاقباط للغزاة بأن يندسوا بينهم أو أن يستخدموهم باسم الدين ، ولم يسمح القطاع العريض من المسلمين بأن يؤلبهم أحد على شركائهم فى أرض الوطن • وكان شعار " الدين لله والوطن للجميع " هو افراز هذه الوحدة المترسخة •

على الرغم من ذلك ، واعمالا للقاعدة التى سبق ذكرها ، فان مصر شهدت مجموعة من الحوادث المثيرة للفتنة ولكن على فترات متباعدة • الا أن الملاحظ أن هذه الحوادث شهدت نوعا من التكثيف والتزايد خلال العامين الأولين من عقد السبعينات •

فوفقا لتقرير احدى لجان مجلس الشعب فقد بلغت هذه الحوادث فى الفترة من ١٩٧٠/٦/١٦ حتى ١٩٧٢/١١/١٢ احدى عشرة حادثة ، وقع منها عشر حوادث ابتداء من ١٩٧١/٨/١١ " واصبحت هذه الحوادث تعبر عن حالة من التوتر يزكيها تيار دينى قوى يمضى بغير ارشاد سليم بعد خطر التعصب ، وتحفه المبالغة التى يسهم فيها

بحسن نية بعض المواطنين دون أن يفطنوا الى أن بث التفرقة والكراهية بين الطوائف هو السلاح الذى يستخدمه الاستعمار لاضعاف جلد الامة وصرفها عن قضيتها الأساسية وهى التحرير " - من تعليق اللجنة التى أعدت التقرير - ٠

توقيت ازدياد الحوادث مسالة مثيرة للملاحظة ، فالفترة المذكورة تاتى بعد هزيمة يونيو بثلاث سنوات تقريبا ، والاهم أنها تاتى فى أعقاب حركة ١٥ مايو وانفراد السادات بالسلطة ، وتاتى أيضا مواكبة لما تردد عن لقاءات بين بعض أقطاب النظام وقيادات الاخوان المسلمين ، وتتزامن أيضا مع تولى البابا شنوده لمنصبه كراس للكنيسة القبطية ٠ هذه الملاحظات لا تعنى بالقطع أن احد هذه العناصر وحده هو المحرك الاساسى لبدء تصاعد الفعل ورد الفعل بين المسلمين والاقباط ، ولكن هذه العناصر جميعها بالاضافة الى تربة باتت مهياة بشكل ما ، هى التى أفرزت هذه التفاعلات الجديدة والتى كانت مجرد بداية لعصر جديد ٠

فى هذا الجزء سوف نتوقف أمام حادث الخانكة ، هذا الحادث الذى يعد نقطة تحول هامة فى تاريخ العلاقة بين الكنيسة والدولة ، وسوف نعتمد على الروايات المختلفة لهذا الحادث ، ونحاول التوصل الى دلالة ما حدث ، وماذا يعنى هذا الموقف فى تاريخ العلاقة بين الاقباط والوطن٠

* * *

لم يات حادث الخانكة من فراغ ، بل سبقته مجموعة من

المقدمات حددتها اللجنة التى شكلها مجلس الشعب فى ذلك الوقت ، بالعناصر التالية :

ففى خلال عام ١٩٧٠ وقع بمدينة الاسكندرية حادث فردى خاص باعتناق شابين من المسلمين للمسيحية تحت تأثير ظروف مختلفة ، وقد سرت اخبار ذلك بين الناس وكانت موضع تعليق ونقد بعض أئمة المساجد استنكارا للنشاط التبشيرى •

وقد أعدت مديرية الأوقاف بالاسكندرية وقتئذ تقريرا قدمه الشيخ ابراهيم عبد الحميد اللبان وكيل المديرية لشئون الدعوة " بنتيجة بحثه لموضوع الانحراف العقائدى لبعض الطلاب بمنطقة جليم والرمل" وقد ذكر فيه الأخطار التى تهدد بعض الشباب نتيجة حملات تبشير نسبت الى بعض القساوسة ، كما تضمن جملة افتراضات تعكس مخاوف مقدم التقرير من هذه المخاطر •

وفى عام ١٩٧٢ أى بعد قرابة سنتين من تقديم هذا التقرير الذى يعد تقريرا داخليا ليس معدا للنشر، امتدت يد خبيثة اليه فحصلت على صورة منه وقامت بنسخه بالاستنسل وتوزيعه على نطاق واسع •

وقد تضمن التقرير بعض الامور التصورية المنسوبة الى بعض رجال الدين الاقباط والتى من شأنها أن تثير استفزاز من يطلع عليها من المسلمين ، تحمله على تصديق أمور لم يقم أى دليل على نسبتها اليهم وبعضها بعيد التصديق مما حمل بعض ائمة المساجد على أن يتناولوها فى خطبهم بالتنديد الشديد • وكانت نتيجة

ذلك زيادة استياء كثير من المسلمين وبذر بذور الشقاق بينهم وبين اخوانهم الاقباط • ورغم شيوع أمر هذا التقرير لم تقم الجهات المسئولة والاعلامية بالتصدى له بالمواجهة والنفى ، ربما ظنا منها أن أثره سيكون محدودا وأنه سرعان ما يتلاشى ، كما أن يد العدالة لم تستطع أن تمتد الى مروجيه •

وتستمر اللجنة فى تقريرها فى سرد مقدمات الحادث من وجهة نظرها - وحينما بدأت مرحلة تصحيح مسار الثورة فى ١٥ مايو ١٩٧١ دعيت الجماهير الى المشاركة فى اعداد الدستور الدائم ، كان من الواضح لدى اللجنة المختصة باعداد الدستور الجديد التى طافت أنحاء البلاد حينئذ ، بروز تيار متدفق يدعو الى اعتبار الشريعة الاسلامية مصدر التشريع ، تقابله دعوة أخرى من المواطنين الاقباط الى التمسك بحرية العقيدة والأديان وخاصة الغاء التراخيص المقررة لاقامة الكنائس • ولم يكن التوضيح كافيا بأن الدعوة الى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية لاتتنافى مع حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية التى كفلها الدستور لجميع المواطنين وأن الاسلام والمسيحية رسالتا تسامح ومحبة يدينان بالوازع الدينى •

فى هذا المناخ الذى سادته مفاهيم الحرية وسيادة القانون وارتفع فيه شعار دولة العلم والايمان ، انتخب الأنبا شنوده بابا لكنيسة الاسكندرية والكرازة المرقسية فى آخر أكتوبر ١٩٧١ ونصب يوم ١٤ نوفمبر فى احتفال شهده رئيس الوزراء وقتئذ وكبار المسئولين فى الدولة واذيع بالتلفزيون والراديو وكان موضع اهتمام

واسع من جميع وسائل الاعلام •

وكان من الواضح أن البابا الجديد قد بدأ نشاطا واسعا فى خدمة الكنيسة والوطن فبمجرد انتخابه ألقى محاضرة عن اسرائيل فى نقابة الصحفيين تقرر طبعها بخمس لغات ونشر فى بعض الصحف حديثا أسبوعيا يوم الأحد وأعلن تنظيمات للكنيسة تدعيما لرسالتها الروحية ومعالجة لقضايا المجتمع داخل النطاق المعهود فى اسلوب علمى وروحى وهو أول بابا فى العصر الحديث من رؤساء الكلية الاكليركية •

يبدو أن بعض الحساسيات كانت تنشأ أحيانا عن هذا النشاط الواسع ، حتى قبل انتخاب الانبا شنوده للبابوية ، فقد أصدرت مجلة الهلال عددا خاصا عن القرآن فى ديسمبر ١٩٧٠ ونشر فيه مقال عنوانه "القرآن والمسيحية " بقلم الانبا شنوده مبينا فيه الالتقاء بين الاسلام والمسيحية • وقد تناوله بالرد والتعليق عليه بعض الخطباء على منابر المساجد على حد ما نشرته مجلة الهلال فى عددها الصادر بعد ذلك فى فبراير ١٩٧١ والذى تضمن نشر تعليقات أخرى على هذا المقال •

كما أن اعلان البابا شنوده بعد انتخابه عن تمسكه برفض أية دعوة الى اباحة الطلاق للمسيحيين الا لعلة الزنى وأن كل طلاق يحدث بغير هذه العلة الواحدة لا تعترف به الكنيسة ، كان يقابله على الجانب الآخر رفض لأى دعوة الى تعديل قانون الأسرة بالنسبة للمسلمين ووضع أى تنظيم لحق الطلاق ، ومثله أى حديث له عن

تطوير الكلية الاكليركية ، أو استعادة كنيسة الاسكندرية لمنزلتها العالمية وقيادتها الافريقية ، رغم أنه معنى سبق أن ردده بعض كبار الاقباط ممن تعاونوا دائما مع نظام الدولة باخلاص (على سبيل المثال مقال الدكتور كمال رمزى استينو ، بعنوان " آمالنا فى عهد البابا شنوده " جريدة الأهرام فى ١٥ نوفمبر ١٩٧١) . ومثل هذه الحساسيات لمستها اللجنة أيضا لدى بعض رجال الدين المسيحى بشأن ما نشره بعض الكتاب المسلمين عن المزامير والتوراة والتثليث .

ومن هذه النقاط المختلفة ، تعاظم الشعور بالحساسية من كل ما ينشره أو يقوله رجال الدين المسيحى فى نطاق العقيدة المسيحية عن فهم للاسلام ، ومن كل ما يدين به رجال الشرع الاسلامى فى نطاق العقيدة الاسلامية عن فهم للمسيحية .

وقد استطاعت اللجنة أن تلمس خلال لقاءاتها بالبابا شنوده من ناحية وبالامام الاكبر شيخ الجامع الازهر وفضيلة وزير الأوقاف من ناحية أخرى الحساسية المفرطة من كل ما ينشر متعلقا بالموضوعات الدينية ، حتى وصلت هذه الحساسية الى حد الاستياء من أية عبارة قد ترد عرضا فى سياق مقال لكاتب أو صحفى مما يمكن أن يساء تأويله أو فهمه . وهى حساسية يجب على المسئولين الدينيين أن يرتفعوا فوقها والا أصبح ابداء الرأى والتعليق والاستدلال محفوفا بالمخاطر .

وبعدها تناقل الناس أخبار تقرير آخر غير تقرير الشيخ ابراهيم اللبان ، وقد وصف بأنه تقرير لجهات

الأمن الرسمية عن اجتماع عقده الأنبا شنوده فى ١٥ مارس ١٩٧٢ بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ، وقد أخذ هذا التقرير طريقه الى التوزيع • وقد صيغ على نحو يوحى بصحته كتقرير رسمى ، وتضمن أقوالا نسبت الى بطريرك الاقباط فى هذا الاجتماع • ورغم أن هذا التقرير كان ظاهر الاصطناع ، فقد تناقله بعض الناس على أنه حقيقة مما ولد اعتقادا خاطئا لدى البعض بأن هناك مخططا لدى الكنيسة القبطية حسبما جاء بهذا المنشور تهدف به الى أن يتساوى المسيحيون فى العدد مع المسلمين والسعى الى افقار المسلمين واثراء الشعب القبطى حتى تعود البلاد الى أصحابها المسيحيين من أيدى الغزاة المسلمين كما عادت أسبانيا النصرانية بعد استعمار اسلامى دام ثمانية قرون !

ورغم خطورة هذا المنشور المصطنع وأثره على نفسية بعض المسلمين الذين يطلعون عليه ويتناقلون مضمونه ، فلم يتخذ اجراء حاسم لتنبيه الناس الى افكه •

واذا كان الاتحاد الاشتراكى قد أصدر أخيرا بيانا بتكذيب ما تضمنته هذه النشرة ، فقد كان المأمول ألا يقتصر توجيهه على القواعد التنظيمية بالاتحاد الاشتراكى • وقد استغل بعض المتطرفين هذا التقرير المصطنع فراحوا يوزعونه مع تعليق فيه اثارة وحض على الكراهية •

وقد أحدث ذلك رد فعل ربما كان من أسوأ مظاهره مابدا فى مؤتمر عقده بعض رجال الدين المسيحى بالاسكندرية يومى ١٧ و ١٨ يوليو ١٩٧٢ ، واتخذوا فيه قرارات

أبرقوا بها الى الجهات المسئولة ومن بينها مجلس الشعب ، وكلها تدور حول المطالبة بما سموه حماية حقوقهم وعقيدتهم المسيحية وانه بدون ذلك سيكون الاستشهاد افضل من حياة ذليلة ، وهو موقف كان موضع استياء عام من كافة الطوائف المسيحية نفسها • وقد نبهت هذه الظروف مجتمعة الى الخطر الذى بدا يهدد الوحدة الوطنية ، مما دعا السيد الرئيس انور السادات الى أن يدعو المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى العربى الى أن يبحث فى دور انعقاده فى ٢٤ يوليو ١٩٧٢ موضوعا واحدا هو الوحدة الوطنية • وخلال جلسات هذا المؤتمر اعلن الرئيس أن هناك محاولات تشكيك تبذل للتأثير فى جبهتنا الداخلية وأنهم وصلوا الى حد التشكيك بالوحدة الوطنية وأن هناك منشورات فى هذا المعنى قدمت من خارج البلاد وبالتحديد من الولايات المتحدة ، بينما أن أرض هذا الوطن واحدة وأن سماءه واحدة وشعبه واحد•

وأعلن الرئيس أنه سيدعو مجلس الشعب لدورة طارئة حتى يشرع قانونا للوحدة الوطنية •

وقد دعا مجلس الشعب فعلا الى دور انعقاد غير عادى فى شهر أغسطس ١٩٧٢ حيث أعد مشروع قانون لحماية الوحدة الوطنية أصبح نافذا بعد نشره فى الجريدة الرسمية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٢ وفى صدر هذا القانون برز معنى هام يجب أن يكون موضع ادراكنا العميق ، وهو أن الوحدة الوطنية هى القائمة على احترام المقومات الأساسية للمجتمع كما حددها الدستور ومنها على وجه الخصوص

حرية العقيدة وحرية الرأى بما لا يمس حريات الآخرين أو المقومات الأساسية للمجتمع •

ورغم صدور هذا القانون فقد وقع حادث اعتداء مؤسف على مبنى جمعية النهضة الارثوذكسية بجهة سنهور بالبحيرة وذلك يوم ١٩٧٢/٩/٨ ، (الجناية ٣١٠٣ لسنة ١٩٧٢ جنايات مركز دمنهور) وابلغ بعدها فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٢ (القضية رقم ٦٥٤ سنة ١٩٧٢ امن دولة عليا) عن قيام بعض الاشخاص بطبع مائة نسخة من التقرير المصطنع عن الاجتماع المنسوب الى البابا والذى أسلفنا الاشارة اليه ، وأخيرا وقعت الحوادث المؤسفة التى جرت فى الخانكة •

كانت هذه هى مقدمات أسباب حوادث الفتنة فى اعتقاد اللجنة التى شكلها مجلس الشعب برئاسة د• جمال العطيفى فى ذلك الوقت لتقصى الحقائق •

***

للبابا شنوده تصور آخر حول مقدمات هذه الحوادث ، فهو يرفض الربط بينها وبين مجرد توليه ، ولكنه يعتقد بأهمية ربط هذه الحوادث بكافة المتغيرات التى حدثت فى المجتمع فى ذلك الوقت • ولعل أهم متغير من وجهة نظر البابا شنوده هو خروج المنتمين للتيار الاسلامى من السجون والمعتقلات عقب أحداث عام ١٩٧١ ، وقد تعرض هؤلاء " للكبت طوال سنوات سجنهم" وفقا لتعبير البابا شنوده الذى يضيف " أنهم كانوا بحاجة للتنفيس ،

وكانوا لا يستطيعون أن ينفسوا عما بداخلهم ضد الحكومة لانها هى التى اخرجتهم من السجون ، لذلك اصبح تنفيسهم موجها للمسيحيين " • ويقول البابا شنوده " بدأت الاحداث ببعض المنشورات التى صدرت فى الاسكندرية منها منشور موجه ضد القمص بيشوى كامل ومنشور آخر موجه ضدى • المنشورات كانت مثيرة ، وكان عنوانها : "المنشور السرى للبابا شنوده " تضمن هذا المنشور معلومات عن أن البابا شنوده قد عقد اجتماعا فى مارس ١٩٧٣ بالاسكندرية ، بدأ الاجتماع بالتراتيل والالحان ، وبعد أن انتهى من مقدمات الاحتفال صرف عامة الشعب وابقى القادة وقال لهم الآتى ـ وفقا للمنشور المذكور ـ ان البابا سيرجع مصر مسيحية كما كانت ، وانه اصدر اجراءات فى هذا الصدد منها تقليل عدد الوفيات عند المسيحيين وزيادة المولودين ، والعكس زيادة عدد الوفيات عند المسلمين وتقليل النسل • ومما سوف يساعد على هذا الامر أن ٦٠ ٪ من الاطباء مسيحيون •

وفى نهاية المنشور طلبات قيل أن البابا قدمها للحكومة منها حصول الاقباط على ربع القيادات فى الجيش والبرلمان ومجلس الوزراء والمناصب القيادية فى الحكومة •

يعلق البابا شنوده على هذا المنشور بانه كلام خيالى وغير معقول ، فهل يستطيع البابا أن يقول للاطباء اقتلوا الناس ؟ ولو قاله هل يقبلونه ؟ وهل يحترمون شخصا قال هذا الكلام ؟ لقد أوجدت هذه المنشورات جوا غير معقول ، واحدثت ضجة كبرى •

عندما وصلني هذا المنشور أرسلت نسخة منه للسادات ونسخة الى ممدوح سالم رئيس الوزراء ونسخة للدكتور عبد القادر حاتم •

ولكن الذى حدث أنه لم يتم اتخاذ أى اجراء لايقاف هذا المنشور واستمر الامر حوالى ستة أشهر بدأت بعد ذلك الامور تتصاعد وتتزايد الى أن صدق كثير من المثقفين هذا المنشور!!"

ويستمر البابا شنوده فى سرد المقدمات من وجهة نظره : " قبل أن تحدث حادثة الخانكة ، حدثت أشياء أخرى ، حرقت كنيسة فى سنهور ، وكنيسة أخرى فى قرية بمحافظة قنا هذا بالاضافة للمنشورات التى أشرت اليها كل هذا والحكومة تركت كل شىء هادئا لدرجة اننى قلت لأحد الوزراء الذين زارونى فى ذلك الوقت " انكم تتركون المشاعر تتجمع وتتحفز ضدنا ولا تتحركون " وحذرته من مضار هذا الموقف •

***

للاستاذ فهمى هويدى - المفكر الاسلامى المعروف - وجهة نظر مختلفة فى تفسير بدايات التوتر بأنها تعود الى الافراج عن المنتمين للتيار الإسلامى ، عندما سألته حول مدى اعتقاده بأن تعامل الحكومة مع التيار الاسلامى فى مطلع السبعينات كان أحد الدوافع التى دفعت الكنيسة لأن تكون متحفزة فى سلوكها أجاب بأننا فى حاجة أولا لان نتثبت من واقعة تعامل الحكومة مع الحركة الاسلامية ، هناك مقولة شائعة بأن السادات هو الذى شجعهم وسلحهم ، وهذه مقولة مرفوضة ومستحيلة • من الطبيعى أن يخرج

الناس من المعتقلات ، فليس معقولا أن يبقوا فيها عمرهم كله ، فالبلد كانت تمر بمرحلة انفراج سياسى لا يمكن أن يستثنى التيار الاسلامى منه ، وذلك لا يمكن أن يفسر على أنه انحياز للتيار الاسلامى ! ويضيف فهمى هويدى " النقطة الثانية فى هذا الموضوع أن السادات فى بعض الأحيان كان يعتقد أن معركته مع الناصريين والشيوعيين يمكن أن تحسم بتوازن اسلامى ، ولكن هذا لم يترجم ترجمة عملية ، مثلا عندما يتصرف محافظ من المحافظين - محمد عثمان محافظ أسيوط مثلا - من جانبه بشكل أعطى الانطباع بأن الدولة تحابى التيار الاسلامى ، هذا أمر لا ينبغى أن يحسب على الدولة ككل ولكن على المسئول وحده ، بدليل أن السادات ظل مشتبكا مع الحالة الاسلامية بصفة مستمرة وحتى النهاية • أيضا من بين التفسيرات التى يمكن أن توضع فى هذا المقام علاقة عثمان أحمد عثمان ببعض رموز الاخوان ، وفى نفس الوقت علاقة عثمان بالسادات •

هاتان العلاقتان ساعدتا على ألا يأخذ السادات موقفا معاديا ، لكن هذا بالضرورة لا يعنى أنه كان متعاطفا أو منحازا لهم •

وعلاقة عثمان نفسها بالأخوان يمكن تفسيرها فى اطار اعتبارات تاريخية وجغرافية ومصلحية فعثمان أحمد عثمان من الاسماعيلية ، وحركة الأخوان المسلمين نشأت هناك • وشعر عثمان بأنه يمكن الاستفادة بقدرات هؤلاء الأشخاص المنتمين للأخوان والذين فرض عليهم الخروج من مصر ، وذلك فى مشروعاته المنتشرة هنا وهناك • فهو هنا كان يعمل لحسابه الخاص ولم يكن لذلك علاقة بالموقف السياسى •

ويصل فهمي هويدى الى مسببات حادث الخانكة بقوله : " البلد فى هذه الفترة كانت تعيش مرحلة تفاعل جياش بين مختلف المشاعر ، وانا احمل موضوع الخانكة على مجمل الظروف الاجتماعية والسياسية التى كانت تتسم بالتفسخ فى ذلك الوقت ، ايضا عدم رشد الثقافة الاسلامية والمعارف الاسلامية ، وحدة موقف الكنيسة او بداية تشكيل موقف سياسى للكنيسة - لا اقول انها تناطح الدولة - ولكنها تثبت ان لها حضورا فى مواجهة الدولة حيث بدات فكرة تكريس الاحتماء بالطائفة اكثر من الاحتماء بالوطن .

***

ونصل الى حادثة الخانكة ، ونبدا مع رواية هيكل الذى يقول " حين ينظر اى مراقب الآن الى الوراء ويستعرض ما كان فانه يبدو ان صداما كان محتما بين السادات وشنوده . والحقيقة ان كليهما كان فيه شيء من الآخر ، على الاقل من ناحية الاحساس بالذات . ولم يتأخر الصدام كثيرا ، فقد بدا اول احتكاك بين الاثنين بعد ستة اشهر من انتخاب البابا شنوده . كان سبب الاحتكاك هو السبب التقليدى القديم : كنيسة قامت بغير ترخيص فى الخانكة (احدى ضواحى القاهرة) . وكان قيامها بنفس الطريقة القديمة : قطعة من الارض اشتريت واحيطت بسور من الدكاكين ، ثم اصبحت الارض الفضاء فى قلبها ملعبا ، ثم مدرسة ثم ملتقى دينيا ، ثم جاءها المذبح ذات ليلة ، ودشنها احد الاساقفة وفتحت لاقامة الصلوات . فقامت وزارة الداخلية بواسطة البوليس بازالة بعض المنشآت ، ومنعت استعمالها للغرض الذى كان مقررا لها . ولم يسكت شنوده ، وانما اصدر امره

فى اليوم التالى الى مجموعة من الأساقفة ان يتقدموا موكبا ضخما من القسس ، ويسيروا صفا بعد صف فى زحف شبه عسكرى الى ما بقى من مبنى " الكنيسة " ، ثم يقيموا قداس صلاة حتى بين اطلاله . وكانت الأوامر لهم ان يواصلوا التقدم مهما كان الأمر ، حتى اذا اطلق البوليس عليهم نيران بنادقهم . وحاول البوليس أن يتعرض لموكب الأساقفة والقسس ولكن الموكب مضى حتى النهاية ، وكان المشهد مثيرا ، وكانت عواقبه المحتملة خطيرة "

ووفقا لرواية هيكل فان انور السادات قد غضب غضبا شديدا مما اعتبره ليس فقط تحديا له ، وانما ايضا مما اعتبره نكرانا للجميل من مرشح للكرسى البابوى كان هو نفسه - بنصائح وزير داخليته - متعاطفا معه. ويقول هيكل ان السادات قد اتصل به فى مكتبه بالأهرام وقال له " اننى قررت ان افجر المسالة الطائفية ، وسأذهب الى مجلس الشعب بنفسى واشرح لاعضائه تفاصيل ما يجرى واطلب منهم ان يتخذوا ما يرونه من قرارات " وطلب من هيكل ان يعد له خطابا يفجر فيه المسالة امام مجلس الشعب وكان رد هيكل - وفقا لروايته - " ان المشكلة الطائفية - على فرض ان هناك مشكلة - لا يمكن ان تواجه باسلوب التفجير " وكان رد السادات عصبيا : " اننى لا استطيع ان اجلس بقنبلة موقوتة تحت الكرسى ، وانا لست مثل جمال عبد الناصر اترك المسائل تحل نفسها. ان شنوده يريد ان يلوى ذراعى ، ولن اسمح له بأن يفعل ذلك ".

ولكن تم الاتفاق فى النهاية على ان يرسل الرئيس

السادات خطابا الى مجلس الشعب لطلب التحقيق ، وذهب الخطاب الى المجلس ، ودارت مناقشات عامة حوله ، ثم أحيل الى لجنة يرأسها الدكتور جمال العطيفى • وتم تشكيلها يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٢ والتقت اللجنة بوزير الداخلية والنائب العام ، وطلبت تقريرا عن الحادث من النيابة العامة ، وآخر من وزارة الداخلية ، والتقت اللجنة بالبابا شنوده ، والامام الاكبر محمد الفحام شيخ الازهر فى ذلك الوقت وعدد آخر من رجال الدين الاسلامى والمسيحى ، كما استمعت لمجموعة من شهود الحادث • ولعله من المناسب أن نذكر هنا تفاصيل الحادث كما أوردته اللجنة والذى بدأ يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٢

منذ عام ١٩٤٦ وجمعية أصدقاء الكتاب المقدس تباشر نشاطها فى الخانكة كجمعية دينية مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية ، ومنذ حوالى سنة قام المحامى احمد عزمى ابو شريفه ببيع قطعة أرض صغيرة يملكها مجاورة لمنزله بالحى المسمى الحى البولاقى بمدينة الخانكة الى من يدعى محمد سعد الجلدة ، العامل بمزرعة الجبل الأصفر الذى باعها بدوره الى أحد المسيحيين ، وتسلسلت عقود بيعها حتى انتهت ملكيتها الى الانبا مكسيموس مطران القليوبية ، وكان الظن وقتئذ أنها ستبنى مقرا لهذه الجمعية ، وقد سورت فعلا والحقت بها حجرات نقلت اليها الجمعية • غير أنه فى مطلع صيف هذا العام أقيم فيها مذبح للصلاة ورتب فناؤها بما يسمح باقامة الشعائر الدينية فيه ، وتولى القس مرقس فرج وهو راعى كنيسة أبوزعبل التى تبعد قرابة ثلاثة كيلومترات من الخانكة " اقامة الشعائر الدينية فيها " فى أيام

الجمع لانشغاله أيام الآحاد بكنيسته الأصلية في أبي زعبل .

ولما كانت الجمعية لم تستصدر قرارا جمهوريا بالترخيص باقامة كنيسة ، فقد أخذت الادارة تعهدا على رئيس الجمعية شاكر غبور بعدم استخدامها ككنيسة الا بعد الحصول على الترخيص . وقد أثار استخدام هذا المكان ككنيسة بغير ترخيص اعتراض بعض المقيمين بمدينة الخانكة ومن بينهم عبد القادر البرى وهو مفتش مالي وعضو المجلس الشعبي بمحافظة القليوبية ، وليس هناك ما يدل على أن هذا الاعتراض قد اتخذ مظهرا عنيفا أو كان موضع اهتمام عام .

وفي صبيحة يوم الحادث ٦ نوفمبر ١٩٧٢ وهو أول أيام عيد الفطر المبارك أخطرت النيابة العامة بحدوث حريق في هذا المبنى . وقد تبين أن النار قد أتت على سقفه وهو من الأخشاب ، كما امتدت الى موجوداته ولكنها لم تمتد الى جدرانه المبللة ، ولم تتوصل التحقيقات التي أجرتها النيابة الى معرفة الفاعل. غير أن بعض الذين كانوا يبيتون في المبنى لحراسته قرروا في تحقيق النيابة أنهم شاهدوا جملة أشخاص يلقون زجاجات مشتعلة من الخارج ، وقد أمكن لرجال المطافيء اخماد النار بمعاونة بعض الأهالي من المسلمين والمسيحيين . ودون تدخل في اجراءات التحقيق الجنائي ومايمكن أن تستخلصه النيابة العامة من ثبوت للتهمة أو عدم ثبوتها فان هناك حقائق يجب أن تؤخذ في الاعتبار :

١- ان اهالي مدينة الخانكة كانوا يعيشون دائما في وئام ، وقد ضربوا المثل في التعاون والوحدة حينما تعرض احد مصانع ابو زعبل القريبة من الخانكة لغارات طائرات اسرائيل الفانتوم في فبراير ١٩٧٠ حيث قتل سبعون عاملا واصيب ٦٩ غيرهم بجراح ، مما عبأ الجميع ضد العدو ، لان القنابل التي القيت لم تفرق بين المسلم والقبطي ·

٢- ان رئيس مجلس المدينة السابق كان من الاقباط وقد ظل في مركزه قرابة اثنتى عشرة سنة وهو السيد اديب حنا ، ولم يثر هذا اى حساسيات طوال هذه السنوات · وحينما عين خلفه الحالي السيد عادل رمضان في مارس ١٩٧٢ احتفلت به جمعية اصدقاء الكتاب المقدس في مبناها الجديد الذى انتقلت اليه ويشغل عدد كبير من الاقباط وظائف هامة وخاصة في قطاعى الصحة والصحة النفسية حيث تزيد نسبة الموظفين الاقباط على ستين في المائة اذ يبلغ عددهم ٣٨ من بين ٥٩ موظفا (طبقا للبيانات التي قدمها رئيس مجلس المدينة) · ويبلغ مجموع الموظفين الاقباط في هذا المركز ١١١ من بين مجموعهم البالغ ٨٥٦ موظفا ·

٣- ان مبنى جمعية اصدقاء الكتاب المقدس الذى احترق سقفه واحترقت موجوداته هو مبنى صغير يقع في مكان منزو غير مطروق يقع بالجهة الشرقية للمدينة ويقوم حوله بعض مساكن المسلمين · ولم يكن مرخصا كبناء فضلا عن عدم الترخيص به ككنيسة ، ولكن من ناحية الأمر الواقع كانت تباشر فيه الشعائر الدينية دون تعرض من جهات الادارة وبتسامح منها · وقد قام بعض المسلمين

من أهالى الخانكة بجمع تبرعات لاقامة مسجد شديد القرب من هذا المكان وشرع فعلا فى بنائه •

٤- ان عدد سكان الخانكة كما جاء بالتعداد العام للسكان المنشور عام ١٩٦٠ بلغ ٢١٨٦٣ منهم ٦١٥ مسيحيا غير أن البيانات التى قدمت للجنة من مجلس المدينة تفيد بأن عدد المسيحيين لا يجاوز ستا وثلاثين أسرة • وقد طلبت اللجنة بيانا من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بعد اتصال قام به رئيسها بالفريق جمال عسكر ، ويبين من الرد الذى تلقته اللجنة أنه كان فى مدينة الخانكة فى عام ١٩٦٦ عدد ٦٩٢ مسيحيا فزاد فى عام ١٩٧٢ الى ٨٠٣ مسيحيين بينما أن جملة المسيحيين فى مركز الخانكة (مدينة وقرى) بلغ فى عام ١٩٦٦ عدد ٢٥٥٢ وزاد فى عام ١٩٧٢ الى ٢٩٦٣ •

٥- أنه قد بولغ فى تصوير هذا الحادث فيما عرض على قداسة البابا من معلومات عنه ، وزاد من حدة التوتر أنه قد سبقه منذ شهور قليلة حادث مماثل فى سنهور بجهة دمنهور • فقد ورد فى التقرير الذى قدم الى قداسة البابا عن هذا الحادث ما يفهم منه أن المكان قد أحرق بالكامل وصور الحادث على أن المطافىء تباطأت فى اطفاء الحريق ، وأن المتآمرين منعوا رجال الاطفاء من أداء واجبهم ، كما تضمن هذا التقرير تشكيكا فى سلامة اجراءات التحقيق وعدم حيدتها •

وقد أثبتت المعاينة التى قامت بها اللجنة بالاضافة الى المعاينة التى أجرتها النيابة أن الحريق لم يمتد الا الى السقف الخشبى والى الموجودات الخشبية وأنه

لولا تدخل رجال الاطفاء لما كانت النار قد اخمدت دون خسائر اخرى • كما ان وصف الحادث بانه حريق لكنيسة (بينما لا توجد كنيسة مصرح بها رسميا) وانه بذلك ينطوى على امتهان المُقدسات المسيحية ، قد اضفى على تصوير الحادث طابع الاثارة •

وقد عرضت اللجنة على قداسة البابا الوقائع الصحيحة التى استخلصتها ، فوافق قداسته على عدم اعتماد المعلومات التى قدمت اليه انتظارا لما يسفر عنه التحقيق •

٦- على انه من ناحية اخرى ، فقد احالت اللجنة كل ما قدم اليها من معلومات عن اتهام اشخاص معينين بالاشتراك او التحريض على ارتكاب هذا الحادث الى النائب العام ليجرى شئونه فيه •

حادث يوم الأحد ١٢ نوفمبر ١٩٧٢

فى صبيحة هذا اليوم اتجهت الى مدينة الخانكة بعض سيارات الاتوبيس السياحية والسيارات الخاصة والأجرة يستقلها حوالى اربعمائة شخص يرتدى اكثر من مائة شخص منهم الملابس الكهنوتية الخاصة بالقساوسة والشمامسة • وكان قد نمى الى علم السلطات ان قرارا قد اتخذه مجمع كهنة القاهرة باقامة الصلوات يوم الأحد فى مقر جمعية اصدقاء الكتاب المقدس الذى وقع فيه حادث الحريق وهى الجمعية التى كان يتخذها الاقباط المقيمون فى الخانكة كنيسة لهم • وقد استوقفتهم قوات الأمن التى قدمت على عجل من عاصمة المحافظة عند قرية القلج التى تقع فى الطريق الى الخانكة وذلك فى محاولة لاثنائهم عن عزمهم خشية ان يؤدى هذا الجمع

الكبير الى اثارة غير محمودة العواقب والاكتفاء بعدد محدود منهم ولكنهم صمموا على أن يمضوا فى تنفيذ ما اعتزموه ، فاتخذت قوات الامن الاحتياطات اللازمة ومضوا سيرا على الاقدام فى موكب طويل مرددين التراتيل الدينية يتقدمهم بعض القساوسة . وحينما وصلوا الى مقر الحادث ثبتوا مكبرات الصوت وبدأ القداس على مرتين ، حتى يتسع الاشتراك فيه لهذا الجمع الغفير ، ثم انصرفوا بعدها دون أن تقع أية حوادث ، وقد نسب الى بعض الغلاة منهم تفوههم بعبارات غليظة فى الاحتجاج على ما وقع من حادث فى هذا المبنى فى الأسبوع الماضى ، وتصويره على انه عداء طائفى لم تتخذ سلطة الدولة حياله الاجراءات المناسبة . وفى المساء حينما عاد الى المدينة شبانها من المسلمين الذين كانوا فى الجامعات أو فى المصانع والمكاتب خارج المدينة ورويت لهم صورة لما جرى فى الصباح اعتبروا ذلك تحديا واستفزازا لشعورهم فاجتمعوا بمسجد السلطان الاشرف الذى يقع بالجهة الغربية للمدينة ومعهم الشيخ زيد الصاوى البدرى امام المسجد وتوجهوا الى مركز الشرطة فى مسيرة تكبر الله وقد طلب منهم المسئولون الانصراف، وانصرف الشيخ زيد الصاوى بعد أن نصحهم بالتفرق بينما استمر الباقون فى مسيرتهم الى مقر الاتحاد الاشتراكى ، وفى مرورهم على حانوت بقال يدعى غالى أنيس بشاى سمع صوت طلقات نارية نسب البعض اطلاقها الى هذا البقال الذى تبين فعلا أنه كان يحمل مسدسا مرخصا به وان كان لم يرد فى فحص الطب الشرعى ما يقطع بأنه قد أطلق حديثا . ولكن ذلك أدى الى اثارة الجماهير التى اندفعت الى منزل هذا البقال فوضعت فيه النار واندس بينها من اغتنم هذه السانحة للسرقة . كما أحرقت

مساكن اخرى لكل من انيس بشاى وحليم نعمة الله ورزق صليب عطيه وجرجس عريان وغبريال جرجس عريان وموجودات ستوديو للتصوير يملكه رزق صليب عطيه كما تحطم زجاج صيدلية الدكتور كامل فهمى اقلاديوس • وتوجه بعض المتظاهرين الى مقر جمعية اصدقاء الكتاب المقدس واشعلوا النار فى احدى حجراتها الملحقة ببنائها المتخذ كنيسة للصلاة ••ومع ذلك فلم تحدث اية خسائر فى الارواح واصيب ثلاثة اشخاص عرضا بينهم اثنان من المسلمين باصابات بسيطة وقد قبض على جملة اشخاص متهمين بالسرقة او بالحريق والاتلاف ، قررت النيابة العامة حبس تسعة منهم حبسا احتياطيا •

ودون تعرض لوقائع الاتهام الجنائية ، فان هناك حقائق امكن للجنة استظهارها :

١ـ ان الحادث الذى وقع يوم الاثنين ٦ نوفمبر كان يجب ان يبقى فى حدوده الصحيحة وكان من حسن السياسة ان يحصر فى هذا النطاق • وحسبما ذكر الانبا شنوده لاعضاء اللجنة ، فانه قد زار بعدها فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر مهنئا بالعيد دون ان يترك هذا الحادث اثرا فى نفسه لولا ما بدا له من ان يد العدالة لم تستطع ان تتوصل الى المسئولين عن هذا الحادث ، وان البعض قد خشيى ان ينتهى التحقيق الى ما انتهى اليه فى حوادث اخرى وقعت قبل ذلك ولم تتخذ فيها مبادرات قوية صريحة ، وان من ذهبوا الى الصلاة فى مكان الحادث لم يقصدوا ان يتوجهوا الى الخانكة فى مسيرة ولكنهم ساروا على الاقدام بعد ان استوقفهم السيد مدير الامن ونائبه لاقناعهم بالعدول عن المسيرة •

٢- انه كان من المحتمل أن تتعرض مسيرة الصلاة الكنسية ، مع ما انطوت عليه من مظاهر الاحتجاج والاثارة لاحتكاك سلمت منه نتيجة اصالة الوعى بالوحدة الوطنية الذى استقر فى قلوب المصريين جميعا منذ مئات السنين .

٣- انه يجدر تسجيل الموقف المشرف لبعض القساوسة ومنهم القمص ابراهيم عطيه الذى ألقى كلمة بعد الصلاة فى مقر الجمعية المتخذة كنيسة ، معلنا أن من قام بالحريق انسان مغرض لا ينتمى الى المسيحيين أو المسلمين واشاد فيها بالتضامن والوحدة بين عنصرى الأمة .

٤- ان قوات الأمن الاضافية التى استدعيت فى الصباح بعد تجمع القساوسة للصلاة فى الخانكة ، قد عادت بعد انصراف المصلين وبعد أن هدأت الحالة وتركت قوة لتعزيز قوة المركز ، وبعد أن وقعت حوادث المساء دعمت بقوة من الادارة المركزية للأمن ، للمحافظة على النظام.

٥- ان الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية قد بادرت الى زيارة موقع هذه الحوادث وقررت بناء على توجيه السيد رئيس الجمهورية تعويضات فورية لمن وضعت النار فى مساكنهم او حوانيتهم ، فاستحقت جمعية اصدقاء الكتاب المقدس مائتين وعشرة من الجنيهات هى قيمة الخسائر المقدرة كما قررت مبلغ مائتى جنيه تعويضا لخسائر لحقت منزل وحانوت رزق صليب عطيه ومبلغ مائة وخمسين جنيها لغبريال جرجس غبريال ومبلغ ستين جنيها لكل من حليم حنا نعمة الله وانيس سعيد بشاى وللمهجر جابر

مسعود جابر تعويضا عن اتلاف كشك له ومبلغ ثلاثين جنيها لصيدلية الدكتور كامل فهمى اقلاديوس ، وقد تلقت السيدة الوزيرة عن ذلك برقية شكر من وجيه رزق متى نيابة عن المسيحيين بالخانكة .

هكذا يتضح من تقرير اللجنة التى شكلها مجلس الشعب ان الحادث كان نتاجا لذلك المسلسل المتكرر لمحاولة انشاء كنيسة تكتسب شرعية دينية ، دون ان تكتسب مشروعية قانونية ، وذلك لعدم حصولها على التراخيص اللازمة . وكان يمكن ان يمر الحادث بشكل طبيعى دون ان يأخذ ابعادا اكبر مما اخذ ، لولا انه فيما يبدو فان البابا شنوده قد قرر ان يكون هذا الحادث نقطة فاصلة بين مرحلتين لسلوك الكنيسة تجاه المشاكل التى تواجهها ، فقد كان عيد جلوسه الأول يوافق ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ ، واقيم حفل كبير بهذه المناسبة ، وتحدث فيه البابا شنوده وقال " ان الذين يحرقون الكنائس ليسوا مسلمين حقيقيين ، فالمسلم هو الذى يجادل اهل الكتاب بالتى هى احسن " وفرض البابا شنوده على نفسه صوما الا تبصره الشمس آكلا " الى ان ترجع العلاقات الطيبة بين المسلمين والمسيحيين " كما قال .

مرة اخرى اعتقد انه من المناسب ان اترك نص الحوار الذى دار بينى وبين البابا شنوده حول موضوع الخانكة كما هو لعله لو ترك كما هو يمكن ان يلقى بعض الضوء على مغزى هذا الحادث فى تفكير البابا شنوده .

* كيف اندلعت احداث الخانكة على ما تذكر ؟

**المشكلة التى انبه اليها فى كثير من الاحيان بعضا من رجال امن الدولة عندنا هى الاتى : لنفرض أن مكانا استخدم ككنيسة وشعر بعض من الناس بأن هذه الكنيسة لم تأخذ تصريحا هل نعطى لعامة الشعب سلطة التدخل والهدم و الحرق و التنفيذ ؟ اقصى ما يمكن أن يسمح لهم به هو أن يشتكوا الامر الى السلطة . والسلطة تتصرف لكن لا يقومون هم بعمل السلطة و اذا أخذوا هذا الحق يمكن ان يمارسوا هذه السلطة فى أمور اخرى لا تتعلق بالكنيسة .

* عندما تحرك القساوسة الى الخانكة هل تم هذا بشكل منظم أم تم بشكل غير منظم؟

** أقاويل كثيرة قيلت فى هذا الموضوع .وهل هى كنيسة؟ هل هى جمعية ؟ هل حرقت ؟ ما مدى خطورة ما حدث؟ لذلك القساوسة ذهبوا الى هناك لكى يروا ماذا حدث . وكان ممكنا ان يذهبوا فى الاتوبيسات و يرجعوا فى هدوء دون ان يحدث شىء ، لكن قبل ان يصلوا الى الكنيسة بحوالى كيلومتر أوقفهم رجال الآمن ومنعوا الاتوبيسات من الذهاب .. فاضطروا لان يمشوا فقالوا هذه مسيرة ، تسبب هذا فى احداث نوع من العناد فاصروا على الصلاة فى هذا المكان مهما حدث

* ولكن الا تعتقد ان اعلانك للصوم كان فيه منهج جديد للكنيسة فى سلوكها للتعبير عن موقفها والا تعتقد انك ساهمت بشكل أو بآخر فى تعميق الخلاف بمثل هذا الاعلان ؟

** هل نسمح لجانب بالاعتداء بلا محاسبة و الجانب

المعتدى عليه لا نسمح له حتى بالشكوى الى الله ؟ سعد زغلول قال مرة " هناك قوم اذا وجدوا ضاربا يضرب ومضروبا يبكي يقولون للمضروب لا تبك قبل ان يقولوا للضارب لا تضرب " ..حينما لا توجد سلطة مدنية او بشرية تمنع الاعتداء أو تقيم العدل يلجأ الناس الى الله بالصوم و الصلاة لكى يقيم هو بنفسه العدل و كون اننا نعلن صوما ليس فيه اعتداء على اى احد وليس فيه اساءة الى احد من الناس انما هو منفذ روحى والكنيسة استخدمت هذا المنهج فى عصور متعددة .

* هل هو شكل من اشكال المعارضة السلبية ؟
** هى ليست مسالة معارضة . هى شكوى فنحن لم نعارض الدولة فى شيء ولا نعارض اخواننا المسلمين فى شيء وانما مجرد شكوى مقدمة الى الله .

* الاعلان عنها الا يعتبر شكلا من اشكال التصعيد ؟
**الامور يا اخى مصعدة عن طريق الاعتداءات المتكررة وليس عن مجرد فرض الصوم هل تريد منا كقادة دينيين ان نأخذ موقفا سلبيا كاملا لا نراعى فيه شعور اولادنا المجروحين ، نقطة ثانية : ما موقف اولادنا منا ؟ .. فيه اقباط معتدى عليهم ، فيه كنائس حصل عليها اعتداءات ، لو شعر الاقباط بأن رؤساءهم الدينيين لا يتحركون اطلاقا ولا يبدون اى مشاعر ولا يتصلون بالمسئولين ولا اى شيء .. حينئذ يفقدون الثقة بهم بالاضافة الى ان احدا من القادة المدنيين المسيحيين لم يأخذ موقفا فكيف يعالج الموقف ؟ يقبل كل شيء فى هدوء دون حتى عبارة احتجاج ؟

فماذا كنت انت شخصيا تقترح على الاقباط ان يفعلوه اذا حدث اعتداء على كنيسة من كنائسهم وبقى الاقباط لا يعرفون كيف يقيمون كنائسهم الدينية و امامهم مكان محترق ماذا تقترح انت شخصيا ؟ انا اثق فيك ويهمنى أعرف رايك.
أتصور ان الاعلان عن الصوم بهذا الشكل فى هذه المرحلة كان فيه شكل من اشكال التصعيد الذى قد يفهم منه أنه تصعيد متعمد و شكل من اشكال اثبات القدرة على المواجهة ؟
و يقاطع البابا شنودة متخليا عن هدوئه لاول مرة قائلا :

انا أسف لاننا لم نشعر الاخرين أننا ميتون !! انا فى هذه الحالة أفقد الاقباط، يشعرون فى هذه الحالة بأن البطريرك لا يحس و لا يشعر حتى لو حرقت الكنيسة

* هل أحسست فى سنة ١٩٧٢ عندما قررت الاعلان عن الصوم بانكم فى مفترق طرق ينبغى ان تختاروا فيه أحد أسلوبين ؟
** قبل ان تحدث حادثة الخانكة حدثت أشياء أخرى حدث حرق الكنيسة فى سنهور و حرق الكنيسة فى قرية فى قنا و المنشورات التى صدرت فى الاسكندرية ضد القمص بشوى ثم المنشورات المزورة التى صدرت ضدى انا أيضا والحكومة تركت كل شىء هادئا لدرجة ان انا قلت لأحد الوزراء الذين زارونى من رئاسة الجمهورية قلت له انتم تتركون المشاعر تتجمع و تتحفز ضدنا كل هذه المدة ، عملية أثارة واسعة النطاق ، وعندما يقول الاقباط نصوم يتهموننا بالتصعيد .

* من السبب في كهربة الجو وكان لمصلحة من ؟

** تحليلى ان الجماعات المتطرفة التى كانت مسجونة منذ سنوات طويلة و خرجت اطلقت جو غضب مكبوت و غير قادرين على عمل شيء ضد الدولة فهاجموا الاقباط كشكل من اشكال التنفيس و بعدها قتلوا الشيخ الذهبى لانه كان مختلفا معهم فى الرأى و بدأت المسألة تأخذ اشكالا اخرى و أخذت الدولة تشعر بخطورة هؤلاء الناس وان الاقباط ضحية فاذا كان ممكنا ان تقتل عميد كلية اصول الدين وشيخا من أفضل الشيوخ المسلمين المعروفين وربما كثير جدا من الازهريين تلاميذه ويقتل لمجرد انه يختلف معهم فى الرأى فماذا يمكن ان يقال عن المسيحيين أنفسهم الذين يختلفون معهم فى الدين ؟!

* الا يمكن ان نضيف هنا ايضا وضع الواقع السياسى فى ذلك الوقت الا تعتقد ان حالة التوتر و الغليان العامة فى المجتمع كانت أحد العوامل المسببة لازدياد التصعيد؟

** هذا تخريج سياسى لكن اذا كانت هناك عوامل توتر كنا نلمسها فى أعقاب نكسة ٦٧ مباشرة بعد ٦٧ و ٦٨و٦٩ و ٧٠ قبل ان يحدث شيء لكن لم تحدث هذه الاحداث بقوة الا بعد حركة التصحيح بعد خروج كل المعتقلين وبدأ الناس يشعرون بخوف وخاصة فى أعقاب قتل فضيلة الشيخ الذهبى لأن هؤلاء الجماعة أنفسهم كانوا يأخذون موقفا من المحكمة ، يمكن ان يديروا ظهورهم للمحكمة ، يمكن أن يهتفوا هتافات ، أى لا يوجد أى احترام لساحة القضاء . أتذكر فكاهة البعض قالها وقتها بعد اكتشاف التكفير و الهجرة قال البلد الان فيها مجموعتان مجموعة التكفير والهجرة ومجموعة التفكير فى الهجرة

*الا تعتقد ان الموقف المتشدد الذى اخذتموه فى هذا الوقت كان فيه شكل من اشكال الاجبار او لى الذراع كما وصفها الرئيس السادات فى ذلك الوقت ؟

** هو يقول لى ذراع ؟ هل اذا اعتدى عليك انسان وطالبته بانصافك يعتبر ليى ذراع ؟

* هل تعتقد انك فى بعض الاحيان متشدد فى ردود الفعل مثلا انا اتصور الموقف الذى نعتبره البداية -بداية التغير هو موقفكم من احداث الخانكة الا تعتقد انه بموافقتك على توجه حوالى ٤٠٠ شخص منهم حوالى ١٠٠ قسيس وشماس الى المكان للصلاة الا تعتقد انه كان فيه شكل من اشكال التصعيد ؟ .. و الا تعتقد ان هذا موقف متشدد الى حد ما ؟

** انا سوف اسالك سؤالا: فى هذا الوقت ، اى هيئة من الهيئات لو حرق لها مكان عبادة الا تتضايق ؟ .. هل المطلوب من الاقباط باستمرار ان يكونوا من النوع الذى لا تتاثر ولا تتحرك مشاعرهم اذا حرقت كنائسهم او اذا قتل لهم كاهن مهما حدث .

* عندما اتخذت قرارا مثل هذا بان يتوجهوا بمثل هذا العدد لاقامة صلاة فى مكان احرق منذ ايام الم تكن مقدرا حجم رد الفعل الذى يمكن ان يحدث فى وقتها الم تتوقع انه يمكن ان يتحول الامر بالفعل لكارثة بالمنطقة ؟

** لم يكن هناك اى خوف اطلاقا من اى ردود فعل وفعلا لم

يحدث شيء على الرغم من منع الكهنة من الذهاب بالاتوبيسات وذهابهم على أقدامهم لم يحرك هذا أى شيء الجو لم يكن ملتهبا كما حدث فيما بعد لم تكن المسائل فى أواخر ٧٢ قد وصلت الى هذا الحد الضخم كان الجو هادئا جدا عن هذه الايام .
ما حدث لم يكن مبادرة بفعل ولكنه كان رد فعل لو الدولة تداركت الأمر وامرت مثلا باصلاح الحريق وارضت شعور الاقباط بأن يذهبوا ليصلوا كانت المسالة هينة لكن عندما نجد ان مشاعر هؤلاء الناس لايراعيها أحد يدفعهم هذا لان يتصرفوا تصرفا شديدا بعض الشيء .

* ألا تعتقد انه فى بعض الاحيان التقارير التى تجيء اليك لا تكون دائما دقيقة ، وقد تكون متاثرة بانفعال الحدث ، وبذلك تكون الصورة أكثر تهويلا من حجمها الطبيعى ، مع ملاحظة أنه على أساس هذه الصورة تتخذ ردود الفعل أحيانا ؟ و بالتالى يكون رد الفعل مبالغا فيه ؟

** جميع الناس مسلمين و مسيحيين كلهم متفقون على أن مكان العبادة قد أحرق لكن الفارق أن البعض يقولون هذه جمعية و البعض الاخر يقول هذه كنيسة . ود. جمال العطيفى يقول هذا مكان تقام فيه الشعائر الدينية . كحل وسط الى أى مدى تطلب من الناس فى كل وقت تحرق أماكن عبادتهم تبقى أعصابهم فى ثلاجة ؟ هم لا يعتدون على أى أحد مجرد أنهم زاروا و رجعوا فهل الزيارة تعتبر أثارة و الحريق لا يعتبر أثارة * هل كان الموقف يتطلب هذا العدد الذى شارك فى موكب الكهنة ؟

** هذه ظروف كانت صعبة وقتها ولم يكن احد لديه القدرة على ضبطها ،كانت المشاعر متحفزة كان يمكن بتصرف لطيف من المسئولين يهدئون مشاعر الناس .
انتهت اللجنة التى شكلها مجلس الشعب من تقريرها ، وارسلته الى الرئيس أنور السادات ومعه خطاب موجه اليه يقول "ان هذا الامر لا يتداركه الا رئيس الدولة بحكمته و مسؤوليته عن كل مواطنيها ، وكونه الحارس لوحدتها الوطنية " ونعود لرواية هيكل فيقول أن السادات اتصل به وابلغه أن مجلس الشعب أعاد اليه "الكرة " ،وذهب اليه هيكل فى بيته - طبقا لروايته - وعرض عليه وجهة نظر مفصلة فى امكانية الحل .. كان رأيه أن قضية الخط الهمايونى مازالت اكبر سبب للمشاكل ، وأنه لابد لها من حل "يعطى مالله لله وما لقيصر لقيصر" وقص عليه كيف حل عبد الناصر هذه المشكلة من خلال اتفاقه مع البابا كيرلس على وضع عدد معين من تصريحات بناء الكنائس الجديدة تحت تصرف البابا. واقترح عليه هيكل أن يذهب الى الازهر فيقابل هيئة كبار العلماء ثم يذهب بعد ذلك الى البطريركية فيقابل البابا وأعضاء المجلس المقدس حاملا معه لكل من الفريقين رسالة مؤداها "أن الوطن أحوج ما يكون الآن الى وحدته الوطنية ، ثم ان التسابق فى بناء الكنائس و المساجد تسابق حافل بدواعى الاثارة ، وان احتياجات التطور الاجتماعى لا تتطلب فقط بناء مساجد وكنائس جديدة ، ولكنها تتطلب ايضا بناء مدارس ومستشفيات جديدة "
فى اليوم التالى ذهب الرئيس السادات بالفعل الى الازهر و التقى بهيئة كبار العلماء وعلى راسهم شيخ الازهر ، ثم انتقل من هناك الى المقر البابوى حيث

التقى بالمجمع المقدس وعلى رأسه البابا شنودة . ويبدو أن الرئيس السادات كان يتوقع الود فى اجتماعه بالازهر ، لكن الشكوك كانت تساوره بشأن اجتماعه فى المقر البابوى ، لقد فوجىء هناك بالحفاوة التى استقبل بها ، خصوصا حين حياه البابا باعتباره "أبا لكل الشعب" .وعندما حان وقت صلاة الظهر وكان السادات مازال فى اجتماعه بالرهبان قال لهم أن موعد صلاة الظهر قد حان ، ثم قام يؤدى صلاة الظهر فى غرفة اجتماعات المجمع المقدس ، ونشرت الصحف صورة الرئيس وهو يصلى ، بينما رهبان المجمع المقدس يظهرون فى خلفية الصورة .

يقول هيكل "كنت فى انتظار الرئيس فى بيته عندما عاد من الزيارتين : الى الازهر والى المقر البابوى وسألته كيف سارت الامور وكان رده "رائعا"

ثم راح يصف لى كيف استقبله شنودة ، وكيف قال له "انه زعيم الشعب وأب كل طوائف الامة وراعيها جميعا" ثم استطرد :"ان شنودة ليس سيئا كما تصورت" واضاف الرئيس السادات "لقد قلت له أن كيرلس كان تحت تصرفه تصريحات ببناء ٢٥ كنيسة جديدة ، وسوف أضع تحت تصرفك أنت تصريحات بخمسين" واضاف السادات لهيكل - طبقا لروايته - "انك لا تتصور ماذا قال لى انه لم يتوقف لحظة طوال الوقت عن تكرار قوله انك قائدنا وزعيمنا و راعينا"

***

الرئيس أنور السادات ركز عدة مرات فى خطابه الذى القاه فى ١٤ مايو ١٩٨٠ أمام مجلس الشعب بمناسبة

ذكرى حركة ١٥ مايو على اجتماعه مع البابا شنودة والمجمع المقدس فى ديسمبر ١٩٧٢ ومن المهم ان نورد روايته لهذا الاجتماع وذلك من خلال فقرات تناثرت وتكررت عبر خطابه المرتجل فى ذلك اليوم . يقول الرئيس السادات " بعد ما طمنى اسماعيل - يقصد المشير أحمد اسماعيل على وزير الحربية فى ذلك الوقت - على الموقف الدفاعى اتجهت الى الازهر وزرت مجمع البحوث الاسلامية ورحت البطريركية .. فى الازهر تكلمت مع اخواننا العلماء وان مصر فوق كل شىء .. فى البطريركية نفس الشىء .. ولما سألت فى البطريركية ما هى المشكلة ؟ قالوا المشكلة كنائس وقلت لهم كم كنيسة عايزين ؟ قالوا ٣٠، ٣٥ قلت لهم لا .. خمسين وكل ما بنى قبل ذلك بدون تصريح مصرح به ، واديت الكلام ده لوزير الداخلية ممدوح سالم وقتها .. وراح أكد هذا الكلام ونفذه . انتهت . فنبهت أنا بقى فى البطريركية وقلت انه عيب اياكم ان تعودوا الى هذا ، ليه ، لان المعنى اللى وراها سيىء قوى . المعنى اللى وراها أن مصر فى محنة . وفرصة لبعض القيادات المسيحية الجديدة تريد ان تجعل من الكنيسة سلطة فى الدولة "

وفى خطابه بعد اجراءات سبتمبر ١٩٨١ قال السادات حول هذه النقطة "لما راس الكنيسة الانبا شنودة طلب كنائس ، لما سألته عايز ايه قال عايز أعبد ربى . وعايز كنائس ، قلت له .. يعنى انت مش عايز تعمل زعيم ؟ ..لا.. لك حق فى طلب الكنائس كام فى فكرك كده قال لى ٣٠ -٣٥ كنيسة قلت له لا خليهم ٥٠ "

ونصل الآن الى رواية البابا شنودة لوقائع هذا الاجتماع حيث يقول :

كان الرئيس السادات قد زارني في ٢٣ ديسمبر ١٩٧٢ وعقدنا اجتماعا منفردا استغرق ساعة ونصف الساعة ثم اجتمع الرئيس بالمجمع المقدس لمدة ٢٠ دقيقة في الاجتماع المنفرد شرح لى الرئيس السادات كثيرا من الاوضاع السياسية و العسكرية . وقال انه بدا في عملية الاستعداد الجاد للحرب واعتبرت ما قاله لى سرا لا ابوح به الا انه بعد انتصار اكتوبر ٧٣ اذاع هذا الكلام للجميع !!

قال لى السادات في هذا الاجتماع : ان الاقباط يقيمون كنائس غير شرعية تسيء للمسلمين فلنتفق على خطة سنوية للكنائس التي تحتاجها ونصدر بها قرارات جمهورية و الأمور تمشي صحيحة طبقا للقانون . وانا اعدك بأن اوافق على طلبك وازيد عليه عشر كنائس من عندى .

ثم سألنى السادات عن العدد المطلوب ؟!
فوجئت بهذا السؤال الذى لم اكن افكر فيه من قبل وقلت بينى وبين نفسى لو قلت له عددا كبيرا يبقى بستغل نبل الرجل ولو قلت له عدد قليل فقد اضعت حقوق الاقباط واحتياجاتهم .

صمت افكر . فقال السادات لى : لماذا لا تتكلم ؟
قلت له : في الحقيقة يا سيادة الرئيس انا افكر في احتياجاتنا من الكنائس بحيث لو تم تنفيذها لا تقع في حرج او اشكال مع اخواننا المسلمين .

رد السادات : احنا الأمور الداخلية كويسة .. بس المهم نكون متعاونين فى الخارج . اللى انت عاوزه انا اعدك به واضيف عليه عشر كنائس من عندى .

قلت : يا سيادة الرئيس عندنا فى مصر اكثر من عشرين محافظة فاذا كان فى كل محافظة بمدنها و مراكزها وقراها نحتاج الى كنيستين يصبح العدد المطلوب اربعين كنيسة .

وافق السادات على طلبى واضاف الكنائس العشر التى وعد بها ليصبح العدد خمسين كنيسة وهذا الذى تحدث عنه السادات كثيرا فى كل مناسبة وفى كل خطبه و احاديثه .
قلت : يا سيادة الرئيس بالنسبة للكنائس القديمة هل تتطلب تصريحا لعمليات اعادة البناء او الترميم لها . لأن هذه الكنائس لو تطلبت تراخيص جديدة لادرجت فى عدد الخمسين كنيسة واصبحنا بلا جديد

قال السادات : لك وعد على بأن كل الكنائس القديمة تعتبر قائمة فى رسالتها ولا تحتاج الى تراخيص جديدة

قلت له اخشى ان يجرى وراءنا رجال المباحث ويطلبوا منا تصريحا .
قال السادات : لا ، انت بتكلم رئيس الجمهورية وانا وعدتك .
قدمت الشكر للرئيس السادات وطلبت منه ابلاغ المسئولين بما اتفقنا عليه .

كان هذا الاجتماع هو نتاج جو التوتر الذى عاشته مصر عام ٧٢ والذى وصل الى ذروته باحداث الخانكة فى نوفمبر ، واصبح هذا الاجتماع صالحا لان نعتبره ختاما مؤقتا ومناسبا لحالة الصدام التى نشأت بين الكنيسة والدولة التى بدأت فى ذلك الوقت ، او على الاقل هو نزع مؤقت لفتيل الصدام . ولكننا لا نستطيع ان نترك ذلك الحادث "العلامة" فى تاريخ العلاقة بين الكنيسة والدولة دون ان نتوقف عند محاولة فهم دلالته ، وتأثيره فى العلاقة بين الطرفين ، وفى احساس الكنيسة - او قيادتها - بحدود قوتها وقدرتها على التأثير .

لقد كان المسلك الذى اختاره البابا شنودة لمعالجة تلك المشكلة معبرا عن رغبة قوية منه فى ممارسة دور جديد ، وتعبيرا عن تصور جديد لحدود الدور الذى على الكنيسة وبابا الاقباط ان يلعباه فى المجتمع القبطى وفى علاقته بالمجتمع المصرى . ويمكننا ان نجد مجموعة من الدلالات التى يمكن استخلاصها من هذا الموقف :

كان قرار البابا شنودة بتصعيد الموقف تعبيرا عن اختبار عند مفترق طرق شعر بانه ينبغى ان يحسم اختياره وقتها . فبدلا من التزام الطرق التقليدية التى كانت متبعة فى مثل هذه الاحوال قرر البابا شنودة ان يعبر عن غضبه بصوت عال ، ليس فقط بصوت عال ولكن بمواجهة -ولو من طرف واحد- يعبر فيها عن قلق طائفته وضيقهم مما يعتبرونه مضايقات .

كان ذلك الاعلان هو الموقف الاول للكنيسة الجديدة بعد ان دانت السيطرة عليها لابناء الجيل الجديد ، ذلك

الجيل الذى أتى محملا باحلام كبيرة وتصورات اكبر عن حجم الدور الذى ينبغى لهم ان يلعبوه وان تلعبه الكنيسة فى حياة الاقباط وفى المجتمع بشكل عام . ولذلك فقد كان هذا الموقف تعبيرا او مؤشرا مبكرا عن ذلك التصور الذى أتوا به .

ايضا يمكن اعتبار هذا الموقف اعلانا واضحا من قبل الكنيسة عن انتهاء دور من اصطلح على تسميتهم "بالصفوة القبطية "و الشخصيات القبطية العامة فى القيام بدور الممثل عن الاقباط ، وتأكيد الكنيسة على أنها الممثل الوحيد للاقباط و المدافع عن مصالحهم . فى اطار النقطة السابقة ايضا يمكن اعتبار ما حدث هو اختبار لقدرة الكنيسة على الحشد و على التأثير فى رعاياها . وحسم قضية من يمثل الاقباط . وذلك بدفع الاقباط وخاصة الشباب منهم للمقارنة بين موقف القيادات المدنية القبطية و القيادات الدينية ، وبخاصة البابا شنودة .

يعد هذا الحادث هو الطلقة الاولى فى صراع الذاتين -شنودة و السادات - والذى استمر طويلا بعد ذلك .

كان هذا الحادث تعبيرا عن ان ريحا جديدة بدأت تهب على مصر ، هذه الريح تحمل فى طياتها مخاطر الشقاق بين عنصرى الامة المسلمين و الاقباط . وتعبيرا عن تغيرات بدأ المجتمع المصرى يعانى من آثارها .

النقطة الاهم فى كل هذه الدلالات ان الكنيسة القبطية قد قررت ان لا عودة الى قواعد الماضى ، وان قوانين جديدة

ينبغى ان تحكم علاقاتها بالمجتمع و بالدولة وبالاقباط وانها قد اختارت المواجهة ، و المجابهة احيانا طريقا لها فى اعلان معارضتها و اثبات وجودها وذاتها وقوتها . انتهت أحداث الخانكة ،ولكن لم تنته الدلالات ، ولم ينس الاقباط هذا الحادث فى الداخل أو الخارج ، ولم تنسه أيضا الدولة ، ولا اعتقد ان البابا شنودة هو الاخر قد نسيه ،فالخانكة -بحق -كانت نقطة الفصل والحسم بين مرحلتين فى علاقة الكنيسة بالدولة .

الفصل الخامس

الخلط .. وسوء الفهم

* الخلط .. و سوء الفهم

تختلف الرؤى حول دور الكنيسة ،و تتباين ما بين اقتصار دورها على المسائل الدينية و الشعائر فقط وبين القيام بدور مؤثر وواضح فى شئون المجتمع الذى هى فيه . و ما بين هذين المفهومين هناك مفاهيم توفيقية ، وهذا الاختلاف عمره من عمر المسيحية ، فمنذ البدايات الاولى للمسيحية كان احد أهم التساؤلات المطروحة هو العلاقة بين المسيحية و السياسة .

على انه ينبغى هنا ان نطرح الحدود الواقعية القصوى لهذه العلاقة ، فقضية ممارسة رجال الدين المسيحى للحكم انتهت منذ العصور الوسطى ، أى ان ممارسة الكنيسة للحكم كبديل سياسى أمر غير مطروح الان على الساحة المسيحية العالمية ، وبالتالى فهو غير وارد بأى معنى فى الاطار المصرى ، ولكن ممارسة الكنيسة لدور سياسى يمثل البديل المطروح أو هو الحد الاقصى المطروح ، وحول حدود هذا الدور او هذه المشاركة تكمن الخلافات داخل الكنيسة نفسها . ولعله من المناسب هنا وقبل ان نبدأ فى طرح التصورات المختلفة لدور الكنيسة فى المجتمع والوضع الحالى لها أن نعرض لوجهة نظر أحد الباحثين المسيحيين المعروفين باهتمامهم بالشأن القبطى وهو د. رفيق حبيب اذ يقول انه فى المجتمعات التى تمثل فيها الكنيسة دين الاقلية ، تميل الكنيسة لربط وجودها بالدولة ، لتؤكد كيانها كجزء اصيل من المجتمع ، مندمج فى نظامه الاساسى . ولكن فى فترات محددة تشعر الكنيسة بالخطر لاسباب منها :

١ - الخوف من فقدان الكنيسة قدرتها على جذب الجماهير
٢ - تضاؤل الخط الفاصل بين الكنيسة و الدولة مما قد ينتج عنه ترك اعضائها لها و انخراطهم فى الكيان العام للدولة
٣ - فقدان الكنيسة للشعبية و انحسار دورها تماما
٤ - عندما تتزايد جماهيرية الكنيسة ، دون ان تستطيع تقديم حل أو اجابة لمشكلات هذه الجماهير ، فتخاف من فقد الثقة فيها ، او انقلابهم عليها . ويعتقد د. حبيب ان السبب الاول و الاخير يشرح حالة الكنيسة فى السبعينات وما بعدها . و السبب الثانى يصف وضع الكنيسة فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات . والسبب الثالث يمثل حالة الكنيسة فى النصف الاول من القرن الحالى . لهذا يمكن تحديد الخط العام للعلاقة بين الدولة و الكنيسة فى حركتين متعارضتين هما :

١ - محاولة ربط الكنيسة بالدولة
٢ - محاولة تمييز الكنيسة عن الدولة

والواقع ان تحديد مرحلة متميزة بمحاولة محددة ، لا يعد تحديدا دقيقا . فغالبا ما نجد الاتجاهين معا ، ولكن فى كل فترة ، يظهر اتجاه أكثر من الاخر وفى السبعينات وما بعدها ، كان الاتجاه نحو التميز عن الدولة هو السائد . فمنذ السبعينات ، تجمعت عوامل تدفع الكنيسة الى محاولة تأكيد تميزها ، ومنها :

١ - لجوء الاقباط للدين و الكنيسة ، والذى يتواكب مع لجوء المسلمين للدين .
٢ - خوف الكنيسة من احتمال فقدانها لشعبيتها .

٣ - محاولة الكنيسة لاشباع الجماهير المتجمعة حولها وتحقيق احتياجاتها .
٤ - وجود أزمة هوية حادة فى المجتمع المصرى ، مما دفع كل جماعة الى تأكيد هويتها الخاصة ، وربما الى المبالغة فى تأكيد هذه الهوية .
٥ - ظهور مناقشات و أطروحات و حلول دينية للقضايا المجتمعية ، مما دفع المؤسسات الدينية للدخول فى معترك المناقشات الدينية السياسية .

لهذه العوامل معا . كانت السبعينات و الثمانينات ، فترة لظهور الخطاب الكنسى التميزى أكثر من الخطاب التكاملى . ولكن ، وكما سنرى فيما يلى ، تميز موقف الكنيسة ببروز الخطاب الاعتراضى . وظل الخطاب التكاملى موجودا ، دون ان يكون بارزا ، أى ان الكنيسة كانت تحاول تمييز نفسها ودورها ، وفى نفس الوقت ظلت هناك مساحة فعالة لمحاولة الارتباط بالدولة وخطها العام وعندما تعترض الكنيسة أو تثبت تميزها ، لا يحدث ذلك من خلال عمل سياسى يلجأ للعنف . فالكنيسة عندما تحتج تحاول المحافظة على روابطها مع الدولة ، وتحاول البعد عن السلوك المرفوض اجتماعيا ، أو السلوك الذى يمكن ان يدينها ، أن أحد أشكال رد فعل الاقلية تجاه السلطة السائدة ، هو المقاومة السلمية . ولأن الكنيسة تمثل الأقلية ، ولانها تمثل أقلية تنتمى الى الطبقة الوسطى ، ولانها تتميز بالميول السلمية الشائعة فى الشخصية المصرية ، لكل هذا كان الاقباط عامة ، والكنيسة خاصة ، أميل الى أشكال المقاومة السلمية .

وهنـاك مجموعة من الاتجاهات التى تفسر التاريخ الكنسى وعلاقة الكنيسة بالمجتمع و الدولة :

اولا : الاتجاه العلمانـى فى تفسير التاريخ الكنسى ، وهو يـؤكـد على انـفصال الدين عن الدولة فى المسيحية ويرى ان الكنيسة خرجت عن المسيحية الصحيحة عندما خلطت بيـن الدين و الدولة ، ويردد هذا الاتجاه اهمية قيام الكنيسة بدورها الدينى دون تدخل فى السياسة كذلك اهمية ابتعاد رجال الدين عن السياسة وبهذا يصبح الدين عبارة عن موضوع عبادى اخلاقى فردى ويمثل هذا الاتجاه مجموعة العلمانيين من بين الاقباط الذين اندمجوا فى اطار ثورة يوليو ، وصاروا جزءا من تيارها الاصيل .

ثانيا الاتجاه الكنسى الانعزالى ، ويتفق مع التيار العلمانى فى تأكيده على فصل الدين عن الدولة ، حيث يرى ان الكنيسة لها وظيفة اساسية وهى التعليم الدينى وهنـاك بالفعل تيار داخل الكنيسة القبطية يتبنى هذا الاتجاه ، ولعل ابرز ممثليه الاب متى المسكين ، وهو يمثل مدرسة فى الفكر و العمل ، فهو يعتقد ان الدين علاقة بين الله وبين ضمير كل فرد ، وانه لا ينبغى ان تكون لها علاقة بالسياسة . وهو بالطبع يختلف فى هذا جذريا مع البابا شنودة الذى يمثل الاتجاه الثالث .

ثالثا : الاتجاه الكنسى الشمولى ، والذى يرى ان المسيحية دين ودولة ، وان الفكر المسيحى يشمل مختلف جوانب الحياة ، والاكيد ان اهم ممثليه البابا شنودة الذى يعتقد ان الكنيسة مؤسسة شاملة مكلفة بأن تقدم

حلولا لكل المشاكل واجوبة لكل الاسئلة المتصلة بالدين و الدنيا .

رابعا : الاتجاه التوفيقي ، وهو يتمثل فى رؤية دور الكنيسة باعتباره دورا دينيا اساسا ولكن يضاف لهذا الدور ، البعد الوطنى ، بحيث يكون على الكنيسة ان تقوم باداء أدوار وطنية محددة ، مثل الوقوف فى وجه المستعمر وغيرها وهذا الاتجاه يحدد دور الكنيسة على اساس رؤية قيمية مثالية ، تفترض حدوث توازن بين البعد عن السياسة ، والقيام بدور وطنى .ومن الواضح طبعا ان الاتجاه الذى سيطر على الكنيسة المصرية بعد ان وصل جيل الاربعينات الى السيطرة على الكنيسة ، هو الاتجاه الثالث الذى يعتقد فى ان المسيحية دين ودنيا وبالتالى لا توجد خطوط فاصلة بين ممارسة الدور السياسى وممارسة الدور الدينى . العديد من العوامل هى التى ادت الى هذا ، الاكيد ان وصول البابا شنودة والتيار الذى يمثله كان أحد أهم العوامل التى أدت لذلك، ولكن هناك من الظروف الذاتية الخاصة بالكنيسة ذاتها ، والظروف الموضوعية الخاصة بالمجتمع ككل وبالدولة ، مجموع هذه الظروف هى التى سمحت للكنيسة وقيادتها بأن يكون لها هذا الدور وهذا الحجم ، وهذه القدرة على التأثير فى المجتمع .واجدنى مضطرا للاستعانة مرة أخرى بوجهة نظر الباحث المسيحى د. رفيق حبيب والذى يتعرض لضغوط شديدة من جراء دراساته حول الشأن القبطى - عندما يتناول دور الكنيسة فى المجتمع حيث يتناول الملامح العامةلدور الكنيسة من خلال تأثير القيادات الجديدة عليها ، فقد كان هدف هذا الجيل الذى خرجت منه القيادات الكنسية الحالية هو خلق حياة

تلائمهم ، وتلائم طموحهم من خلال الكنيسة ومن خلال العمل داخل الكنيسة ، لهذا كان اتجاه الجيل الجديد الى الكنيسة بهدف توسيع دورها فى المجتمع ، انهم بصدد تغيير دور الكنيسة ومكانتها فى المجتمع ، وهنا ظهرت قضية مهمة ، فقد كان توجه هذا الجيل الى الكنيسة كمؤسسة اجتماعية ، يتضمن ان يكون لها مكانة فى المجتمع من خلال العمل الاجتماعى و التعليم .لكن هذا التوجه كان له رد فعل اخر ، فقد كان هناك ميل الى الانعزال لدى هذه الجماعة ، اى الجيل الجديد فعندما تركت المجتمع وهى تحمل أحلاما له ، تحاول تحقيقها من داخل الكنيسة ، تحول اهتمامها تدريجيا من المجتمع الى الكنيسة . وبعد ان كان التوجه الاول هو تحقيق الانجاز فى المجتمع من خلال الكنيسة ، اصبح اتجاههم مع الوقت ينحصر فى حدود الكنيسة . بهذا ظهرت قضية جديدة ، فلم تعد القضية هى العمل من خلال القنوات العامة فى المجتمع أو العمل من خلال الكنيسة بل اصبحت الاختيار بين الكنيسة أو المجتمع . هكذا كانت الكنيسة بالنسبة لهذا الجيل الجديد ، هى المجتمع البديل .

وقد اسهم فى حدوث ذلك مجموعة من العوامل اهمها الاحباط الذى عايشه هذا الجيل ونتصور كيف أنه لم يجد طريقه فى المجتمع ، فأراد ان يجد طريقه فى الكنيسة . وقد كان جيلا مؤهلا للعمل الوظيفى العام ولهذا كان الاحباط عاملا فى الابتعاد عن المجتمع ، وتركيز الاهتمام فى دائرة الكنيسة . فمن خلال الاهتمام بالكنيسة ، يمكن تحقيق قدر اكبر من الاشباع و الانجاز . فقد كان طريق الانجاز فى المجتمع صعبا ، وربما يكون مستحيلا . من

هنا كانت جاذبية الكنيسة كمجال للعمل ، ، فايا كانت مشكلاتها وظروفها ، فهى تمثل مجالا مفتوحا لعمل القبطى فظروفها و مشكلاتها محدودة باعتبارها مجتمعا صغيرا ومغلقا . واختيار الكنيسة كبديل للمجتمع يشير لميل جماعة من المجتمع القبطى للشعور بالاغتراب فى المجتمع ولهذا عوامل قد ترجع الى نشاتهم الدينية ، التى ادت الى وجود مسافة فاصلة بين الكنيسة و المجتمع وهى تمثل جذور الانفصال بين الكنيسة و المجتمع ، وفى جيل الاربعينات قد نجد من لم يعثر على طريقه فى المجتمع ، فاتجه الى الكنيسة . ونجد ايضا من اراد أن يحقق انجازا فى المجتمع ، من خلال مفاهيمه الدينية ، فلم يجد وسيلة لذلك فاتجه الى الكنيسة هنا يظهر أول تناقض بين أحلام هذا الجيل وطموحاته وبين ما حققه بالفعل . لقد كان جيلا يريد للكنيسة أن تصبح جزءا من المجتمع، ويحقق بذلك دورا اجتماعيا عاما من خلال الكنيسة وهذا من شأنه ادخال الكنيسة كعنصر فعال فى المجتمع ، واقحامها فى مشكلات المجتمع و السياسة . ولكن من أجل تحقيق ذلك كان عليهم اولا خلق كيان ووجود اجتماعى للكنيسة يجعل منها بناء قويا، يمكنهم من تحقيق دور اجتماعى . ولهذا كان على الجيل الجديد تحقيق مرحلتين :

١ - خلق كيان اجتماعى للكنيسة .
٢ - ادماج هذا الكيان فى المجتمع ، كعنصر فعال ومؤثر .

من جانب آخر كانت بداية الجيل الجديد داخل الكنيسة ذات منطلقات دينية ، فكان تركيزه الاول على القضايا

الدينية ، قبل الدخول فى القضايا الاجتماعية ، وهذا الاتجاه مع الرغبة فى تكوين مجتمع داخل الكنيسة ، ادى الى وجود فترة انعزال بين الكنيسة و المجتمع ، وبين رجال الدين الجدد والمجتمع، كان ذلك فى خمسينات القرن الحالى . وعندما يصل هذا الجيل الى القيادة ، نجد المزيد من تجمع الشعب القبطى حول الكنيسة ، والمزيد من الابتعاد بين الكنيسة و المجتمع . وتصبح المشكلة فى كيفية اعادة هذا الكيان المتنامى الى الاندماج فى المجتمع ، دون ان يحدث صدام بين الكنيسة والمجتمع ، وكان احد امرين حتميا :

١ - الاستمرار فى الانعزال ، مع امكانية التقليل المتدرج لدرجة الانعزال .
٢ - الدخول فى معترك الحياة ولقاء المجتمع ، حيث يكون الصدام حتميا .

وبدا الجيل الجديد اولى خطواته بجمع الشعب القبطى بجميع فئاته ، حول الكنيسة . ففى بدايات هذا القرن ، شهدت الكنيسة ابتعاد بعض الاقباط عنها ، وهو ما كان سمة المدن اكثر من القرى .

فلم تكن الكنيسة عاملا جاذبا لشباب المدينة ، الذى تميز بالتعليم و الثقافة عن الفكر الدينى السائد فى الكنيسة . واستقطبت الاحزاب السياسية ، ومجالات العمل العام و الثقافى الكثير من الاقباط . وعندما ازداد احباط الطبقة الوسطى ، كان من نصيب الكنيسة جماعة من المثقفين اقدمت على العمل الكنسى ، ويلاحظ ان الكنيسة مثلها مثل المسجد لم تفقد مكانتها فى الريف ، بل

كانت المشكلة فى المدينة ، وكان من اسبابها تغيير نظم التعليم ، و التصنيع والاتجاهات العلمانية ، مما دفع البعض الى الابتعاد عن المؤسسة الدينية ، والانجذاب الى حلم التحديث و التقدم .

ويستمر د. رفيق حبيب فى تحليله :هكذا كان الدور الاول لرجال الدين الجدد ، جذب الشباب الى الكنيسة من جديد وقد استطاعوا جعل الكنيسة مصدر جذب لأهل المدينة ، فى الوقت الذى تضاءلت جاذبية التحديث بفعل الزمن .

لكن تحقيق التجمع حول الكنيسة لم يتقدم فى خطى سريعة بل كان عملية تدريجية تتوازى مع الظهور التدريجى لدور رجال الدين الجدد . ففى الخمسينات و أوائل الستينات ، شهد المجتمع موجات من الهجرة القبطية الى الخارج . وكان ذلك دليلا على الشعور بالاغتراب فى المجتمع ، ولم تكن الكنيسة قادرة حتى ذلك الحين على جذب الشباب القبطى .

فحتى منتصف الستينات ، لم تصل قدرة الكنيسة على جذب الشعب القبطى الى ذروتها . ولكن فى النصف الثانى من الستينات ، وبعد الهزيمة ،بدأت قدرة الكنيسة على جذب الشباب تتزايد بوضوح .

وفى نفس هذه الفترة ، كان رجال الدين الجدد قد وصلوا الى مراكز تسمح لهم بالتأثير على الكنيسة .
وربما تكون الهزيمة سببا للجوء الى الكنيسة . وربما يكون ظهور فاعلية رجال الدين هو السبب . والواقع ان تجمع الاسباب يشير الى وجود ازمة تعانى منها فئة فى

المجتمع . وهى الازمة التى واجهت بعض ابناء الطبقة الوسطى ، مؤكدة محدودية دورهم ومكانتهم فى المجتمع. وكما اشرنا من قبل ، كانت أزمة الطبقة الوسطى ظاهرة عامة فى المجتمع تؤثر على المسلمين و الاقباط . وبالتالى يمكن ملاحظة اثار هذه الأزمة لدى المسلمين والاقباط .

وهكذا بدأت الكنيسة تكسب المزيد من المريدين والاتباع خاصة منذ النصف الثانى من الستينات . وكان أهم ما يجذب القادمين الجدد ، فكر رجال الدين الذين بدأ تاثيرهم على الكنيسة يتضح . فقد استطاعوا تقديم الدين بمفاهيم تتسع لمختلف جوانب الحياة العامة ، حيث ظهر الاهتمام بمشكلات الشباب و قضايا السلوك اليومى ، ومن خلال طرح المشكلات والقضايا العامة استطاع رجال الدين الجدد جذب أعداد متزايدة الى الكنيسة ، وهكذا اصبحت الكنيسة تمثل ، لا الاهتمامات الدينية فقط ، بل الاهتمامات الحياتية العامة ايضا . من هنا كانت الكنيسة مجتمعا بديلا بالنسبة للاجيال الجديدة من الشباب ، وكان لهذا المجتمع البديل ملامحه الخاصة . فعندما لجأ رجال الدين من جيل الاربعينات ، الى الكنيسة ، كان ذلك مؤشرا لقيام الكنيسة بدور البديل عن المجتمع ، ولكن على مستوى الوسيلة وليس الهدف . فقد كانت الكنيسة بالنسبة لهم طريقا اخر لتحقيق طموحهم العام . بهذا كانت الكنيسة طريقا بديلا عن طريق المجتمع ولكن الاجيال الجديدة التى انجذبت للكنيسة بفعل دور رجال الدين الجدد ، كانت ترى فى الكنيسة بديلا كاملا عن المجتمع ، هنا نلمح واحدا من أهم أثار رجال الدين الجدد ، وان كان ذلك غير مقصود.

فمن خلال محاولتهم لتجديد فكر الكنيسة ودورها فى المجتمع ليشمل مختلف جوانب الحياة العامة ، حولوا الكنيسة الى كيان يصلح لكى يكون بديلا كاملا عن المجتمع و بالتالى كان توسيع دور الكنيسة فى هذه المرحلة ، يعنى توسيع مفهوم الكنيسة و صورتها لدى المجتمع ، لتصبح مجتمعا بديلا يعيش فيه القبطى ويركز فيه على احلامه واحتياجاته ، ويجد فيه ما يحتاجه من اشباع نفسى واجتماعى .

***

وأسأل البابا شنودة عن وجود اتجاهين داخل الكنيسة فيما يتعلق بطبيعة دور الكنيسة ، الاول يعتقد ان للكنيسة وظيفة دينية فقط ، والثانى يرى أن لها دورا ابعد من ذلك ، واسأله اين تقف الكنيسة وقيادتها من هذه القضية؟ ، يقول البابا شنودة " أن المسألة مسألة اختلاف فى المفاهيم ، ينبغى فى البداية ان نحدد مفهوم كلمة الدور الروحى و الدور الدينى ، مثال لذلك عندما يأتينى انسان فقير ومديون ، هل اقول له عملى عمل دينى و روحى ، وليس من واجبى الدينى ان اساعدك فى تسديد ديونك ، وهل لو فعلت ذلك أكون قد خرجت عن عملى الدينى والروحى" و يستمر البابا شنودة قائلا " انا رجل دين ، لكن الدين ايضا يدعو الىالرحمة ، ويدعو الى مساعدة الفقراء و المساكين،و الدين ايضا يدعونى الى حل مشاكل الناس ، ليس مفهوم كلمة دينى وروحانى ان ينغلق رجل الدين على نفسه فى مجموعة من العقائد النظرية ومن الفضائل النظرية دون ان يباشرها عمليا مع الناس ، من هنا كانت الخدمة الاجتماعية من صميم أعمال الكنيسة . اذا لجأ الانسان الى بيوت الله

يجمع كل متابع لتطور الكنيسة المصرية ، انه بوصول البابا شنودة الى الكرسى البابوى فان منحى جديدا من تاريخ الكنيسة القبطية قد بدا ، وان فصلا جديدا فى العلاقة بين الكنيسة من ناحية ، والمجتمع والدولة من ناحية اخرى ، قد بدا ، فالبابا شنودة بما يمثله من قيم جيل ينتمى له واهداف و احلام خاصة بهذا الجيل ، لن يرضى بذلك الدور الذى اعتادت الكنيسة على القيام به ، سواء فى علاقتها بالدولة ، أو فى علاقتها بالاقباط أنفسهم ، ساعده فى ذلك مجموعة الظروف السياسية والاجتماعية التى سادت فى ذلك الوقت ، وتخلى الدولة -برغبتها أو رغما عنها -عن القيام بكامل دورها سواء فى اعطاء الاحساس بمسئوليتها عنهم ، أو لغياب الحلم القومى المشترك الذى تسبب فى خلق الشكوك حول قضية الهوية و بالتالى الانتماء .

على هذا ، فقد كانت الفرصة مواتية ، كنيسة تتغير تملك مقومات و قوة ذاتية يقودها جيل جديد يملك من الطموح فى لعب دور كبير ما لم يكن يملكه اباؤهم واجدادهم ، على راس هذا الجيل شخصية " كاريزمية " تملك من الاحساس بالذات الكثير ، كل هذا فى مجتمع اصيب بهزات كبيرة ، افقدته القدرة على جمع شمل كل مواطنيه ، وفى مرحلة سياسية تميزت بالتناقضات الكبيرة ، والصدمات الكهربائية المفاجئة و المستمرة مما افقد المواطنين - خاصة الشباب القدرة على متابعة ما يحدث ، فما بالك بفهمه ، وسقطت رموز ، وصعدت غيرها ، كل هذا تزامن مع تغيرات اقتصادية حادة عززت من تاثير كافة التغيرات الاخرى. فى ظل كل هذا بدات الكنيسة بقيادتها الجديدة فى رسم حدود الدور الذى تهدف اليه، وبدا التداخل بين حدود دور الكنيسة

واغلقت فى وجهه يشعر بأن الدين مجرد نظريات لا مفعول لها ولا وجود عملى لها ، ان الدين ليس مجرد نظريات جامدة بعيدة عن الواقع العملى . منذ القرن الاول الميلادى و الكنيسة تمارس دورها بهذا المفهوم .

* واسأل البابا شنودة " هل هذا الخلاف فى المفاهيم أدى الى حدوث خلافات قوية داخل الكنيسة ؟

** لاتوجد خلافات ، لكن البعض اراد فى وقت من الاوقات ان يتملق الدولة بأن يقول بأن الخدمة الاجتماعية عمل من أعمال الدولة وليست عملا كنسيا

وانا أرى أن هذا فكر شيوعي محض ،لأن الشيوعية لا تريد أن يلجأ الانسان الى الله ، ولكن يلجأ فقط للدولة .
ويضيف البابا شنودة " منذ بدء ظهور المسيحية ومنذ بدء ظهور الاسلام فان المؤمن المسيحى يدفع عشورا والمسلم يدفع الزكاة ، و من هذا كان يصرف على الفقراء و المحتاجين . ايضا كانت هناك الاوقاف التى توقف على بيوت الله، الاوقاف المسيحية التى تديرها الكنيسة ، والاوقاف الاسلامية التى تديرها الجوامع . كل هذه أمور معلومة و عامة ، فالناس يلجأون لرجل الدين لحل مشاكلهم باعتباره القلب العطوف الذى يعلمه الدين الرحمة و التعاطف و مساعدة الاخرين .

يؤكد البابا شنودة ان الفكر الذى ينزع من الكنيسة دورها الاجتماعى لا وجود له ، ولا شعبية له فى الكنيسة اطلاقا ، وفى المحيط المسيحى هو مجرد فكر يريد ان يتملق الدولة ..

تجاه المواطن القبطى كقبطى ، و القبطى كمواطن مصرى ، وبدأ ايضا الالتباس بين مفهوم الرعاية الدينية ، و الدفاع عن حقوق الاقباط ، وكان لزاما فى ظل هذه التداخلات و الالتباسات أن يحدث الصدام مرات عديدة ، وقد بنت الكنيسة دورها الجديد على اساس مجموعة من الاسس الهامة ، بعضها سعت لخلقه ، و البعض الاخر كان نتاجا لظروف المجتمع وما فعلته الكنيسة ان سعت لتوظيف هذه المتغيرات لتدعيم موقفها . ولعلنا يمكن ان نوجز هذه الاسس فى البداية على ان نتناول كل عنصر منها تفصيلا مستعرضين التحليلات المختلفة لها لاحقا.. هذه الدعائم أو الاجراءات هى :

* ضرب الصفوة القبطية و الاطاحة بالعناصر المدنية وانفراد الكنيسة بتمثيل الاقباط لدى الدولة وانهاء عصر القيادات التقليدية

* المهاجرون الاقباط وتكوين قوة سياسية خارج اطار الدولة ، ودعم اقتصادى للكنيسة من خارج الحدود .

* انشاء كنائس المهجر .

* اقامة علاقات متميزة مع المؤسسات الكنسية العالمية ، مما يعطى الكنيسة القبطية احساسا ذاتيا بالقوة .

* التأكيد على تميز الكنيسة ، و الشخصية القبطية ، وترسيخ مفهوم "الشعب القبطى"

الانفراد :

" أحب ان اناقش معك اولا مفهوم النخبة أو الصفوة " هكذا بادرني البابا شنودة عندما سألته عن الظروف التي حلت فيها الكنيسة محل الصفوة القبطية في تمثيل الاقباط لدى الدولة . واضاف "هل الصفوة هم مجرد اشخاص اصحاب فكر أم اشخاص لهم تأثير فعلي على الاقباط في الكنيسة ، ربما يوجد اشخاص لهم شهرة ككتاب و مفكرين أو كأصحاب مناصب كبيرة ، ولكن لا يوجد تأثير لهم اطلاقا بين الاقباط ، ولا وجود فعلي لهم ، هذه نقطة . الثانية عندما تحدث مشاكل معينة ، ووقتها يقف من تسميهم بالصفوة مكتوفي الايدى ، وكأنهم في غيبوبة كاملة عن الاحداث فلا يبادر أحدهم بالاتصال بالدولة ، أو بالتعبير عن موقفه ، وقتها تجد الكنيسة نفسها بالضرورة ملزمة بالتدخل " هكذا يفسر البابا شنودة وضع من اصطلح على تسميتهم بالصفوة القبطية ويضيف : "هؤلاء الاشخاص فقدوا شعبيتهم في الوسط القبطي لانهم لا يفعلون شيئا للاقباط ، الامر الوحيد الذى يقومون به هو انتقاد الكنيسة . لو اننا رأينا من يفعل شيئا من أجل الاقباط ما كانت هناك ضرورة لتدخل الكنيسة"

* وسأل البابا شنودة "الا تعتقد انه لو لم يكن البابا شنودة هو البابا في هذه الفترة ، فهل كانت الكنيسة ستقوم بنفس الدور ؟

** يقول " أنا لا استطيع ان استنتج ، لكن أى بابا ينبغى ان يسمع لما يقوله المجمع المقدس ، عندما يطلب منه ان يتخذ موقفا . لكن هناك البعض لا يجد ما يقوم به سوى لوم من يعملون ، فمثلا الصفوة من الاقباط تقول للكنيسة لا تتدخلوا لدى الدولة نحن مسئولون عن الاقباط ، لكنهم لا يفعلون شيئا فتجد الكنيسة نفسها فى موقف المضطر للتدخل ، وليس فى موقف من يريد تغيير وضع قائم . نحن لا نريد أن نغير ولكن وجدنا ان هناك فراغا فى هذه الامور ، و الشعب يطالبنابان نفعل أي شيء ، المسالة ليست مسالة البابا شنودة ، ولكن هناك فراغا ، والكنيسة وجدت نفسها مضطرة لان تتدخل فى كثير من الاوقات لملء هذا الفراغ ، بالاتصال بالمسئولين بطريقة هادئة وهادفة لتطلعهم على مجريات الامور ، هذا فى الوقت الذى تقف فيه هذه الصفوة التى تتحدث عنها ولا تفعل شيئا

***

كان لحظر نشاط الاحزاب السياسية القديمة ، خصوصا حزب الوفد ، الذى كان الاقباط عنصرا بارزا فى نشاطه نتيجة مباشرة تمثلت فى اختفاء عدد كبير من القيادات السياسية القبطية من ساحة الحياة العامة فى مصر . ولمواجهة احساس الاقباط بافتقاد شىء ما ، فقد حاول النظام فى ذلك الوقت معالجة هذه الحساسية بان خصص بعض الحقائب الوزارية للاقباط ، و فى مرحنة تالية بعض مقاعد البرلمان . ولكن كان هؤلاء الاقباط يمثلون فى الغالب مجموعة من التكنوقراط ، ليس لهم تاثير كبير فى المجتمع القبطى ، ولم يكن احدهم زعيما

سياسيا ، أو ذا تأثير واضح على مسرح الحياة العامة ، بل انه فى العادة كان تعيينهم هو البداية لدخولهم مسرح الحياة . وقد حاولت الكنيسة فى بعض المراحل الاستفادة بهؤلاء الاقباط كقناة اتصال بينها وبين الحكومة .

وينقل د . رفيق حبيب عن كيبل فى كتابه " النبى والفرعون " رؤيته لانخفاض دور الصفوة القبطية كممثل للكنيسة و الشعب القبطى منذ الفترة الناصرية ، وهو ما كان لصالح دور الكنيسة . ويربط بين هذا المتغير ، وبين بدايات التحرك السياسى للكنيسة . ففى الفترة الناصرية و التأميم ، أصيبت الصفوة القبطية الثرية بضربات متلاحقة ، مما أدى الى انزوائها ، أو هرب فلولها للخارج . لهذا لم يعد لها تكوين طبقى محدد ، يمثل الكنيسة و الشعب القبطى . وهكذا اتيح للكنيسة دور اكبر فى تمثيل الاقباط لدى الدولة . ولكن هذا الدور ظل محدودا ، فحتى الفترة الناصرية كانت مشكلات الكنيسة تحل عن طريق الوزراء الاقباط

وفى السبعينات حاول البابا شنودة و الممثلون لاتجاهه تغيير وضع الكنيسة و قياداتها لتكون الممثل الشرعى عن الاقباط لدى الدولة ، وتصبح قيادات الكنيسة الممثل الوحيد لها دون وساطة الصفوة القبطية الجديدة . واندلع الصراع ، وكان البابا شنودة يحاول اخضاع الصفوة القبطية لسلطة الكنيسة لتصبح جماعة الصفوة جزءا من رعايا الكنيسة ، تعمل من خلالها . فى حين كان الوضع السابق لجماعة الصفوة يجعلها ممثلا للكنيسة ، وتميل للقيام بدور قيادى أو رئاسى تجاه الكنيسة ،

وهو ما كان موضع صراع خاصة قبل ثورة يوليو ، بين الصفوة من جانب وقيادات الكنيسة من الجانب الاخر

وعندما وصل البابا شنودة ممثلا لجيله الى قيادة الكنيسة ، و فى اطار تحقيق هدف تحديث الكنيسة وتوسيع نطاق عملها وذلك تعبيرا عن اتساع مفهوم هذا الجيل لدور الكنيسة ، عند ذلك اراد البابا شنودة القيام بدور الممثل الدينى و السياسى للاقباط ، ليلغى بذلك دور الصفوة القبطية كوسيط بين الدولة و الكنيسة والاقباط .

تحكمت طبيعة تكوين الصفوة القبطية فى ذلك الوقت وموقفها السياسى و الوظيفى الى حد كبير فى نوعية الحلول التى كانت تصل اليها فى اية مشكلات تعترض الكنيسة فى ذلك الوقت ، فقد كان حل هذه المشكلات الذى يأتى من خلال الصفوة القبطية يتسم بالوسطية او "التوفيقية " الى حد كبير ، وذلك فى محاولة منها لكسب رضا الطرفين ، الكنيسة التى ينتمون لها والدولة التى جعلتهم " كصفوة " وللحفاظ على مكانتهم لدى الدولة .

هذا المعنى تقريبا هو ما عبر عنه البابا شنودة فى حواره معى ، فقد اشار بشكل واضح الى ان هذه الصفوة لم تكن تمثل الاقباط كما يريد أو يعتقد هو بانه التمثيل المناسب ، وهذا الانتقاد يتفق مع طبيعة تكوين البابا شنودة ،والجيل الذى يمثله فهذه الصفوة وما تمثله من الاعتدال و الوسطية أدى الى الابتعاد من وجهة نظر بعض قيادات الكنيسة عن المواجهة الحقيقية للمشكلات و بالتالى وضع الحلول الجذرية لها .

بدا البابا شنودة فى محاولة تغيير الوضع التمثيلى للاقباط لتصبح الكنيسة الممثل الرسمى لهم وبالتالى هو باعتباره رئيسا لهذه الكنيسة . ولذلك فقد رفض التعاون مع هذه الصفوة ، حتى لا تجد القيادة السياسية بدا من التعاون المباشر معه . فى حين كانت القيادة السياسية تفضل التعامل مع جماعة الصفوة .

كان الطريق الحاسم هو اللجوء لاساليب جديدة للمواجهة تختلف عن منهج الصفوة الذى كان يميل للوسطية ، كانت الاساليب الجديدة هى الحدة و الحسم و المواجهة ، ولعل حادث الخانكة كان بالفعل هو المحك الاول لاختبار هذه السياسة الجديدة ، وكان موقف البابا شنودة فى ذلك الوقت الذى اعلن لاول مرة عن احتجاجه بشكل علنى ، وبشكل جعل السادات يصف ما يحدث بانه محاولة "للى ذراعه "

كان هذا الاسلوب تعبيرا طبيعيا عن طبيعة القادة الجدد - او القائد الجديد - ،و كان ايضا افرازا مبكرا لتغيرات فى البنية السياسية و الاجتماعية للمجتمع . وهكذا اصبحت الكنيسة ورجالها فى موقع القيادة والمعبر و المدافع عما يعتبرونه حقوقا للاقباط ، ووقفت الجماهير القبطية - خاصة الشباب منهم - فى موقف المؤيد للبابا الجديد .

يحدد د. حبيب اهداف الكنيسة فى السبعينات من وراء مظاهر الاحتجاج التى ميزتها بالتالى :

١ - قيام الكنيسة القبطية بدور ممثل الاقباط بدلا من الصفوة القبطية

٢ - فرض سلطة الكنيسة على الصفوة القبطية ، ومنعها من محاولة السيطرة على الكنيسة .
٣ - تحقيق آمال الطبقة الوسطى القبطية التى تعايش مشاعر الاحباط و اليأس فى سعيها لتحقيق مكانة مقبولة فى الحياة و المجتمع .
٤ - كسر حالة السلبية التى ميزت الكنيسة و الاقباط لفترات طويلة .

ولكن هل حققت الكنيسة هذه الاهداف ؟ الامر الاكيد ان الهدفين الاولين قد تحققا الى حد كبير ، لكن الاكيد ايضا ان الهدف الاخير وهو يعد أحد أهم الاهداف - ليس على المستوى القبطى فقط - ولكن ايضا على المستوى الوطنى ، لم يتحقق . وكان ذلك بسبب الصدام المتكرر بين الدولة و الكنيسة . وتتحمل الكنيسة بالتأكيد نصيبها من وزر هذا الصدام ، وذلك لاساليب الاحتجاج التى اتبعتها الكنيسة و التى كان لها أثرها فى تصعيد الخلاف وخلق صدام حقيقى مع الدولة و من بين هذه الاساليب كان البيان القبطى فى ١٩٧٧ ، و الامتناع عن اقامة شعائر العيد فى ١٩٨٠ ، وهو ما سنتناوله تفصيلا فيما بعد .

ايضا للدكتور ميلاد حنا -وهو أحد الاقباط العلمانيين-رأى: اذ يعتقد انه باختفاء السياسيين القدماء من الساحة من أمثال ويصا واصف فى الثلاثينات ثم مكرم عبيد فى الاربعينات ظهرت زعامات جديدة تلبس العمامة السوداء ، تمارس قيادتها وسيطرتها من خلال كراسى الاسقفية والمطرانية و البطريركية ، فبدلا من ان

تسير مصر نحو العلمانية امتدادا لمسيرة الوفد عام ١٩١٩ - اذ بالنفوذ السياسى يتسرب الى القيادات الدينية ، او ان القيادات الدينية قد اخذت موقع القمة واصبحوا هم المتحدثين باسم الاقباط ، ولم يسمح رسميا بوجود قيادات سياسية قبطية الا اذا نمت فيه من خلال الاجهزة و التنظيمات الدينية ، ويشاع ان قائمة التعيينات و الاختيارات فى المناصب السياسية فى مجلس الشعب أو مجلس الوزراء يحسن ان تأخذ رضا وبركة السلطة الكهنوتية وقد اثبتت الاحداث أن حركة الاقباط العامة تصبح ذات تأثير أقوى عندما يكون الضغط من خلال رجال الدين ، لان اعتقال رجل سياسة قد يكون أمرا سهلا وممكنا بينما تعمل السلطة ألف حساب قبل الدخول فى صدام مع أسقف أو أحد القيادات فى المجمع المقدس وقد أثبتت الاحداث هذا المفهوم الجديد ،اذ عندما أعلنت حكومة ممدوح سالم فى أغسطس ١٩٧٧ أنها تنوى تطبيق الحدود فى الشريعة الاسلامية على المرتد .. لم تستطع القوى التقدمية أن تواجه الموقف ولكن الانظار اتجهت الى قيادة الكنيسة لاختبار أسلوبها وطريقتها فى معالجة الازمة .. وقد أعلن البابا شنودة الثالث حالة الصيام لجميع الاقباط لعدة أيام ونفذ ذلك فى جميع المدن والقرى فى مصر ، فكان ذلك هو الاسلوب المبتكر و الفعال من وجهة نظر د. ميلاد حنا و الذى أدى الى تراجع الحكومة و اعلانها الصريح بسحب مشاريع القوانين المقدمة الى البرلمان فى هذا الشأن ، وقد كان للتكتلات القبطية و التى هاجرت واستقرت فى أمريكا و استراليا تأثير ضخم فى الضغط على الحكومة من الخارج ، اذ تحركوا متظاهرين ضد هذه التشريعات ولم يهدأ لهم بال الا بعد أن ارسلت لهم القيادة

الدينية فى مصر برقية تنبىء بزوال الازمة ، وقد تم كل ذلك دون أن تكتب الصحافة المصرية عن هذه التحركات سطرا واحدا .

هكذا نرى كيف أن صورة الحركة السياسية للاقباط قد أخذت مسارا معاكسا لحركة التاريخ اذ بدأوا صراعهم فى أوائل القرن من منطلق المحافظة على حقوقهم كأقلية من خلال قيادة مدنية تناقش أمور الدنيا ثم امتزجوا تماما مع الحركة الوطنية فى كافة تنظيمات الاحزاب السياسية لدفع الاتجاه العلمانى للدولة بهدف تذويب الفوارق بين الاديان وكان ذلك سمة الفترة ما بين الحرب العالمية الاولى و الثانية ، ثم استمروا فى الاندفاع فى الاتجاه الصحيح بعد الحرب العالمية الثانية فانضم بعض قياداتها الى حركات اليسار لحل مشاكل كل الفئات المضطهدة ومن بينها الاقليات وظل الامر كذلك حتى نهاية فترة عبد الناصر ... اما فترة السبعينات فان السمة الاساسية لها هو لجوء الطبقات الحاكمة الى تقوية التيارات الدينية الاسلامية بهدف الحد من التيارات والافكار اليسارية فى كافة صورها ... كل ذلك دفع بالاقباط الى التقوقع مرة اخرى و الالتفاف حول التشكيلات و التنظيمات الدينية ومن ثم لبست قياداتهم العمم السوداء ، واصبح الحديث عن حقوق انشاء الكنائس أسوة بالجوامع بدلا من حقوق متساوية فى فرص العمل و الوظائف العامة وصار الحديث عن حوادث الاعتداء على الكنائس و اسلوب حمايتها بدلا من قصص مهاجمة معسكرات الانجليز فى قناة السويس أو مشاكل التحرر الوطنى أو القضايا الاجتماعية و الفكرية والحضارية

المهاجرون
احد العناصر الهامة التى شكلت دعما للكنيسة القبطية فى موقفها ودورها الجديد ، كان اولئك الاقباط الذين اختاروا الهجرة خارج مصر ،و استقروا وعملوا ،وكونوا مجتمعات بديلة ، منفصلة عن مصر ، ولكنها ليست منعزلة عنها .

بدأت موجات الهجرة القبطية الملموسة فى اعقاب ثورة يوليو ، وتميزت طبيعة المهاجرين الاقباط فى ذلك الوقت بأنهم جميعهم تقريبا يمثلون الشرائح العليا فى المجتمع ، وتفسير ذلك واضح ،اذ ان هجرتهم كان دافعها تجنب قرارات التأميم و التمصير وكانت الطبقة العليا هى اقرب الطبقات التى يمكن ان تضار من هذه القرارات لذا فان الهجرة كانت الحل المطروح امامهم . أو هى رد الفعل الذى يتناسب مع سلوك الاقلية عند احساسها بالخطر

مع مطلع الستينات بدأ ما يمكن تسميته بالموجة الثانية من الهجرة القبطية ، وكان قد مر على الثورة اكثر من سبع سنوات ، وبدأت الملامح السياسية للنظام تتضح . وبدا ان البناء السياسى للمجتمع المصرى بدأ يتغير ووجد الاقباط انفسهم بعيدين عن المشاركة الفاعلة فى اطار البناء السياسى الجديد ، ولعل الاشارة الى الانتخابات البرلمانية الاولى يمكن أن تعطينا تدليلا على ذلك ، ولم تفلح الاجراءات التى اتخذها النظام فى ذلك الوقت فى التخفيف من حالة التوجس والاحباط الذى بدأ يسود الاوساط القبطية ، لاحساسهم بتقلص دورهم السياسى ، خاصة اذا ماقورن بالوضع فيما قبل الثورة حيث استطاع الوفد بصيغته فى ذلك الوقت أن يكون

متنفسا مناسبا ليمارس الاقباط من خلاله دورا سياسيا مرضيا •ولم يكن كافيا أن يقتنع الاقباط بانه لم يكن المقصود تقليص دورهم السياسى من قبل النظام ، وانما طبيعة النظام فى ذلك الوقت الذى قلص الدور السياسى لبعض قطاعات المثقفين ، والمهنيين مقارنة بما سبق واذا وضعنا فى الاعتبار ان قطاعا لاباس به من الاقباط يندرج تحت قطاعات المثقفين و المهنيين ، لكان ذلك تفسيرا لتقليص دور الاقباط السياسى فى ذلك الوقت . هذا التقليص هو احد أهم العوامل التى دفعت باقباط الموجة الثانية للهجرة وهو سلوك يتناسب ايضا مع طبيعة الاقلية التى يمكن ان تحجم عن ان تخلق لنفسها فرصة مناسبة ، اما عن عدم رغبة فى المواجهة أو لعدم مواتاة الظروف المحيطة به أو لكليهما

هكذا فان الهجرة الاولى كانت لدافع اقتصادى للطبقة العليا من الاقباط ،و الثانية كانت لدافع سياسى وكان المهاجرون يمثلون الطبقة الوسطى أما الموجة الثالثة من الهجرة فكانت فى النصف الثانى من الستينات ،وكان الدافع هذه المرة اقتصاديا هو الاخر ولكنه كان دافعا للشباب للخروج بعدما عجز أو عجزت الدولة عن توفير الفرص المناسبة لهم ، وكان الاقباط والمسلمون فى ذلك سواء، و شهدت تلك الفترة هجرة من المسلمين ولكن الى دول النفط العربية ، وهجرة قبطية ولكن الى دول الغرب وتفسير ذلك يكمن فى الامتدادات القبطية فى الخارج التى سبقت تلك الهجرة الاخيرة بنحو عقدين من الزمان . فى ذلك الوقت -وأظن حتى الآن -كان الشاب عندما ينهى دراسته الجامعية يخرج يحدوه الامل فى ان يحقق طموحه المهنى ، اعتقادا منه انه بانهاء تعليمه الجامعى

يكون قد تمكن من اقدامه على طريق المعيشة الجيدة ، كما الذين سبقوه فى هذا الطريق ولكن الواقع اختلف كثيرا ومازال ، فيتخرج الشاب فى الجامعة ويصطدم بالواقع الذى لا يتواءم مع حجم طموحه ، لافى العمل ،ولا فى امكانية الحياة فى ظل ظروف معيشية مناسبة لذلك فالحل الاقرب - فى حالة تيسره - يكون الهجرة للعمل فى الخارج ٠

هكذا كون المهاجرون مجتمعهم البديل ، فى المنفى الاختيارى لهم ، ولكن على الرغم من استمرارهم فى الخارج ، فانهم والمهاجرين لا يشعرون بالقدرالكبير من تحقيق الذات ، على الرغم من تحقيق نجاحات عملية ، الاأن الاحساس بالذات أو القلق الداخلى ، يستمر ولعل ذلك الاحساس بفقد الهوية الاجتماعية والحضارية هو السبب فى ذلك ، ولايتم تحقيق ذلك الاشباع الا من خلال الاحساس بالمشاركة فى أحداث متعلقة ببلده ، وفى بعض الاحيان . فى ظل ظروف سياسية ومجتمعية معينة - يكون ارتباطه ورغبته فى المشاركة تكون فى أحداث تتعلق بطائفته هو اذا ما استشعر انها تعانى من ظروف يعتقد انها صعبة ، هذا الوضع يوقظ فى داخله الظروف التى دفعته للخروج ، او الهرب من وطنه ، ويدفعه ذلك لمحاولة التعبير والتأثير عن وفى تلك الاحداث ..وقد تجمعت العديد من الظروف التى أمكن ان تجعل لاقباط المهجر مواقف مؤثرة نسبيا على المجتمع القبطى ، والسياسى المصرى خاصة فى امريكا و كندا و استراليا ، التى تكونت فيها كنائس قبطية نتيجة وجود مجموعات كبيرة من الاقباط المهاجرين فى تلك البلاد . وقد مكنت هذه الكنائس من ربط المصريين الاقباط ، وتكوين

مجتمعات مصرية قبطية مصغرة هذه المجتمعات المنظمة مكنت من ان يكون لهم صوت مؤثر.

ويقدم د. حبيب تحليلا لظاهرة الهجرة لدى الاقباط وتبريراتها فيعتقد انه فى البداية وجد المهاجر مبررات لترك مصر ، ليهاجر بحثا عن مكانته ووجوده ، وفى المهجر لم يتحقق الاشباع الكامل ، حتى جاء الوقت الملائم لتحقيق الحلم الضائع ، و الامل المفقود ، وهو تحقيق مكانة ودور فى الوطن الام ، وكانت حوادث الفتنة الطائفية ، فرصة سانحة للضغط على الحكومة المصرية ، لتخفيف معاناة الاقباط ، أو اتاحة فرص الحياة لهم ، أى لتحقيق مكاسب خاصة بالجماعة التى ينتمون لها سواء كانت استعادة حقوق مفقودة ، أو تحقيق مكاسب جديدة واذا نجح اقباط المهجر فى الضغط على الحكومة ، فان ذلك سيكون بمثابة تأكيد على وجودهم السياسى كجماعة ضغط . وهذا النجاح ، ان تحقق يدل على تحقيق مكانة وتأثير فى مصر بالرغم من وجودهم فى المهجر . وبهذا كانت المحاولة لتحقيق الحلم ، حلم النجاح وتحقيق المكانة فى الوطن الأم .

فالاقباط المهاجرون ، الذين تركوا الوطن وهم يحلمون بتحقيق الكثير من الطموح فيه ، وبتحقيق مكانة وتأثير جاءت لهم الفرصة الان فى المهجر ، ليصبحوا حكومة المنفى ، وهذا هو الشعور الداخلى الكامن فى خبراتهم النفسية و الاجتماعية ، فقد تركوا مصر ، وهم يشعرون أن لهم مكانة ودورا سياسيا و اجتماعيا ، ولكنهم منعوا من تحقيق هذا الدور ، منعوا من ممارسة حقهم ، ومن تحقيق طاقاتهم ، وفى هذا ما يماثل نفسيا ، النفى

اى ان المهاجر يدرك هجرته باعتبارها حتمية لا اختيارية ، فهى هجرة اجبارية ، فبرغم انها هجرة اختيارية ، الا انها أصبحت من خلال عملية التبرير هجرة حتمية ، ناتجة عن ظروف المجتمع .

وهكذا نجد أن قرار الهجرة ينبع من المهاجر نفسه ، ولكنه يبرر ذلك من خلال إعتقاده بعدم وجود فرص للحياة فى المجتمع ، واعتقاده بخطأ أوضاع المجتمع ومن ثم يرفض المجتمع ويبقى قرار الهجرة نابعا من الشعور بالاغتراب ، وشعور الفرد بعدم وجود مكان له فى المجتمع فهو يتركه ويرفضه ، وفى اعماقه يشعر برفض المجتمع له ، ويشعر بالتالى بالنفى النفسى والمعنوى

فى المهجر ، عاش المهاجرون فى المنفى ، يحاولون تحقيق النجاح لانفسهم ولكنهم ظلوا فى المنفى ، وظلوا يعيشون حلم رد الاعتبار . و المنفي يرد اعتباره بالعودة الى الوطن ، واخذ حقوقه وممارسة دوره فى السلطة . لكن المهاجرين لم يعودوا الى الوطن ، بل اتيحت لهم فرصة ممارسة دورهم من الخارج فكونوا حكومة المنفى ، التى حاولت ، من خلال وسائل الاعلام ، تقديم صورة للاحداث الداخلية ، فى محاولة للضغط على الحكومة المصرية من خلال الدول الغربية ، والرأى العام العالمى • فلكى يمارسوا دورا سياسيا وهم فى المهجر ، دون أن تتوافر لديهم اية وسائل طبيعية للمشاركة فى السياسة لم يكن امامهم الا التاثير على الحكومة عن طريق الدول الغربية •او الرأى العام الغربى بهذا حاول المهاجرون الخروج من حالة النفى على الاقل نسبيا •

وتكونت الهيئة القبطية الامريكية ، التى تصدر مجلة الاقباط • وفى هذه المجلة وغيرها ، وفى محاولة الاقباط المهاجرين تكوين جماعة سياسية فى المنفى (فى المهجر) لم يقدم المهاجرون رؤية للاوضاع الداخلية ،وحلولا مقترحة لتغيير الواقع• فكما يذكرجمال بدوى انتشرت فى هذه الفترة أفكار تنادى بأن الاقباط هم السلالة المصرية النقية ، والعرب دخلاءمستعمرون • ولقد ظهرت هذه الافكار فى مصر ، كما ظهرت فى المهجر • وبتحليل أفكار أقباط المهجر نجد أنها تشير الى ثورة على المجتمع المصرى ، ترفض الكثير من أوضاعه ، وكأنها محاولة لتغيير الحكم من المنفى • وكان سلوكهم ، بهذا يخرج عن الحدود العملية ،ويتضمن أحلاما يصعب تحقيقها أحلاما ،تبتعد عن حدود المشكلات التى أثارت المهاجرين ، لتصبح أفعالهم ثورة على الواقع ، لرد الاعتبار ، واعادة الحقوق المسلوبة ، والمكانة المفقودة فقد حاول أقباط المهجر ، استعادة مكانتهم التى لم تتحقق لهم فى مصر قبل الهجرة ، باثبات كفاءتهم ، وقدرتهم على التأثير فى السياسة.

وتتبلور خصائص هذه الحركة الاحتجاجية ، فهى حركة تهدف الى تحقيق المكانة والطموح • فاقباط المهجر ينتمون فى معظمهم الى الطبقة الوسطى •وهذه الطبقة عندما تراودها الاحلام ، تنشغل عادة بالنجاح المهنى أولا، ثم النجاح السياسى • وقد استطاع أقباط المهجر ، تحقيق النجاح المهنى فى دول المهجر ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق النجاح السياسى • فالعمل السياسى لا يتحقق الافى مصر ،مماأدى الى تكون حالة نفسية واجتماعية ، تماثل مايعرف سياسيا بحكومة المنفى وفى

كل سلوكهم ومواقفهم ،كانوا يحاولون خلق مكانة سياسية في المجتمع المصرى •

كنائس المهجر :

كان طبيعيا ان يحاول اقباط المهجر ان يجدوا لانفسهم كيانا دينيا يجمعهم ، تعبيرا عن رغبتهم فى الاعلان عن و التمسك بهويتهم . وكانت البداية مع ازدياد موجات الهجرة القبطية للخارج . ففى عصر البابا كيرلس السادس بدا انشاء أول كنائس للمهجروكان ذلك فى نهاية الستينات . فانشأ كنيستين فى استراليا واثنتين فى امريكا ، واثنتين فى كندا ، وواحدة فى لندن .

•

كان هذا هو الوضع عندما تولى البابا شنودة ، ولكن مع كل الظروف التى سبق ذكرها عن التغييرات التى سادت المجتمع و الكنيسة ، التقت رغبة أقباط المهجر فى ايجاد كنائس متعددة تحت الاشراف المباشر للكنيسة الام التقت هذه الرغبة فيما يبدو مع رغبة البابا شنودة فى ان يربط اقباط الخارج بالكنيسة الام ، وذلك بغرض رعايتهم دينيا ، وهذا أمر مؤكد ولكن فى نفس الوقت فان وجود مثل هذا الجمع من المهاجرين عندما ينظم فى كنائس ترتبط بالكنيسة القبطية المصرية - او هى جزء منها -فان هذا ولا شك يمثل عنصر قوة جديدا هاما ومؤثرا ، والاكيد ايضا ان هذا حق لا يناقش فيه أحد ولكن ما يهمنا فى هذا المقام هو تفسير أو عرض لاهم عناصر القوة الجديدة المضافة للكنيسة القبطية والتى سعى البابا شنودة الى توظيفها فى اطار الدور الجديد للكنيسة .

البابا شنودة يفسر ظاهرة كنائس المهجر بأن هناك مستجدات جديدة أهمها اتساع الرقعة القبطية فى المهجر فالمهاجرون الاقباط الى أوربا الغربية والولايات المتحدة وكندا و استراليا ، وبعض الاقطار العربية وافريقيا ، تلزمهم رعاية مستمرة. ويضرب البابا شنودة مثلا بالوضع فى امريكا حيث كانت هناك كنيستان فقط وقت ان تولى هو ، الاولى كانت فى أقصى الشرق "جرسى سيتى" و الاخرى فى أقصى الغرب فى "لوس انجلوس " الان تجاوز عدد الكنائس فى الولايات المتحدة وحدها ٤٥ كنيسة ، ويعتقد البابا شنودة أن هذه الكنائس فى المهجر استطاعت ان تجمع كل الاقباط ، وان تحول بينهم وبين الذوبان فى المجتمع الغربى الخارجي وثقافته ، وربما فى مذهب غير مذهبه ، فالكنيسة هناك حفظتهم فى حياة روحية وشرقية ، وربطتهم بالوطن الام ربطا وثيقا ، وبلغة هذا الوطن وثقافته ..

* واسأل البابا شنودة :من الملاحظ ان الكنيسة القبطية المصرية تتمدد فى الخارج وأصبح لها حوالى مائة كنيسة فى اوربا و امريكا وكندا و استراليا . ما تفسيركم لهذا التطلع غربا ؟

** لا يوجد اطلاقا أى تطلع غربى ولكن ما حدث ان الهجرة الى الخارج كثرت فى بعض الاوقات سواء بين المسلمين أو المسيحيين . فوجد عدد من الاقباط فى الخارج يحتاجون الى رعاية -وان لم تقم الكنيسة برعايتهم فسيحدث أحد أمرين اما ان يذوبوا فى الاتجاه الغربى وهذا خطر عليهم ، واما ان ينضموا الى كنائس اخرى لان كل انسان يحب ان يصلى . فان لم يجد كنيسته

الاصلية يصلى فيها فسيصلى فى كنيسة اجنبية و بالتالى يبتلع داخلها . لذلك وحرصا منا على اولادنا ولكى يحتفظوا بانتمائهم لكنيستهم ووطنهم انشأنا هذه الكنائس . اما عن انشاء ٩٦ كنيسة لنا فى الخارج منها ٤٦ فى امريكا . فهذا ليس بغريب اذا قورن بعدد المهاجرين و الاتساع الشاسع للبلاد . وكمثال للمقارنة أقول مثلا ان الانبا باكوبوس رئيس الكنيسة اليونانية فى نيويورك له اكثر من خمسمائة كنيسة تحت رعايته . وربما السبب فى ذلك ان اليونان سبقونا فى الهجرة بزمن طويل . كذلك السريان لهم مطران فى امريكا ، والاحباش ايضا ، وكذلك الارمن وغيرهم .

* منذ متى بدا مشروع انشاء الكنائس القبطية فى الخارج ؟

** بدا ذلك فى أواخر الستينات ايام البابا كيرلس السادس . فأنشا كنيستين فى استراليا واثنتين فى أمريكا واثنتين فى كندا وكنيسة فى لندن .

حينما توليت رئاسة الكنيسة قابلنى اولادنا فى المهجر وطالبوا بالمزيد من الكنائس ولذلك كلما راينا تجمعا قبطيا من المهاجرين يحتمل انشاء كنيسة و الانفاق عليها ننشئها فورا .

* ارتفاع عدد الكنائس من ٧ فى عهد البابا كيرلس السادس الى ٩٦ حتى الان فى عهدك ، الا ترى ذلك ملفتا للنظر ؟

** أرجو ان تفرق بين أمرين : بين انشاء الكنائس وبين الهجرة ، فانشاء الكنائس جاء نتيجة للهجرة التى بدأت منذ فترة طويلة و لكن ازدادت مؤخرا .. ورغم عدم حبى شخصيا للهجرة الا اننى وجدت نفسى أمام حقيقة لا يمكن تجاهلها . فهل اتركهم يذوبون فى المجتمع الغربى أم اعتنى بهم ؟ وبهذه المناسبة اسجل اننى سألت أحد رؤساء الكنائس الشقيقة الشرقية فى امريكا " منذ متى بدأت هجرة شعوبهم وتأسيس كنائسهم فاجابنى بقوله : ان الدفعة الاولى من المهاجرين لانعرف عنها شيئا . لقد ضاعت كلها . ولكن منذ بدانا نؤسس كنائس ونرسل أباء لرعاية ابنائنا ، من ذلك الحين حفظنا أولادنا انه واجب علي ان لم اقم به يلومنى ضميرى للتقصير فى حق ابناء لنا يوجدون فى وسط غريب عليهم ، وباخلاقيات لم يتعودوها مطلقا ، ويحتاجون الى رعاية . ورعاية المهاجرين أهتمت بها الدولة ايضا وانشأت وزارة خاصة بها لم تكن موجودة قبل انتشار الهجرة .

* هناك ملاحظة يسجلها البعض ان زياراتك للخارج أصبحت متكررة وشبه سنوية كما لوحظ مؤخرا ان هذه الزيارات أصبحت تمتد لحوالى ثلاثة اشهر فى السنة ، ما تفسيرك لهذا الاتجاه ؟

** جميع رؤساء الكنائس يزورون كنائسهم فى المهجر بلا استثناء ،وفى مصر جميع رؤساء الكنائس يذهبون لتفقد ابنائهم فى المهجر وبخاصة ان هذه الكنائس فى حاجة الى اهتمام لانها فى طور التأسيس ، اضيف الى هذا اننا لم نعين بعد اساقفة و مطارنة يتخصصون

برعاية ابنائنا فى المهجر ، فأصبح العبء واقعا على . أما من جهة طول المدة - كما تذكر -فذلك لكثرة عدد الكنائس .ففى زيارتى سنة ١٩٨٩ قمت بتفقد سبعين كنيسة . لو كل واحدة منها اخذت يوما أو يوما ونصف اليوم بالاضافة الى تعب الاسفار ، لاحتاج الامر الى حوالى ثلاثة اشهر . وان امتنعت عن زيارة كل الكنائس فسيتعب الذين لم ازرهم ويعتبرون ذلك نقصا فى المحبة أو فى الاهتمام ..

مسألة اسفار رجال الدين مسألة عامة ومتعارف عليها سواء بالنسبة للمسلمين أو المسيحيين أو اى طائفة أخرى وانا حينما اسافر للخارج يستقبلوننى كمصرى وليس فقط كقبطى ، ومثال ذلك زيارتى الاخيرة للندن أقيم لى لقاء مع الجالية المصرية حضره عدد كبير من المسلمين و المسيحيين وحضره السفير المصرى ورئيس الجالية الاستاذ أحمد الجندى وكان حديثى معهم حديث مصرى لمصريين لاعلاقة له بمسائل دينية .

ايضا عندما اسافر لا أزور فقط الاقباط ولكن أيضاأزور سفاراتنا وقنصلياتناو أزور الجمعيات الاسلامية فقد زرت مؤخرا جامع لندن . وفى استراليا عقدت اجتماعا بين الجمعيات الاسلامية و المسيحية لكى يعملوا معا فى اتحاد من أجل مواطنيهم ومن أجل المهاجرين الجدد . نحن نعمل عملا عاما وليس فقط عملا كنسيا .

مثلت كنائس المهجر قوة اندفاع جديدة للكنيسة القبطية ،و للبابا شنودة ، ومثلت هذه الكنائس باقباطها قوة ضغط لا يستهان بها فى مراحل مختلفة من

عقد السبعينات ، خاصة تلك الفترة التى تشابكت فيها العلاقات بين مصر والغرب ، وصارت اكثرعمقا وتداخلا ولعب الاقباط فى الخارج وكنائس المهجر دورا مؤثرا فى العديد من الاحداث الداخلية التى تتعلق سواء باوضاع الاقباط، أو فى العلاقة بين الاقباط من ناحية والحكومة من ناحية أخرى والمسلمين من ناحية ثالثة - كما سنتعرض لذلك فيمابعد - ويمثل أقباط المهجر وكنائسهم قوة ذاتية جديدة مضافة الىالكنيسة القبطية المصرية وساهمت الى حد واضح فى تحديد وتدعيم الدور الجديد الذى لعبته الكنيسة اوحاولت لعبه

الارتباط بالمؤسسات الكنسية العالمية :

كما سبق وأن ذكرنا ، فان الكنيسة القبطية • اختارت منذ البداية أن تكون كنيسة مستقلة ،ومثلت أحد قطبى المسيحية منذ القرن الاول الميلادى ورغم كل الضغوط والاضطهاد الذى تعرضت له على مر العصور ، الا أن الكنيسة المصرية ظلت صامدةمحافظة على موقفها ، معتبرة نفسها الكنيسة الاصلية ، وفرضت على نفسها شكلا من اشكال العزلة الاختيارية حتى فترة قريبة ، حتى أن أحد الكتاب الامريكيين انتقد هذا الموقف من الكنيسة المصرية كما سبق وان اشرنا وقت البابا كيرلس السادس واشار الى انه يمكن للبابا كيرلس أن يستفيد من وضعية الكنيسة المصرية وربطها بالمؤسسات الكنسية العالمية ، وبالاقباط بالخارج حتى يمكن ان يشكلوا قوة ضغط على حكومة " ناصر" كما قال ، وبدا الامر وقتها وكانه تحريض للكنيسة على الدولة .

ولكن بعد سنوات وبعد ان قاد الكنيسة الجيل الجديد بقيادة البابا شنودة يبدو انه اقتنع بأن ارتباط الكنيسة القبطية بما لها من تراث طويل واصيل فى تاريخ المسيحية يمكن ان يدعم من موقعها فى الحركة المسيحية العالمية ، وفى نفس الوقت يدعم من موقفها ومن وضعها فى الداخل ، وخاصة مع التغيرات الجديدة التى سادت المجتمع ، و الاحساس بالخوف والقلق على المستقبل الذى سيطر على الاحساس القبطى فى مصر فى ذلك الوقت . لذلك بدأت الكنيسة المصرية فى اتصالها بالمؤسسات الكنسية العالمية ، متجاوزة بذلك كل ملاحظاتها أو مواقفها المتحفظة السابقة . وكانت اهم الدلائل -أو اكبرها- هو ذلك اللقاء الذى تم فى مايو ١٩٧٣ بين البابا شنودة و البابا بولس السادس بابا الفاتيكان -القطب الاخر فى المسيحية - والذى قال عنه البابا شنودة عندما سئل عما اذا كان قد توصل الى اتفاق مع البابا بولس السادس بشأن الخلافات المزمنة بين الكنيستين بقوله " نقاط الاتفاق هى الاكبر و الاهم وحولها كانت المباحثات المعمقة لتثبيتها و تنميتها . ان استئناف الحوار لا يعنى استئناف الماضى " وقد صدر بيان مشترك حول الاجتماع جاء فيه بعد الاشارة الى نمو العلاقات بين الكنيستين ، انهما يقرران انهما قد تقابلا تحدوهما الرغبة فى تعميق العلاقات بين الكنيستين و ايجاد وسائل واضحة المعالم وفعالة للتغلب على العقبات التى تقف عائقا فى سبيل تعاون حقيقى بينهما . واشار البيان الى ان للكنيستين الى حد كبير مفهوما واحدا للكنيسة . وباسم هذه المحبة فان الكنيستين ترفضان كل صور الخطف من كنيسة لاخرى ، ونبذ ان يسعى أشخاص من احدى الكنيستين الى ازعاج

طائفة من الكنيسة الاخرى . وان على الكاثوليك والارثوذكس ان يعملوا على تعميق المحبة و تنمية التشاور المتبادل . و اشار البيان فى النهاية الى رغبتهم الحارة فى التوصل الى حل عادل لازمة الشرق الاوسط .

وهكذا راح البابا شنودة يوثق علاقات الكنيسة القبطية ببقية الكنائس الاخرى فى العالم ، وراح يحقق تواجدا ملحوظا لكرسى مرقص الرسول . ويستعرض " هيكل" الزيارة التى قام بها شنودة للولايات المتحدة فى ابريل ١٩٧٧ فيقول: ذهب البابا شنودة الى الولايات المتحدة الأمريكية بعد شهر واحد من زيارة قام بها اليها الرئيس السادات لمقابلته الاولى مع الرئيس الامريكى الجديد "جيمى كارتر" . وصل البابا شنودة الى نيويورك يوم ١٤ ابريل ١٩٧٧ ، واستقبلته فى نيويورك مظاهرة كبيرة ترحب به . وكان برنامجه يتضمن زيارة الى واشنطن يلتقى خلالها بالرئيس كارتر ، وقد دعى معه الى هذا اللقاء مع الرئيس الامريكى الانبا صموئيل اسقف الخدمات و مسئول الكنيسة القبطية عن العلاقات الدولية . وطلب البابا ان يرافقه فى الزيارة الى البيت الابيض سفير مصر فى واشنطن الدكتور اشرف غربال ويمكن فهم الكثير عن ظروف هذه المرحلة و ملابساتها مما نشرته فى تغطية اخبارها مجلة "الكرازة " وهى مجلة تنطق عادة بلسان البابا ، وتعتبر شبه ناطق رسمى للمقر البابوى . فى عددها رقم ١٧ الصادر بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٧٧ نشرت مجلة "الكرازة "رسالة من واشنطن عن زيارة البابا للولايات المتحدة . كانت العناوين الكبيرة للرسالة كما يلى :

" استقبال حافل لقداسة البابا فى نيويورك ."
أول بابا للاسكندرية يزور الولايات المتحدة.

الصحف الامريكية تنشر أخبار الزيارة فى صفحاتها الأولى
قداسة البابا يلتقى بالرئيس كارتر فى البيت الأبيض بواشنطن .

الرئيس كارتريتحدث عن رحلة العائلة المقدسة الى مصر
كانت هذه هى العناوين الكبيرة ،أما الرسالة الصحفية بعد ذلك فقد جرت كما يلى :

" توجه قداسة البابا الى البيت الأبيض وبرفقته الدكتور أشرف غربال سفير مصر فى الولايات المتحدة حيث استقبلهما الرئيس جيمى كارتر فى المكتب البيضاوى ، و استغرقت المقابلة نصف ساعة . استفسر الرئيس خلالها عن أوجه نشاط الكنيسة القبطية التى كان مهتما بها وبتاريخها وآثارها القديمة ، كما تحدث عن رحلة العائلة المقدسة الى مصر .وقد قدم قداسة البابا للرئيس كارتر أيقونة ذات ثلاثة جوانب على أحدها تظهر القديسة مريم ،وعلى الجانب الثانى تعميد المسيح وعلى الجانب الثالث تظهر قيامة المسيح .وفى بداية لقاء الرئيس كارتر بقداسة البابا شنودة الثالث قال له انه سمع عنه كثيرا، وأن الرئيس أنور السادات قد مدحه كثيرا وتحدث عنه بكل تقدير اثناء زيارته للولايات المتحدة وعلق الرئيس كارتر على أيقونة تعميد المسيح وقال انه سوف يقنع الآخرين بشهادة التقليد القبطى بأن المعمودية تتم بالتغطيس . وفتح الرئيس كارتر بعد ذلك الباب للصحافة و التلفزيون ،

وقال للمندوبين (مندوبى الصحافة و التلفزيون) انه يعرف أن عدد الاقباط فى مصر سبعة ملايين. ثم انصرف الوفد وبقى قداسة البابا مع الرئيس كارتر فى حديث خاص حضره نيافة الانبا صموئيل و الدكتور أشرف غربال وذكر قداسة البابا (بعد المقابلة) أن الرئيس سأله عدة أسئلة عن الكنيسة القبطية ، وعن رأيه فى موضوع القدس لانه يعرف أن الكنيسة القبطية لها رأى فى المشاكل السياسية لاسيما الصراع العربى الاسرائيلى. وكان رد قداسة البابا أن اليهود ليسوا شعب الله المختار فى الوقت الحاضر ، والا ماذا نسمى الكنيسة المسيحية . فاذا كنا نعتقد أنهم شعب الله المختار فمعنى ذلك أننا المسيحيين لسنا مختارين من الله بالمرة . أما عن المشاكل السياسية فنحن نتحدث عن المبادىء العامة الاساسية الخاصة بالمشكلة ، أما التفاصيل فهى متروكة لرجال السياسة .

***

كان واضحا من هذا كله أن زيارة البابا تمت أولا بتنسيق مع الرئيس السادات ، ثم أنهاكانت ثانيا محاولة أمريكية للاتصال بالكنيسة القبطية على أعلى المستويات اتصالا مباشرا ، ثم انها كانت ثالثا محاولة لاستمالة الكنيسة القبطية و اطرائها بقول الرئيس كارتر انه يعرف أن عدد أقباط مصر وصل الى سبعة ملايين ثم انها كانت بعد ذلك كله محاولة لاستدراج الكنيسة القبطية الى موقف "ملائم" -من وجهة النظر الامريكية- فى مشاكل الصراع العربى الاسرائيلى وقضاياه .لكن البابا شنودة -كما ستظهر الاحداث فيما بعد -كان أذكى

مما قدر الاخرون ،كما انه كان اقرب الى الالتزام بمقادير مصر مما ظن هؤلاء الذين كانوا يخططون لشيء اخر.

***

اثار انتخاب البابا شنودة كأحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى ضجة كبيرة ، وذلك للانتقادات التى وجهت للمجلس من قبل ولتطور موقف الكنيسة القبطية من المجلس ، ورفع درجة تمثيلها فيه الى مستوى البابا ، بل و انتخابه كأحد رؤسائه . وقد شهدت مجلة "المجلة" التى تصدر فى لندن مساجلة بين الاستاذ فهمى هويدى الكاتب الاسلامى المعروف وبين البابا شنودة حول هذا الموضوع ، عندما تناول هويدى هذا الموضوع فى احد مقالاته بالمجلة ،واجريت بعدها حوارا مع البابا شنودة رد فيه على بعض النقاط التى وردت بهذا المقال . واورد فيما يلى المقال يتبعه الجزء من الحوار الذى يتعلق بهذا الموضوع .

يقول الاستاذ فهمى هويدى فى مقاله الذى اختار له عنوان "ماذا يريد منا مجلس الكنائس العالمى؟

المسألة القبطية ليست شأنا مصريا كما قد يظن . ولكنها ورقة فى معادلات وحسابات المنطقة تتفاوت اهميتها من حين لآخر وفى ظل المد الاسلامى الراهن ، فان تلك الورقة تكتسب وضعا خاصا فى حسابات الاخرين الذين يعنون بمستقبل المنطقة ،ولا اقول يخططون ويدبرون .من هذه الزاوية يصبح اختيار بطريرك الاقباط فى مصر الانبا شنودة ،ضمن رؤساء مجلس الكنائس العالمى أمرا لافتا للنظر ،وواجب التأمل و المناقشة .

الانبا أعلن فى الرابع من شهر مارس (أذار) الماضى فى ختام اجتماعات عقدها مجلس الكنائس العالمى بمدينة "كانبيرا" الاسترالية .ولم ينل حظه الكافى من القراءة لان عالمنا العربى كان مستغرقا فى حرب الخليج وآثارها القضية متعددة الاطراف ومن المهم ان نحدد أطرافها اولا ونتعرف عليهم ،قبل ان نناقش الحدث ومغزاه يأتى مجلس الكنائس العالمى فى مقدمة تلك الاطراف وبعده تظهر الكنيسة القبطية المصرية ، ثم يبرز دور الانبا شنودة الذى يتربع الان على راس تلك الكنيسة .تشير مختلف المراجع الى ان مجلس الكنائس ولد رسميا فى عام ١٩٤٨ ،فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ،وانه منذ ميلاده لم يكن بعيدا عن الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى، وانما كان احد الادوات التى تضغط بالكنيسة على النظم الشيوعية . من اجل تحقيق ذلك الهدف جرى حشد كنائس العالم وتجميعها تحت مظلة ذلك المجلس . الذى انعقد لواء قيادته للكنائس البروتستانتية الاوربية و الامريكية واصبح الان يضم اكثر من ٣٠٠ كنيسة من مختلف انحاء العالم غير ان فكرة تجميع الكنائس فى كيان واحد لم تكن وليدة تلك المرحلة ، وانما هى برزت فى اوائل القرن الحالى ، وكان لها هدف اخر فقد عقد فى سنة ١٩١٠ فى (ادنبرة) ببريطانيا المؤتمر الاول للارساليات العالمية مستهدفا توحيد نشاط الارساليات التى توفدها كنائس اوربا .الى بقاع الارض واسيا وافريقيا فى المقدمة منها وفى ذلك المؤتمر تشكل المجلس الدولى للارساليات لتنسيق العمليات التبشيرية بالدرجة الاولى

بعد تلك المرحلة ظهرت محاولتان للتقريب بين الجماعات المسيحية مختلفة المذاهب والمشارب • كانت اولاهما حركة عرفت باسم " الحياة والعمل"

وقد عقدت مؤتمرها الاول فى ستوكهلم سنة ١٩٢٥ ، والثانى فى اكسفورد بانجلترا سنة ١٩٣٧ و كان الهدف من هذه الحركة هو محاولة التقريب بين المسيحيين ذوى العقائد المختلفة على صعيد الحياة العملية ، وعلى اساس من الاخلاق المسيحية التى لا يثور حولها اى خلاف . الحركة - الثانية - حملت - اسم (الايمان و النظام) وكان محور نشاطها التقريب فى نطاق العقائد ذاتها وقد عقدت ثلاثة مؤتمرات فى لوزان (١٩٢٧) وادنبرة (١٩٣٧) و السويد (١٩٥٢).فى مؤتمرى عام ١٩٣٧ اللذين عقدتهما الحركتان فى اكسفورد و ادنبرة ،تقرر اندماج الجماعتين فى مجلس عام للكنائس ،يباشر مهامه على نطاق أوسع من محيط الفاتيكان. الذى يمثل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وحدها.

فى عام ١٩٣٨ ،بدا التخطيط لانشاء مجلس الكنائس الذى كان مقررا عقده فى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ ،ولكن ظروف الحرب العالمية حالت دون ذلك ،فاجتمع المجلس لأول مرة فى هولندا سنة ١٩٤٨ بينما انعقد الاجتماع الثانى فى ايفانستون بامريكا عام ١٩٥٤ .

تكتل سياسى واضح :

لدينا مجموعة من الشهادات التى تلقى الضوء على مهمة المجلس ورسالته التى سعى الى النهوض بها منذ

انشائه ،ويهمنا هنا ان نعيد قراءة تلك الشهادات حتى نكون على بينة من الأمر.. ففى رسالة بعنوان "مجلس الكنائس العالمى من واقع تاريخه"أصدرها فى عام ١٩٦٣ جماعة من المثقفين الاقباط فى مصر ،وردت الشهادة التالية :"أن السياسة فى رأى مجلس الكنائس العالمى هى المجال الذى يتحتم على الكنائس فى دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ان تعمل فيه وليس جائزا للكنيسة ان تحدد نطاق عملها بتوجيه الافراد دينيا ولابد من معارضة الكنائس التى تمتنع عن التدخل فى سياسة الدول التى تحيا هذه الكنائس فيها ""لابد ان يكون واضحا أن المجلس وهو يتحول عن الموقف الذى تحدد فى أكسفورد عام ١٩٣٧ (بفصل الكنيسة عن سياسة الدولة)انما يعمل ذلك عن وعى وأصرار ففى مؤتمر تسالونيكى الذى عقده المجلس سنة ١٩٥٩ يرفض المجلس ان يطبق فى البلاد النامية نظام الفصل بين الكنيسة والدولة كما هو مطبق فى البلاد النامية بل يريد ان يجعل الكنيسة تقتحم فى الدول النامية نطاق نشاط الحكومات واختصاصاتها ،لان النظام الغربى القائم على الفصل بين الحكومة والكنيسة لا يمكن -فى رأى المؤتمر- تطبيقه فى الدول النامية "(ص١٩)

وخلص الباحثون الاقباط المصريون فى دراستهم الى النتيجة التالية :

"اننا لا نرى فى مجلس الكنائس العالمى الا تكتلا سياسيا يقوم على اساس دينى، ولا يقلل من ذلك انضمام الكنائس الارثوذكسية الاخرى اليه ، فهذه المجموعة لا تمثل الا اقلية ضئيلة تكتسحها اغلبية ضخمة من الاصوات

التى للكنائس الغربية البروتستانتية علاوة على ان استخدام هذه الكنائس الاخيرة لسلاح المعونات التى تنفقها الكنائس الموجودة فى افريقيا واسيا لابد و ان يؤثر على اصوات مندوبيها اثناء المداولات "(ص ٤٣)

للاستاذ محمد حسنين هيكل الكاتب المصرى المعروف شهادة اخرى سجلها فى كتابه "خريف الغضب" جاء فيها ما يلى :

"فالمجلس تألف سنة ١٩٤٨ ابان اشتداد رياح الحرب الباردة ،وكانت عملية انشاء مجلس الكنائس العالمى تعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة فى ان يقوم الدين بدور رئيسى فى الصراع ضد ما كانت هذه الجهات تسميه "الالحاد الشيوعى"وفى الحقيقة فان تلك كانت معركة سياسية وان تنكرت ببراقع الدين، بل ان التحقيقات التى جرت فى الكونجرس فيما بعد اثبتت ان مجلس الكنائس العالمى كان من الجهات التى حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الامريكية (ص ٣٤١)

" وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان يجلس وزير الخارجية اللاحق للولايات المتحدة الامريكية (جون فوستر دالاس) وهو شقيق الرئيس المزمن لادارة المخابرات المركزية الامريكية آلان دالاس . ومن فوق منصة الرئاسة فى جلسة تأسيس مجلس الكنائس العالمى كان كلام دالاس داعيا الى التأمل . كان من بين ما قاله : ان نبشر بالمسيحية فهذا معناه اننا نبشر بالحضارة الغربية "(ص ٣٤٢)وعلى حسب شهادة الاستاذ هيكل فان جمال عبد الناصر "كان يدرك المركز الممتاز للكنيسة

القبطية ودورها الاساسى فى التاريخ المصرى ، ثم انه كان واعيا بمحاولات الاستقطاب التى نشط لها مجلس الكنائس العالمى "(ص٣٤٥) حسب الشهادة نفسها فان الانبا صموئيل أسقف الخدمات فى الكنيسة القبطية كان اختصاصه يشمل الاتصال مع الكنائس الاخرى (الفاتيكان وكنتربرى)ومع مجلس الكنائس العالمى ،قد استطاع ان يحصل لبعض العائلات القبطية على توكيلات عديدة لاكبر البنوك خصوصا فى المانيا الغربية التى بدأت فى ذلك الوقت تلعب دورا ظاهرا فى نشاط وتمويل وتوجيه مجلس الكنائس العالمى بعد ان تأثرت الموارد الامريكية لهذا المجلس نتيجة لانكشاف علاقته بوكالة المخابرات المركزية الامريكية .. وحين قتل الانبا صموئيل مع الرئيس السادات فى حادث المنصة ظهر أن هناك حسابا باسمه فى أحد البنوك السويسرية مقداره ١١ مليون جنيه استرلينى، وكانت هناك فى نفس الوقت وصية من الانبا صموئيل تحدد ان هذه الأموال أموال الكنيسة ،و لا حق لاحد فيها غيرها "(ص ٣٤٧)

المفكر المصرى القبطى المعروف الدكتور وليم سليمان قلادة ، له شهادة ثالثة فى شأن المجلس أثبتها فى كتابه (الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية) الصادر فى سنة ١٩٦٨ ،وتضمنت ما نصه: ان دعوة مجلس الكنائس "تتجه فى صراحة تامة الى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثا فى سياسة بلادها وابتدع لاهوتية المجلس لتبرير هذا الاتجاه ، نظرية لاهوتية تقول بان نشاط الدولة فى كل نواحيه السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية هو تحت سلطان الله ،ولابد للكنائس من ان تبدى رأيها فى هذا النشاط ولابد من

الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية فى العالم (الغربى) ويصل التناسق بين اتجاهات المجلس و الاتجاه الغربى فى السياسة الدولية الى حد ان أحد الكتب التى أصدرها المجلس تضمن نظرية اجتماعية دينية تدعو الى ضرورة أجراء صلح بين العرب و اسرائيل " (ص ٦١ -٦٢)

للدكتور غالى شكرى الناقد القبطى المصرى شهادة اخرى ذكر فيها انه فى ديسمبر من عام ١٩٦١ عقد فى العاصمة الهندية نيودلهى المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمى ،وأصدر قرارا يبرىء اليهود من دم المسيح ويحذر الكنائس من التعليم المعادى لليهود .. وقد كان هذا القرار هو أداة الضغط الاولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة فى تبرئة اليهود من دم المسيح (الاقباط فى وطن متغير - القاهرة ١٩٩٠ -ص٦٦)

هذا هو مجلس الكنائس العالمى و الاطار الذى يتحرك فيه طبقا لشهادة الشهود.

تحفظات الكنيسة المصرية :

الطرف الثانى فى قضيتنا الذى هو الكنيسة الارثوذكسية المصرية ،كان لها تقليديا موقف أخر فبينما يتحرك مجلس الكنائس فى اطار مشروع سياسى أيا كانت طبيعته و اهدافه فان الكنيسة المصرية ظلت تتمسك برسالة روحية بحتة فضلا عن ان رصيدها التاريخى ظل مبنيا على استقلالها على الصعيدين الروحى و الوطنى و فى رسالة

اخرى لنخبة مثقفى القبط المصريين عنوانها "مجلس الكنائس العالمى من واقع قراراته "ايضاح لهذه النقطة على النحو التالى :

"من الامور البديهية فى المسيحية ان السيد المسيح له المجد ،لم يأت الى هذا العالم ليؤسس مملكة أرضية زمنية يحكمها هو وتخلفه فى حكمها كنيسته او رؤساؤها و هو ما أوضحه الانجيل بشكل حاسم (أورد الباحثون نصوصا عدة تعزز هذا الرأى فى مقدمتها قول السيد المسيح : مملكتى ليست من هذا العالم) - (ص ٥)٠: رسالة المجلس من واقع تاريخه . توضح الموقف على نحو اكثر تفصيلا فتقول : الكنيسة الارثوذكسية تبرأ من هذا الاقحام المغرض للدين فى الامور الزمنية و هى ترى فيه مسخا و تشويها للمسيحية يؤدى بها الى ان تكون فريسة لمحاولات الرجعية كي تستغل الدين ضد طبيعته لعرقلة التقدم. الكنيسة القبطية الارثوذكسية روحانية ، ترى نفسها قبل كل شيء جماعة عابدة لله. و لذلك تترك الكنيسة الارثوذكسية عامدة تفصيلات الحياة السياسية و الاقتصادية للمختصين .

أما ان يغتصب ما لقيصر لينسب زورا و خداعا لله. فهو عمل لا تراه كنيستنا الا على انه ردة "(ص ٣٧).

"و حين تواجه الكنيسة حركات التقارب بين الكنائس و الطوائف المسيحية ، فانها تؤمن بأن أساس العمل في هذا المجال هو الرجوع الى الايمان الرسولي المستقيم ، فليس هناك اى عامل يمكن ان يقرب بين هذه الكنائس وبعضها الا وحدة الايمان . و فى خارج هذا النطاق ، فان

العمل الذى يمكن ان يتم لا يسوغ وصفه بانه عمل مسيحي او كنسى ، انه تقارب نفعي بحت يخرج عن اختصاص الكنيسة و يجاوز امكانياتها" (ص ٣٧).

و للبطريرك الحالى ، الانبا شنودة ، مقالة نشرها فى سنة ١٩٥١ ، عندما كان "اسقفا للتعليم" تحت عنوان " راينا فى اتحاد الكنائس" - (مجلة مدارس الاحد - عدد ابريل) عبر فيها عن تلك الرؤية. قال فيها : نحن لا نؤمن بوجود كنائس كثيرة. و انما نؤمن بكنيسة واحدة هي جماعة المؤمنين ، الذين يؤمنون ايمانا مستقيما. اما الخارجون على ايمانها فانهم يبعدون. وهذا ما كانت تفعله الكنيسة الأولى ... كانت تخرج من عضويتها كل مبتدع مصر على بدعته و كانت تحرم الاختلاط بهؤلاء الهراطقة و الصلاة معهم.

اضاف الانبا شنودة قوله : "لا يليق اطلاقا بممثل الكنيسة المرقسية السليمة الراى (هى في هذه الحالة الكنيسة الارثوذكسية) ان يشترك في اجتماع ديني تحت رئاسة احد الخارجين عن الايمان الصحيح .

اعتبر الانبا شنودة ان الانشطة الاجتماعية والاقتصادية و السياسية التى تقوم بها الكنائس بتمويل من المجلس العالمى ، لا يمكن ان توصف بأنها عمل مسيحي كنسي ، لان هذا التعاون و ان كان بين كنائس ، الا ان المنظمة التى تضمها تكون " مثل اى هيئة عالمية تتعاون فيها مجموعة من الاجناس و الاديان و المذاهب لحل مشكلة اقتصادية او صحية او اجتماعية " و من الخطأ الاقتصار عى نسبة هذا النشاط الى المسيحية او الكنائس.

هذه النصوص تشير بوضوح الى امرين : تحفظ الكنيسة المصرية على الموقف العقيدى للكنائس الاخرى ، واتهام اتباعها بالخروج و الهرطقة ، ثم اعتراضها على تجاوز الانشطة الروحية الى القضايا السياسية و العملية. واذا كان الامر الاول محل اجماع رموز الكنيسة المصرية، فان الامر الثاني يتبناه تيار داخل الكنيسة عبر عن نفسه من خلال تلك المطبوعات التي اشرنا اليها.

هل هي نقلة جديدة ؟

ما الذي تغير فى موقف الكنيسة المصرية، حتى تنخرط فى انشطة مجلس الكنائس العالمى بصورة اوسع ، وحتى تدفع ببطريرك اقباط مصر الى سدة رئاسته ؟

اهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث فى المعادلة المتمثل فى الانبا شنودة شخصيا الذى تولى منصبه فى عام ١٩٧١ .

نجد اضواء كثيرة على دور الانبا شنودة فى قيادة الكنيسة المصرية، فى كتابين اصدرهما باحث مصرى مسيحى (بروتستانتى) هما : "المسيحية السياسية فى مصر" و"الاحتجاج الدينى فى مصر".

في ذلك الكتاب الاخير يقرر المؤلف، الدكتور رفيق حبيب، ان " الاحياء المسيحى السياسي يؤرخ له بتاريخ اعتلاء البابا شنودة الثالث لكرسى مارمرقس" (ص ١٦)

وفى كتاب "المسيحية السياسية" يشرح المؤلف الكيفية التى تطور بها الخطاب الكنسى فى مصر حتى وصل

الى مرحلة "خطاب المعارضة السياسية". الذي تمثل فيما اطلق عليه الانبا شنودة " العنف السلبى" وهو التعبير الذى استخدمه البطريرك فى رسالة له عنوانها " الحروب الروحية"!

لقد اتجهت الكنيسة الى اداء دور سياسي تحت قيادة الانبا شنودة. وهو دور تزامن و بروز ظاهرة المد الاسلامي في مصر، حتى يبدو و كان ظهور الانبا شنودة والتطور الذى احدثه فى رسالة الكنيسة كان تعبيرا عن الاستجابة لطبيعة الظرف التاريخي الذى مرت به البلاد.

غير ان ثمة تزامنا اخر يظل لافتا للنظر هو ان الكنيسة المصرية كانت في حالة اشتباك مع مجلس الكنائس العالمى فى طور الستينات ، الذى يعتبر مرحلة "التحرر الوطني" في المنطقة. حيث الانبا كيرلس، سلف البطريرك الحالي، من معارضى قيام الكنيسة المصرية بدور فعال في اطار اتحاد الكنائس، رغم ان مصر كانت ممثلة فيه .

بعد سنوات "الانفتاح" التي شهدتها مصر في السبعينات و التي تنامى معها النفوذ الغربي في المنطقة ، لاحت بوادر التصالح و التقارب مع مجلس الكنائس العالمي و توجت تلك العلاقة الحميمة بانتخاب الانبا شنودة واحدا من الرؤساء السبعة للمجلس الذين يمثلون مختلف كنائس العالم.

لقد ذكر الاستاذ هيكل في كتابه ان الصلات التي عقدتها الكنيسة المصرية بالخارج " اضافت - لها - احتمالات للنفوذ لم تكن موجودة من قبل" (ص ٣٥٥).

هل هو نفوذ مطلوب في مواجهة الدولة ؟
أم انه ثقل مطلوب في مواجهة المد الاسلامي ؟
و ما الذي يمكن أن يترتب على هذا الاحتمال أو ذاك في المستقبل ؟

الذي لا يقل عن ذلك أهمية ، ان الكنائس البروتستانتية الأوربية و الامريكية المسيطرة علي المجلس منذ انشائه ، مخترقة صهيونيا بعلم الجميع و اعتمادها على التوراة كنص ديني له نتائجه الخطيرة من وجهة النظر العربية .

هل يمكن ان تكون تلك الخطوة حلقة في جر الكنيسة المصرية الى تلك الساحة ؟

ثم ان علاقة المجلس بالمخابرات المركزية الامريكية التى اشار اليها الاستاذ هيكل تواتر الحديث عنها في مصادر عدة . و دوره في دعم حركة التمرد فى جنوب السودان. حتي هذه اللحظة يذكر عادة فى هذا السباق.

ان البطريرك المصري رمز مقدر و محترم ، و هو فوق الشبهة مافى ذلك شك، لكن تلك الملابسات التى ذكرناها يتعذر تجاهلها فى اللحظة الراهنة وجميعها تستحق المراجعة و التفكير العميقين .

***

اثار هذا المقال رد فعل كبيرا في الاوساط المسيحية والاسلامية ، وانتقد البابا شنودة هذا المقال و توقيت صدوره و قد سألته حول تغيير موقف الكنيسة من مجلس

الكنائس العالمى منذ انشائه عام ١٩٤٨ وحتى و قت قريب قائلا :

* ظلت الكنيسة القبطية المصرية على موقف متميز عن مجلس الكنائس العالمى الذى انشىء منذ ١٩٤٨ . الان وبعد حوالى ٤٣ عاما تاتى لتكون احد رؤساء المجلس بصفتك راس الكنيسة القبطية المصرية .. فيم التغيير؟

** هل هناك اساءة فى ان يكون ممثل الكنيسة القبطية احد رؤساء المجلس بدلا من ان يكون عضوا فى لجنته المركزية أو التنفيذية مثلا ؟ هل المهم موضوعيا هو الاشتراك فى المجلس ام درجة التمثيل فيه ؟
فاما اننا لا نشترك فيه اطلاقا ، أو اننا نشترك ويكون لنا فيه دور فعال مؤثر ... هذه نقطة .

و النقطة الثانية هى ان مجلسا على مستوى عالمى تنضم اليه حوالى ٣٠٠ كنيسة من اكثر من مائة دولة هل غيابنا عنه من الصالح أم أنه غياب مضر . حتى الكنيسة الكاثوليكية التى ليست عضوا فى المجلس ، لها مراقبون يحضرون جلساته ، كما يدعى اليه ممثلون لعديد من الاديان .

اننا نحرص ان تكون مصر ممثلة فى الهيئات العلمية ايا كان نوعها ، سياسية أو علمية أو اجتماعية أو صحية . فهل من الضرر ان تمثل فى هيئة دينية عالمية مثل مجلس الكنائس العالمى الذى له صلة بهيئات الامم المتحدة ، و يحضرها كعضو . لماذا لا نستفيد من وجودنا فى هذا المجلس . على الاقل نراقب عمله ، ونشترك فى

مناقشاته ، و يكون لنا تاثير فى قراراته ؟ ما الضرر؟ ان كنتم ترون ضررا فارجو ان تقولوه لى .و على مر تاريخنا فى عضوية هذا المجلس ، كان لكنيستنا تاثير ايجابى نافع لبلادنا . و الامثلة على ذلك كثيرة .

أما عبارة فيما التغيير.
فانا لست ارى اى تغيير قد حدث . انا ارى ان الكنيسة كما هى فى عضوية المجلس خلال عهود ثلاثة من الاباء البطاركة : البابا يوساب الثانى حتى سنة ١٩٥٦ ، والبابا كيرلس السادس حتى اخر سنة ١٩٧١ ثم البابا شنودة الثالث الى ايامنا هذه .

في عهد البابا يوساب الثانى كان مندوب الكنيسة القبطية هو القمص ابراهيم لوقا - منذ انشاء المجلس سنة ١٩٤٨ ، و كان القمص ابراهيم لوقا وكيلا للبطريركية . و صار مندوب المجلس هو القمص مكاري السريانى من سنة ١٩٥٤ و رقي اسقفا فى عهد البابا كيرلس سنة ١٩٦٢ و ظل مندوبا للكنيسة فى المجلس الى حين وفاته سنة ١٩٨١ . ثم صار مندوبنا فى المجلس هو نيافة الانبا اثناسيوس مطران بنى سويف الى هذا العام

اذن ليس صحيحا ان الكنيسة كان لها موقف ضد المجلس قبل البابا شنودة .فعلاقتها بالمجلس لم تنقطع مطلقا . و اجتماع الجمعية للمجلس ١٩٦١ لم يكتف فيه البابا كيرلس بمندوبنا القمص مكارى السريانى ، انما أرسل وفدا برئاسة الانبا يؤانس اسقف الخرطوم وقتذاك .

* مجموعة من المثقفين الاقباط اصدرت مجموعة من النشرات فى عام ١٩٦٢ تهاجم فيها مجلس الكنائس العالمى و تتهمه بدفع الكنائس للتدخل فى شئون بلادها - خاصة النامية منها - لماذا لم تتراجع الكنيسة عن موقفها بعد ان كشفت هذه المنشورات هذه الابعاد ؟

** هذه النشرات كانت نصف الحقيقة . و النصف الاخر ان قداسة البابا كيرلس السادس شكل لجنة لفحص الامر من كبار رجال الاقباط و رجال الدين ، و كشفت اللجنة زيف الاتهامات التى وردت فى تلك النشرات ، وردت عليها في كتيب من ٣٢ صفحة . و كنت أرجو انصافا للحقيقة ان اتى ذكر تلك المنشورات ، يأتى أيضا ذكر الرد عليها .

اما اتهام المجلس بدفع الكنائس الى التدخل فى شئون بلادها. فهذا فى الواقع ضد الدستور .

وهذه النشرات كانت فى الواقع ضد مندوب الكنيسة فى المجلس وهو القمص مكارى السريانى . وقد طبعت تلك النشرات فى اوائل اغسطس سنة ١٩٦٢ ،وترقى القمص مكارى الى اسقف باسم الانبا صموئيل فى أخر سبتمبر من نفس السنة . مما يدل على ان قداسة البابا كيرلس السادس لم يتأثر مطلقا بما ورد فى تلك النشرات . واستمر الانبا صموئيل فى تمثيل الكنيسة القبطية فى المجلس باذن البابا الى حين وفاته .

وأود ان اضيف انه لو كانت الدولة قد ارتأت أن لعلاقة الكنيسة بالمجلس أبعادا ضارة ، لكان موقف الدولة قد اختلف

* ما الذى تعنيه بذلك ؟

** يفتح البابا شنودة كتيبا عنوانه (حول مجلس الكنائس العالمى) ويقرا من احدى صفحاته "لما وقع الاعتداء الثلاثى على مصر أصدر رئيس ونائب رئيس اللجنة المركزية و السكرتير العام فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ قرارا أرسل برقيا الى الكنائس الاعضاء .. كان من نتيجة برقية المجلس هذه ان ثار الضمير المسيحى ضد دول العدوان فقامت الكنائس واحتجت على ذلك . وارسل المجلس معونات الى منكوبى بورسعيد فى ذلك الوقت . بل و اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا باعفاء هذه المعونات من الرسوم الجمركية بناء على مذكرة رفعها عبد اللطيف بغدادى وزير الخزانة فى ذلك الحين معربا فيها عن التقدير لمجهودات مجلس الكنائس والى جوار ذلك كان سفراؤنا فى الخارج يشيدون بأعمال المجلس . كما حدث فى اجتماع المجلس فى نيودلهى سنة ١٩٦١ حين اقام سفيرنا فى الهند الاستاذ احمد حسن الفقى حفلا لاعضاء مجلس الكنائس حضره حوالى تسعين من رؤساء الكنائس واشاد بقرارات المجلس التى تعمل على صيانة السلام وتحرير الانسان ، واذا كان المجلس كما اتهمته تلك النشرات بأنه يدفع الكنائس الى التدخل فى شئون بلادها ،فما الذى حدث عمليا من هذا التدخل قبل هذه النشرات فى بداية الستينات وما بعدها . وحين كتابة تلك النشرات لم يكن الانبا شنودة هو بابا الكنيسة ،بل كان راهبا يعيش فى مغارته فى الجبل .

* ولكن الايقع المجلس تحت تاثير قوى صهيونية ؟

** لو كان هذا الامر صحيحا لما أدان المجلس عدوان ١٩٥٦ الذى شاركت فيه اسرائيل ،هذا من جهة ومن جهة اخرى فان مندوب الكنيسة القبطية فى مجلس الكنائس نجح عام ١٩٥٤ فى اقناع المجلس بشطب اسم اسرائيل من تقارير المؤتمر و استجاب المؤتمر لذلك ونشر هذا الخبر فى صحيفة الاهرام فى ١ /٩ /٥٤ تحت عنوان "نصر كبير لوفود مصر" وكذلك نجح فى شطب عبارة شعب الله المختار فى نيودلهى وأقنع مندوب الكنيسة المصرية المجلس بأن اسم اسرائيل فى كتب العهد القديم لا علاقة له مطلقا باسرائيل الحالية كوضع سياسى .

* فى المقابل فان مجلس الكنائس هو الذى أصدر قرارابتبرئة اليهود من دم المسيح وهو ما استند اليه الفاتيكان فيما بعد ؟

** هذه المسألة قام بها كاردينال كاثوليكى من المانيا وكان الدافع الى ذلك عقدة الذنب التى يعانى منها الالمان تجاه اليهود . وكانوا يقصدون ان اليهود الحاليين لا علاقة لهم بذنب أبائهم منذ أكثر من ١٩ قرنا .نحن فى مصر عقدنا مؤتمرات كنسية كثيرة نهاجم فيها اليهود ونحملهم هذا الوزر وهذه المؤتمرات مسجلة وموقفنا كان واضحا .أيضا كنا نقول ان اليهود الحاليين لا يمكن تبرئتهم الا اذا اعترفوا بذنب أبائهم القديم وان لم يعترفوا فيعتبروا مشتركين فى هذا الذنب .أيضا أود ان اسجل اننى القيت محاضرة فى نقابة الصحفيين المصريين فى ١٩٦٥ وقت ان كان النقيب الاستاذ حافظ محمود وكان موضوعها "اسرائيل فى رأى المسيحية"

وهاجمت فيها اسرائيل بكل قوة وصدرت هذه المحاضرة فى كتاب وترجم الى العديد من اللغات .وعندما صرت بطريركا فى نوفمبر ١٩٧١ دعيت لالقاء محاضرة فى نقابة الصحفيين أيضا عن اسرائيل وكان النقيب على حمدى الجمال وهاجمت فيها اسرائيل .وأتذكر اننى عندما كنت فى امريكا فى ابريل ١٩٧٧ و التقيت بالرئيس الامريكى كارتر كان من أوائل الاسئلة التى سألها لى حول الكتاب الذى صدر باسمى مهاجما فيه اسرائيل فقلت له نعم لقد كتبت هذا الكتاب وقلت فيه ان اليهود ليسوا شعب الله المختار . وختمت معه المناقشة فى هذا الموضوع بقولى "لو كان اليهود شعب الله المختار نكون لا أنت ولا أنا من شعب الله "فابتسم الرجل وابتسمت وانتهت المناقشة فى هذا الموضوع و ايضا موقفنا من رفض الذهاب للقدس والحج لارضنا المقدسة بسبب خلافنا مع اليهود هو أمر معروف عند الكل

*ولكن ماذا عما صدر عن مجلس الكنائس فى نيودلهى؟

** من غير المعقول ان مجلس الكنائس العالمى يبرىء اليهود من دم المسيح. ونحن لم نسمع عن هذه المشكلة الا بعد الضجة التى أحدثها ذلك الكاردينال الكاثوليكى الالمانى .علما بأن الكاثوليك ليسوا أعضاء فى المجلس أما ان كان أحد اعضاء المجلس قد تناول هذا الموضوع قبل ذلك ، فأحب ان اسجل هنا أن اعضاء المجلس احرار فى ان يعبروا عن آرائهم الخاصة كما يشاءون ، دون ان يتقيد بها المجلس ، فلا تعتبر من قراراته ، ومن غير المعقول ان يتأثر الكاثوليك بما يصدر عن المجلس ، حتى لو حدث ذلك وهم ليسوا من اعضائه . واعتقد ان مشكلة يثيرها كاردينال كاثوليكى فى موضوع ضد ايمان

المسيحيين فى العالم اجمع ، لا يجوز ان تلصق بمجلس الكنائس الذى لا علاقة للكاثوليك بعضويته .

* هل تستطيع ان تؤكد وانت على يقين ان مجلس الكنائس العالمى لا يدفع الكنائس المسيحية وخاصة فى العالم الثالث-للقيام بدور سياسى وضاغط على حكوماته؟

** دستور المجلس ينص على انه لا يتدخل فى شئون الكنائس اطلاقا ولكل كنيسة ان تقبل او ترفض قراراته ولا يتدخل فى الشئون السياسية على الاطلاق واى من قراراته - التى هى فى الحقيقة توصيات اكثر منها قرارات - غير ملزم الا لمن اراد الالتزام بها. على انى احب ان اقول ان مجلس الكنائس له اعمال انسانية يجب ان يقوم بها مثل الدفاع عن حرية الانسان ، والعمل على اعانة اللاجئين ،و القيام باعمال الاغاثة فى البلاد التى تصيبها الكوارث ، والدفاع عن الشعوب التى تقاسى من التفرقة العنصرية ايا كان جنسهم او دينهم ..

وفى هذا الاطار قدم المجلس كثيرا من المعونات للبلاد النامية فى افريقيا واسيا و امريكا اللاتينية ، ودافع عن الاستراليين الاصليين فى استراليا ومن بين البلاد التى قدم لها المجلس معونات : الجزائر و المغرب واللاجئون العرب فقد قام المجلس بالعناية باللاجئين العرب فى الدول العربية ومن امثلة ذلك عنايته باللاجئين العائدين الى الجزائر فى بداية الستينات . و افتتح مكتبا خاصا بذلك فى مدينة قسنطينه وفى دار نعمة بمدينة الجزائر . ودفع لذلك ملايين الدولارات كما انه فى ظرف ٤٨ ساعة من حدوث زلزال فى اغادير بالمغرب قدم المجلس معونات للمنكوبين .

* فى أى اطار يقع دعم مجلس الكنائس العالمى لجون قرنق فى جنوب السودان ؟

** أنا لا اعرف الكثير حول هذا الموضوع وغالبا يكون الدافع انسانيا ايضا فهناك مجاعة فى جنوب السودان.

* من الواضح ان الكنيسة المصرية ارتضت منذ بدء مشاركتها فى مجلس الكنائس العالمى وحتى العام الماضى بمستوى معين من التمثيل .ما الذى دفعك الى التفكير للارتفاع بمستوى هذا التمثيل بمشاركتك شخصيا هل هذا تعبير عن طموح للعب دور اكبر ؟

** ان اختيار رؤساء مجلس الكنائس العالمى يتم دائما بالانتخاب فى اجتماع الجمعية العمومية التى كان اعضاؤها فى كانبرا هذا العام حوالى الف عضو بعد ترشيحات من لجنة خاصة ، كانت كنيستنا فيها مجرد عضو من حوالى ثلاثين عضوا .فليست المسألة اذن مسألة كنيسة تطمح الى رفع تمثيلها ،انما هى قرارات الجمعية العامة التى كان ممثلو الكنيسة القبطية فيها عشرة أعضاء من بين الف عضو . فان كان هناك تقدير خاص للكنيسة القبطية بكل تراثها وتاريخها، فان الامر يرتفع فوق مستوى أية رغبة فردية .

ولكن كان لابد -حسب تقاليد المجلس- ان يكون هناك من بين رؤساء المجلس من يمثل الشرق الاوسط، ومن يمثل الكنائس الشرقية القديمة .وكان يمثل الشرق الاوسط فى الدورة السابقة غبطة البطريرك اغناطيوس هزيم بطريرك الروم الارثوذكس فى انطاكية. وكان يمثل الكنائس

القديمة المطران جريجوريوس بنيودلهى . ولما كان الرؤساء وكافة القيادات يتغيرون كل سبع سنوات ، لذلك وقع الاختيار فى هذه الدورة على بابا الاسكندرية .

اما ارتفاع تمثيل الكنيسة القبطية ، فهذا لون من التطور الطبيعى لكنيسة قديمة عريقة اشتركت فى المجلس منذ ٤٣ عاما ، و ارتفع تمثيلها تدريجيا من القمص ابراهيم لوقا ، والقمص مكارى ، الى الانبا صموئيل الاسقف، والانبا اثناسيوس المطران ، ثم الى البطريرك نفسه • وهذا وضع طبيعى ، وبخاصة ان المجلس يضم كثيرا من رؤساء الكنائس وهنا اضيف انه اختير ايضا غبطة البطريرك بارثينوس بطريرك الروم الارثوذكس بالاسكندرية ضمن رؤساء المجلس ، ممثلا للعائلة الآخرى من الارثوذكس ••

وهنا نسأل : لماذا التركيز على البابا شنوده وحده دون سائر رؤساء الكنائس الاخرى الذين دخلوا فى رئاسات وقيادة مجلس الكنائس العالمى •وهل لو تجاهل المجلس بابا الاسكندرية ، كان يعتبر هذا الأمر مريحا؟

* على منصة الرئاسة فى الجلسة الاولى للمجلس بشر جون فوستر دالاس شقيق رئيس جهاز المخابرات الامريكية ووزير الخارجية الامريكى اللاحق •بشر فى كلمته بنشر الحضارة الغربية عن طريق المسيحية الايحمل هذا الموقف دلالة خاصة لديكم ؟

** المعتاد ان تدعى بعض الشخصيات الكبيرة فى البلد الذى يستضيف اجتماع المجلس ، ليلقى كلمة على منصة

الرئاسة ليرحب بالمجلس نيابة عن الدولة المضيفة فان كان فوستر دالاس قد دعى وتكلم ،فليس هذا بشىء غريب وفى البلاد الغربية وبخاصة امريكا يتكلم كل انسان كما يشاء ، ولا يلزم بكلامه أحدا . والمجلس لا يلتزم برأى دالاس ، الذى ليس عضوا فيه بل هو مجرد ضيف ، يتكلم عن الحضارة الغربية باسلوبه الخاص ، وحتى الاعضاء الغربيون لا يلتزم المجلس بحبهم للحضارة الغربية ، المجلس يضم كنائس من شعوب متعددة من كل قارات العالم ، ولكل شعب حضارته وثقافته وتقاليده . والمجلس يحترم ثقافة كل بلد ، ولايفكر اطلاقا فى ان يلغى كل ثقافات وحضارة العالم ، لكى ينشر الحضارة الغربية وحتى لو اراد ذلك ، أو اراد بعض اعضائه أو ضيوفه ، فنحن الشرقيين اصحاب الحضارة العريقة التى ظهرت منذ اكثر من خمسة آلاف سنة ، قبل اكتشاف أمريكا بآلاف السنين ، لا يمكن ان نتأثر بمثل تلك الاقوال .بل كثيرا ما نكون نحن العنصر المؤثر .

وسؤال أقوله : ما الذى أثر على حضارة الشرق وغيرها بعد عبارة دالاس منذ عشرات السنين ، اما الربط بين دالاس و المخابرات الامريكية و المعونات المالية ، فهذا أمر ننكره تماما .و المجلس يتلقى معونات مالية من الكنائس الاعضاء ، وبخاصة العينية منها . وربما الكنائس الالمانية تدفع الجزء الاكبر . وان كانت كنائس أمريكية غنية تتبرع فهى بلا شك لا تنتمى الى دالاس أو الى اخيه ، وانما لقيادتها الخاصة الحرة .

***

التميز وتأكيد الهوية

بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ظلت الكنيسة تؤكد فى سلوكها على ارتباطها بالدولة ، وذلك على المستوى العلنى والسلوكى ، ولكن فى ظل التغيرات التى افرزتها النكسة على مستوى الوطن ، و الاحساس بالصدمة ، ومع بدء صعود نجم الجيل الجديد داخل الكنيسة وتدعيم مركزه ، فان الكنيسة فى ممارساتها اليومية العادية ، كانت تجذب الجماهير اليها ، وكان هذا الاستقطاب هو البداية لمرحلة التميز على المستوى القبطى . وعلى مستوى الكنيسة ، وبمرور الزمن أصبحت الكنيسة هى الاقدر على الجذب من الدولة ، وبدا طرح مسألة الانتماء.وتزايد عدد الاقباط الملتفين ، أو المنضوين تحت لواء الكنيسة فى الازدياد .

ومع اعتلاء البابا شنودة لكرسى البطريركية ، ومع التوجه للعب دور جديد ومع بدء امتلاك الكنيسة لعناصر قوة جديدة ، أو اكتشاف هذه العناصر ، كان طبيعيا البحث عن أهم مصادر هذه القوة ، هذا العنصر هو البشر الجماهير، وكنيسة بلا جماهير هى حزب بلا اعضاء . وكان لزاما ان يتم تدعيم ارتباط الاقباط بكنيستهم ،وهو ارتباط يتخطى حدود الرباط الدينى التقليدى وقد كان المناخ مواتيا لتقوية هذا الرباط بعد ان تخلت عن دورها - أو عجزت عن القيام به كاملا- فى تدعيم انتماء الافراد لها . وقد لجأت الكنيسة الى عدة أساليب لتدعيم هذا الارتباط وكان ذلك عن طريق تأكيد التميز القبطى فيما يخص الاقباط وكنيستهم وعن طريق تنظيم الاقباط فى شكل جماعات مرتبطة اجتماعيا ببعضهم

وبالكنيسةو فيما يتعلق بالشق الاول ، فقد ركزت الكنيسة من خلال عظاتها على تاريخ الكنيسة المصرية وترسيخ مفهوم تمز الاقباط ، وكان تاثير ذلك مرتبطا بازدياد اقبال الشباب على الانتظام فى فصول التربية الكنسية واعطى البابا شنودة اهمية كبيرة فى تدريس اللغة القبطية ،باعتبارها اللغة الاصلية واللغة التى تقام بها الصلوات ،وتلقى بها التراتيل
وقد أدى الاهتمام المتزايد باللغة القبطية الى توجيه الاتهامات للاقباط و البابا شنودة بانه يسعى الى تاسيس قومية قبطية . وطبيعى ان هذا الامر ليس صحيحا على اطلاقه ، ولكن واقعيا فان هذا الاهتمام يؤدى الى ترسيخ مفهوم واحساس التميز لدى الاقباط .

حول هذه النقطة يقول البابا شنودة "من التهم التى وجهت الينا الاهتمام باللغة القبطية واننا بصدد تأسيس قومية قبطية ،وهو افتراء بشع لان كل مواقفنا وادبياتنا تؤكد دون لبس او غموض انتماءنا المصرى الى هوية واحدة تجمع الشعب المصرى كله وتثبت دون ابهام او لبس ولاءنا المطلق للحضارة التى تجمع كل الشعوب العربية . ولكن اذا كان قسم الاثار فى معاهد القاهرة يدرس اللغة القبطية ، فهل تعتذر الكنيسة عن تعليم هذه اللغة الخاصة بمن سيكونون علماء او كهنة يرتلون قداسا له الحانه المضبوطة على اوزان اللغة القبطية .

ويضيف البابا شنودة "اللغة القبطية مرتبطة بالالحان والموسيقى القبطية عندنا بعض القداسات والصلوات تم

ترجمتها للغة العربية ولكن بعضها لو ترجم فان اللحن يضيع تماما و الموسيقى القبطية هى جزء من تراثنا لا نستطيع ان نتخلى عنها ايضا هناك الكثير يحتفظون بلغتهم حتى لو كانوا اقلية فالارمن حتى الان يحتفظون بلغتهم وكذلك السريان فى سوريا وهى دولة عربية ، هناك يصلون بالسريانية . و اللغة القبطية هى تطور للغة الهيروغليفية القديمة ، ولو ضاعت يضيع معها تراثنا الهيروغليفى " . ويقول " نحن اقباط ، وسنظل كذلك طوال عمرنا ، وقبطى يعنى مصرى "

* واسأل البابا شنودة "ولكن الم يزدد اهتمامكم بتعليمها خلال الفترة الاخيرة ؟ .

** " يقول " مثلما ازداد الاهتمام بكل شىء

* " و اساله " الم يساوركم الخوف من ضياع الذات وكان هذا الاهتمام رد فعل لتأكيد الهوية فى مواجهة هذه المخاوف ؟"

** يقول البابا شنودة "الذات و الهوية عندنا تأخذ معنى روحيا صرفا ، كيف نصير صورة روحية مثالية ، كيف نكون انقياء القلب ، الهوية عندنا لها مفهوم روحى وليست مفهوما سياسيا ، الهوية عندنا ليست هوية سياسية او قومية أو عرقية ، هذه الامور لا تخطر على بالنا ، هدفنا فى الحياة ان نعد أنفسنا لابديتنا ولا يوجد اكثر من هذا " وقد تزايد فى هذه الفترة الحديث عن "الشعب القبطى" وكان أول من استخدم هذا المصطلح هو حبيب جرجس ، ابو مدارس الاحد .

* واسال البابا شنودة عن تفسيره أو تبريره لتزايد استخدام لفظ شعب عند الحديث عن الاقباط ؟

** يقول :"كلام اعتاد عليه الناس من زمن ، ولكنه لا يعنى شيئا ، وانا ارجو فى جو المحبة ألا تؤخذ العبارات بحساسية شديدة ، لاننا ايضا نجد من الجانب الاسلامى عبارات كثيرة جدا لا نأخذها بحساسية" من جانب اخر اهتمت الكنيسة بقضية تنظيم الاقباط وربطهم ببعضهم البعض و بالكنيسة ، فمن خلال مدارس الاحد و الاسر الجامعية استطاعت الكنيسة ان تنظم و تجمع الشباب فى مجموعات لكل مجموعة قائد فى كل جامعة و كلية توجد اسرة ، تضم الطلبة المسيحيين الدارسين فى كل كلية على حدة ، وهذا التنظيم قوى من ارتباط الشباب بالكنيسة . من ناحية أخرى كانت هناك تعليمات مشددة لان يقوم كل كاهن بمسئوليته فى الاهتمام بالعائلات القبطية التى تقع تحت رعايته ، واهتمامه بها يشمل كل مجالات الحياة .

هكذا تمكنت الكنيسة من تحديد عناصر قوتها الذاتية والمضافة ، وتعاملت معها بذكاء لتوظيفها فى علاقتها الجديدة ، ولتحقيق أهدافها . ولكن يظل السؤال ، هل تمكنت الكنيسة من تحقيق اهدافها فى اطار الارتباط والانتماء بالوطن ، ام انها فى مرحلة ما طرحت نفسها - بوعى او بدونه - كبديل لهذا الوطن ؟ .
واذا ما حدث ذلك احيانا فهل تتحمل الكنيسة وحدها مسئولية ذلك ام ان هناك شركاء ؟

من الواضح انه قد حدث خلط بين الاهداف والوسائل فى

بعض المراحل بحيث توقف الوضع عند حد الوسيلة ، ويضيع الهدف فى غمرة الاغراق فى الاختلاف حول الوسيلة ، فعندما كانت تعترض الكنيسة كانت تهدف من هذا الاعتراض الوصول لهدف معين مثلا التأكيد على المساواة فى المواطنة بين القبطى و المسلم ، ولكن ما كان يحدث ان الكنيسة تستغرق فى الوسيلة - الاعتراض - وتلقى تأييدا من بعض الاقباط ، وهنا يحدث الخلط بين الوسيلة و الهدف فيتوقف الامر لديهم عند حد الاحساس بالانجاز بالاعتراض ، وفى المقابل تقف الدولة فى مواجهة الاعتراض متجاوزة بذلك الهدف الاساسى من هذا الاعتراض فتتحول المسألة الى مواجهة بين الطرفين . ايضا فى اطار الرغبة القوية لدى الكنيسة فى ارتباط رعاياها بها لعبت الكنيسة فى بعض الاوقات دور المدافع عن حقوق الاقباط وبدت فى ذلك فى صورة الحريص على هذه الحقوق ، ولتأكيد هذه النزعة اظهرت الدولة كالمتساهل فى هذه الحقوق او المفرط فيها ، وأدى هذا -مع عوامل اخرى - الى طرح مسألة الانتماء وهو ما سنتعرض له فيما بعد .

فى اطار هذا الخلط وسوء الفهم المتبادل ، و الصراع على عناصر القوة ، كان حتميا الصدام و المواجهة بين الدولة و الكنيسة .

الفصل السادس

الكنيسة تواجه

* الكنيسة تواجه

امتلكت الكنيسة عناصر قوتها ، وبدأ مسلسل المواجهات بينها وبين الدولة ، وبعض عناصر المجتمع . وكان لكل عنصر من عناصر قوة الكنيسة دوره الذى سيبرز فى مراحل المواجهة المختلفة وسنقتصر فى معالجتنا على محطتين أو علامتين فى تاريخ العلاقة بين الكنيسة و الدولة ، ومن خلال هاتين الحالتين اللتين سنتناولهما كنموذج للتدليل نستطيع ان نطبق كل ما سبق الحديث عنه ، ونحدد كيف تفاعلت العناصر المختلفة من تغيرات داخل المجتمع ، و مؤثرات سياسية و اقتصادية و اجتماعية ومن تغيرات ايضا داخل الكنيسة من خلال تغير قيادتها ، و امتلاكها او اكتشافها و توظيفها لعناصر قوة جديدة مع اتساع لرقعة أهداف قيادتها . و كيف ساعد الخلط بين الوسائل و الاهداف ، و بين الاهداف و بعضها البعض فى تصاعد الامور الى حد المواجهة فى بعض الاحيان .

سوف نتوقف عند محطتين كما سبق الاشارة :

- الاولى تبدأ مع نهاية ١٩٧٦ و حتى الربع الاخير من ١٩٧٧ -و فيها عدد من الحوادث المتفرقة الذي يمكن جمعه ان يعطينا صورة واضحة الى حد ما حول الكنيسة وعلاقتها بالمجتمع .

- الثانية : الربع الاول من عام ١٩٨٠ .

ظهرت قوى جديدة فى مجال الدين الاسلامى و المسيحى وراحت تنتزع من هيبة و مكانة المؤسسة الدينية التقليدية بل ان هذه القوى الجديدة سيطرت بالكامل على الكنيسة القبطية ، و راحت هذه القوى تعتبر نفسها الممثل الحقيقى للاقباط او المسلمين واصبح الدين هو

القناة الوحيدة المفتوحة للتعبير عن الرفض . و كان لهذا الوضع فى الجانب الاسلامى صداه فى الجانب المسيحى، فقد خلق هذا الوضع حالة من التحفز لدى الكنيسة وقيادتها و يصف" هيكل" البابا شنودة فى ذلك الوقت بان قوته قد وصلت مداها فاصبح له وضع مستقل عن سلطة الدولة ، و توثقت علاقاته الكنسية باطراف متعددة في العالم ، و لم تعد الكنيسة فى حالة ضيق مالى ، و كانت قواعدها تتسع كل يوم فى عدد من القارات . فقد اصبح لها فى ذلك الوقت اربع و سبعون كنيسة قبطية جديدة وقام البابا شنودة برسم اسقف خاص يرعى شئونها ، ثم انه راح يكثف وجود الكنيسة القبطية فى القارة الافريقية ، وكان مجلس الكنائس العالمى مستعدا لان يشجع بعض اوجه هذا النشاط فى افريقيا . كانت البعثات التبشيرية الكاثوليكية و البروتستانتية تواجه عراقيل فى هذه القارة بسبب ارتباط نشاطها بالظاهرة الاستعمارية . أما الكنيسة القبطية فقد كانت مبرأة من شائبة الاستعمار ، وقد بدت كنيسة افريقية ، وهكذا فان آلافا فى زامبيا وفى ملاوى وفى كينيا - الى جانب النفوذ التقليدى للكنيسة القبطية فى اثيوبيا وضعوا انفسهم بسهولة فى رعاية البابا القبطى المصرى، وسرعان ما قام البابا شنودة برسم أسقف جديد من افريقيا اصبح مقره فى كينيا .

فى هذه الاجواء ، تصور العديد من الاقباط أن التطورات تدعوهم الى اتخاذ موقف جديد ، هذه التطورات مقصود بها على المستوى الاسلامى ، تصاعد المد الاسلامى والدعوة لتطبيق الشريعة ، وعلى مستوى الدولة التى لم تحسم موقفها من أى من القضايا المطروحة وعلى مستوى

الكنيسة التى باتت تشعر بقوتها . وهكذا كانت الدعوة الى مؤتمر يكاد يكون الاول من نوعه فى تاريخ مصر الحديث ، وعقد المؤتمر فى الاسكندرية فى ١٧ يناير ١٩٧٧ ،و صدر عنه بيان منع نشره وقتها ، وكان يقول: "دعت الضرورة الى عقد هذا الاجتماع فى هيئة مؤتمر لممثلى الشعب القبطى فى الاسكندرية ، وتفضل قداسة البابا المعظم الانبا شنودة بحضور جلسة الاجتماع الأولى بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٧٦ فى الكاتدرائية المرقصية الكبرى ، وبحث المجتمعون الموضوعات المعروضة ،كما استعرضوا ما سبق تقريره فى اجتماع اللجنة التحضيرية لكهنة الكنائس القبطية فى مصر الحاصل بتاريخ ٥ و ٦ يوليو ١٩٧٦ ،ووضع الجميع نصب أعينهم - رعاة ورعية اعتبارين لا ينفصل أحدهما عن الاخر :أولهما الايمان الراسخ بالكنيسة القبطية فى مصر ، والتى كرستها فى مصر كرازة مرقص الرسول ، وتضحيات شهدائنا الابرار على مر الاجيال . والامر الثانى الامانة الكاملة للوطن المفدى الذى يمثل الاقباط أقدم و اعرق سلالاته حتى انه لا يوجد شعب فى العالم له ارتباط بتراب أرضه وقوميته مثل ارتباط القبط بمصر "واشارت تفاصيل البيان بعد ذلك الى عدد من الموضوعات التى بحثها المؤتمر وكان من بينها "حرية العقيدة"و"حرية ممارسة الشعائر الدينية" ،"حماية الاسرة والزواج المسيحى" ،"المساواة وتكافؤ الفرص وتمثيل المسيحيين فى الهيئات النيابية" "التحذير من الاتجاهات الدينية المتطرفة" ثم توجه البيان الى السلطات بطلبات لالغاء "مشروع قانون الردة" و العدول عن التفكير فى تطبيق قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية على غير المسلمين ، و الغاء القوانين العثمانية التى تقيد حق بناء الكنائس

واستبعاد الطائفية فى تولى وظائف الدولة على كل المستويات ، وحرية نشر الفكر و التراث القبطى وتأييدا لهذه المطالب ،وكنوع من الاحتجاج الهادىء على اهمال تنفيذها ، فقد قرر المؤتمر ان تكون الفترة من ٣١ يناير الى ٢ فبراير ١٩٧٧ فترة صيام . -احد الاساليب الجديدة التى اتبعتها الكنيسة للتعبير عن معارضتها - ويظل المؤتمر منعقدا حتى تستجيب السلطات الى مقترحاته .ولم تكن أعمال المؤتمر فيما يبدو مقتصرة على حدود مصر بل تخطتها ليشارك فيها أقباط المهجر من خلال كنائسهم ،وقد بدا ذلك فى الرسائل العديدة التى تلقاها المؤتمر من الجماعات القبطية فى الخارج .

ووقعت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ، ويبدوانه فى غمرة هذه الاحداث ، تراجع موضوع المؤتمر و البيان القبطى الى حين ،وفى ٨ فبراير ١٩٧٧ التقى الرئيس أنور السادات بالقيادات الاسلامية و القبطية ، وذلك فى اطار لقاءاته العديدة التى التقى فيها بطوائف الشعب المختلفة بعد أحداث يناير ،ودارت مغازلة كلامية بين الطرفين سالسادات و البابا محورها الكنيسة المصرية الوطنية ووقوفها فى وجه الاستعمار و الصهيونية ووقوفها فى وجه المستعمر حتى لو اتى رافعا لواء الدفاع عن وحماية الاقليات .و التعايش السلمى بين الاقباط و المسلمين على أرض مصر .

وعندما سألت البابا شنودة عن حقيقة المؤتمر القبطى بالاسكندرية الذى اعاد للاذهان المؤتمر القبطى الاول فى ١٩١١ وعن مشاركته فيه قال "أنا لم أشارك فى مؤتمر الاسكندرية ، لقد حدثت اجتماعات متعددة لمناقشة عدد من الامور ،حضرت بعضها على مستوى المجلس الملى وعلى مستوى رجال القانون و القضاء اى انها كانت اجتماعات متخصصة ،ولم تكن اجتماعات شعبية ، لان الاجتماع الشعبى العام من الصعب انضباطه فاذا تلفظ انسان غير مسؤول بلفظ غير مسؤول ، يحسب علينا جميعا ، لذلك كانت الاجتماعات كلها على مستوى قيادات و متخصصين .
و المجلس الملى بالاسكندرية وبعض الاقباط اجتمعوا لمناقشة هذه القضايا . وقد حدث بينى وبين الدولة اتصال فى ذلك الوقت من خلال لقاء بينى وبين د. صوفى ابو طالب لمناقشة هذا الموضوع ، وحضر اللقاء الوزير البير برسوم سلامة و الوزير السابق كمال هنرى أبادير .. وقلت وجهة نظرى فى هذا الامر وقدمت مذكرة ايضا لتسليمها للرئيس السادات حول هذا الموضوع "

بعد عدة أشهر وفى شهر اغسطس ١٩٧٧ وفى أعقاب نشر الصحف لما معناه ان الحكومة برئاسة ممدوح سالم تنوى تطبيق الحدود فى الشريعة الاسلامية على المرتد عقد المجمع المقدس اجتماعا فى ١ /٨ /١٩٧٧ برئاسة البابا شنودة ، وأصدر قرارا بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة وقانون الردة وضرورة حل مشاكل الطائفة .واقترح بعض الاعضاء قيام المجمع بمسيرة تضم ابناء الطائفة تتوجه الى مقر رئيس الجمهورية و السفارات ووكالات الانباء للتعبير

عن استيائهم من اضطهاد المسئولين للمسيحيين -وفقا لمذكرة مساعد المدعى العام الاشتراكى لمحكمة القيم فى ٣ يناير ١٩٨٢ -الا انه أرجىء البت فى هذا الاقتراح لحين مقابلة الرئيس لمندوبى المجمع المقدس فى ذلك الوقت .وفى مطلع الشهر التالى التقى البابا شنودة باعضاء مجالس كنائس القاهرة وعدد من المطارنة بمقر الكاتدرائية المرقسية بالعباسية و اتخذ قرارا باعلان الصوم الانقطاعى ابتداء من يوم ٥ /٩ /١٩٧٧ تعبيرا عن رفض مشروع قانون الردة . وبالتوازى مع هذه الحركة فى الداخل كان للتكتلات القبطية و التى هاجرت و استقرت فى امريكا و استراليا تأثير كبير فى الضغط على الحكومة من الخارج ،اذ تحركوا متظاهرين ضد هذه التشريعات ،مستغلين كل وسائل الضغط المتاحة لهم من اعلان ،و اتصالات . ولم يهدأوا الا بعد ان أرسلت لهم قيادتهم الدينية فى القاهرة برقية تنبىء بزوال الازمة بعدما سحبت الحكومة مشروع القانون .

بعد عدة اسابيع من هذا التطور وفى ظل التوتر المتزايد بين الاقباط و المسلمين عقد الرئيس السادات اجتماعين فى استراحته بالقناطر الخيرية مع رجال الدين الاسلامى و على رأسهم فضيلة الامام الاكبر عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر ، و استغرق اجتماعه معهم حوالى الساعة و نصف الساعة ، ثم اعقبه باجتماع مع المجمع المقدس و على راسه البابا شنودة ، و استغرق هذا الاجتماع - طبقا لرواية البابا شنودة - أربع ساعات متصلة . و سوف نسرد هنا تفاصيل الاجتماع وفقا لرواية البابا شنودة ، و اهمية هذا الاجتماع تنبع من تلمس الاساليب الحوارية ، و المنطقية التى كانت الكنيسة تسوقها فى ادارة أزمتها

مع الحكومة ، و هى الادارة التى اتسمت بقدر عال من التوازن بين المرونة و المواجهة. ولكن حتى فى لحظات المرونة كان واضحا ان الكنيسة ليست على استعداد لان تتنازل عن حدود الدور الذى تعتقد انها احق بلعبه .

يقول البابا شنودة : عقد السادات اجتماعا معنا فى استراحته بالقناطر الخيرية فى سبتمبر ١٩٧٧ ، و قد حضر الاجتماع اعضاء المجمع المقدس و اثنان فقط من المدنيين هما ممدوح سالم رئيس الوزراء و موسى صبرى رئيس تحرير الاخبار .

عرض الرئيس السادات موضوع الخمسين كنيسة و قال : "البابا طلب منى ٤٠ و انا اعطيته ٥٠ كنيسة فانا تعليقا على هذا قلت له : يا سيادة الرئيس ان اتفاقك معى فى موضوع الكنائس كان اتفاقا نبيلا وكريما و ترك اثرا كبيرا فى نفوس الاقباط و قابلوه بالشكر و العرفان بالجميل و انا اعترف انك اعطيتنا فوق ما نطلب". و بدت الراحة على وجه السادات هذه اللحظة . و لكنى استطردت قائلا : المهم هل الاتفاق الذى بينى و بينك قد نفذ أم لا ؟ .

أولا : فى عام ١٩٧٣ اخذنا ٣٢ قرارا جمهوريا و فى عام ١٩٧٤ حوالى ١٧ قرارا جمهوريا و فى عامى ٧٥ و ٧٦ عندما اصبح سيد فهمى وزيرا للداخلية اخذنا ٥ قرارات و فى سنة ١٩٧٧ اخذنا ٤ قرارات فقط ليصبح عدد القرارات الجمهورية التى ووفق عليها طوال السنوات الخمس الماضية ٥٨ قرارا أما الاتفاق الذى بينى و بينك فلم ينفذ.

ثانيا : هناك بعض الكنائس حصلنا لها على قرارات جمهورية لم نستطع تنفيذها الى يومنا هذا .
و استفسر السادات عن أمثلة لهذه الكنائس :
فقلت : كنيسة مارجرجس فى راس البر و كنيسة التحرير فى امبابة و اضفت ان اكثر ما يمكن أن احصل عليه من السلطة التنفيذية فى البلد قرار جمهورى. فاذا لم استطع أن انفذ فماذا يكون موقفى .؟!

و سأل السادات : ايه اللى بيحصل لكم بالضبط ؟

قلت : سأضرب لكم مثلا بكنيسة العياط لأن رئيس الوزراء يعرف تفاصيل التفاصيل عنها . احنا قدمنا طلبا بخصوص هذه الكنيسة و قدمنا كل الأوراق المطلوبة منها عقد الملكية و خريطة المساحة و قد قامت وزارة الداخلية بكل اجراءاتها بمعرفة رجال الامن ووجدت ان كل شيء مضبوط فطلبت استصدار قرار جمهورى و صدر هذا القرار فى عام ١٩٧٣ ذهبنا لعمل الاساسات هاجمنا البعض بالعصى و البنادق ووقعت اعتداءات كثيرة و تم منع القيام باعمال الحفر وجاء المحافظ و رجال البوليس و النيابة و الهيئات السياسية .

السادات مستفسرا : ليه .. ليه ؟!!
علشان ايه كل ده ؟!

البابا شنودة : افتعلوا اشكالا قانونيا فى ملكية الأرض .. المحافظ قال اذا كان هناك نزاع و اشكال قانونى حول ملكية الارض يؤجل الموضوع الى ان ينظر القضاء فى هذا النزاع . وانتظرت طبعا .. القضاء

سيحكم لاننا نملك عقد ملكية الارض ولكن الى ان يحكم القضاء يكون قد مر ثلاثة او اربعة او خمسة اشهر .

فى هذه الاثناء قد يتم بناء جامع فى هذه المنطقة ويقال هل نهدم الجامع من اجل بناء كنيسة ؟ .. طبعا غير ممكن .. ابحثوا عن ارض اخرى وممكن القصة تتكرر وتتكرر فى اى مكان آخر . وقد مر على صدور القرار الجمهورى ٤ سنوات ولم تبن الكنيسة الى يومنا هذا ..

ويستطرد البابا : يا سيادة الرئيس ليس فقط ان الاتفاق الذى بينى وبينك لم ينفذ وليس فقط ان القرارات الجمهورية التى حصلنا عليها لم نستطع تنفيذها انما ايضا ان اى بناء نبنيه نطالب بقرار جمهورى من اجله بمعنى عندما نريد بناء حجرة للرهبان يطالبوننا بقرار جمهورى ..

ويستطرد البابا فى روايته لوقائع الاجتماع "عرضت على الرئيس نماذج اخرى لقرارات جمهورية حصلنا عليها ولم نستطع تنفيذها ، وكنائس اخرى تعرضت للاعتداءات فى البيطاخ بالاقصر و المحمدة بسوهاج ، والعوايسة بسمالوط . وكنت ابدا فى الكلام ، وبعدها يقف كل اسقف امام الرئيس السادات ويتحدث عن الاعتداءات التى حدثت لهم ، وكان رد فعل السادات وقتها بانه لاول مرة توضع امامه صورة كاملة عن الاقباط ، وقال "احنا نبتدى من جديد "ثم قلت للرئيس :يا سيادة الرئيس ، اننى اريد ان اسالك سؤالا لا بصفتك رئيس جمهورية وانما كانسان ، هل يصح ان ناس عايزين يعبدوا ربهم بطريقتهم الخاصة يظلوا اربع سنوات لا يجدون فرصة للعبادة ؟

وتساءل الرئيس : من هم ؟
قلت له : فى الخانكة .
وتساءل الرئيس مرة اخرى : كنيسة الخانكة لم تبن حتى الان ؟

وعندما اجبت بالنفى قال : ليس لدى مانع .
جدير بالذكر هنا ان الرئيس السادات فى خطابه فى ١٤ مايو ١٩٨٠ نفى تماما ان يكون قد وافق على بناء كنيسة بالخانكة وقال " واتقال لاولادى الاقباط حقائق مغلوطة عمدا ، مثلا قيل لهم اننى وعدت ببناء كنيسة الخانكة ولم اوف بوعدى ، ويهمنى ان يسمع ابنائى الاقباط وشعب مصر ومسيحيو العالم اننى لم أعد ، بل على العكس لانها -كنيسة الخانكة -كانت التحرش و التصعيد حينما طلبت منى البطريركية ان اصرح بها قلت : الا دى ، لن اسمح بها فى الخمسين اللى حا يتبنوا ، واى عدد حا يتبنى تانى وثالث لن اسمح فى الخانكة .. ليه؟! لانها اتخذت مادة للتشهير عمدا فى سوء قصد ، وليس لها اساس . ابنائى الاقباط بيسمعونى انا لم أعد ببناء كنيسة الخانكة . ولو ان فى الخانكة كنيسة واحرقت لبنيتها وافتتحتها بنفسى كما فعل عمر بن الخطاب حين هدم المسجد الذى قام مكان كنيسة لكى يعاد اقامة الكنيسة التى هدمت من أجل بناء المسجد "

***

نعود مرة اخرى لرواية البابا شنودة لوقائع اجتماع ١٩٧٧ . وسنعرض هنا لجزئية هامة حول رؤية السادات للدور الذى لعبه أقباط المهجر فى مناوأة الدولة ، ورد البابا شنودة أو تفسيره وتبريره لهذا الموقف ، ونفى أى صلة أو وصاية للكنيسة عليهم فيما يتعلق

بالشئون السياسية . يقول البابا شنودة :
واصل السادات حديثه بانه لا يحب ان يكون تحت ضغوط وانا اعتب على البابا والمجمع ازاى أولادنا فى الخارج يتكلموا ضدنا .. ازاى يشكونى لكارتر .. وبدا يقرأ تقارير كثيرة وصلت اليه من بعض سفارات مصر بالخارج .

كان الرئيس السادات منفعلا جدا .. قال بيشتكونى لكارتر .. وكارترله عندى ايه ..ده أنا أوقفه عند حده .. دى شئونى الداخلية ،لقد شعرت بانفعاله الشديد قلت للسادات : يا سيادة الرئيس ممكن أكلمك عن الاقباط فى الخارج .

قلت :أول حاجة عايز أقولها ان بعض الاقباط يمكن ان يكون عندهم عامل نفسى .. بعضهم خرجوا من مصر بعد ان شعروا انهم لم يأخذوا حقهم فى التعيين أو الوظيفة أو الترقى .. هذا عامل نفسى لا نستطيع ان نتجاهله وهؤلاء الان يعيشون فى مناخ سياسى معين غير المناخ الذى نعيش فيه .. يعيشون فى مناخ من الديمقراطية .. يستطيعون فيه ان ينتقدوا رئيس الجمهورية علنا .. يستطيعون ان ينتقدوا الرئيس الامريكى كارتر فى الاذاعة و التلفزيون و الصحف دون ان يستطيع احد ان يحاسبهم ولكن نحن نعيش فى جو شرقى له تقاليده ومنها احترام الرؤساء أولى الامر منهم . الجو الديمقراطى عندهم يختلف كثيرا عن الجو الديمقراطى فى بلدنا فاذا اردنا ان نحكم عليهم فلنحكم عليهم من حيث الجو الديمقراطى الذى يعيشون فيه .

وقلت للرئيس : اولادنا فى الخارج قاموا باعمال كبيرة

من اجل مصر وقدموا الكثير فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ويعلم الله مقدار الجهد الذى بذلوه واضفت الناس دول بيحبوا مصر وبيحبوك افرض انهم قلقوا من اجل مشروعات قوانين موجودة خافوا منها على اهلهم ممكن نطمئنهم وينتهى الامر ولا تزعل منهم هذا الزعل .. نحن نحبك ونشعر انك تبذل جهدا كبيرا من اجل البلد وبنقول من وراك كلام عيب نقوله فى وشك .. استراح الرجل لهذا الكلام ..

وقلت : سيادة الرئيس انت عاتب علينا فلتسمح لنا ان نعتب عليك

السادات: تفضل

قلت له : أليس الاقباط قطاعا فى البلد انت مسئول عنهم فلماذا لا تجلس معهم وتبحث مشاكلهم ؟ انت بتقعد مع الصيادين و الفنانين و الطلبة و العمال وناس كتير بتقعد معهم لماذا لا تقعد مع الاقباط ..؟ عندما تقعد معنا ونحكى لك مشاكلنا بتحلها واحنا بنستريح وانت بتستريح .. اما عندما لا تجلس معنا فالامور بتكبر وبتتصاعد وبتتعقد .. ايه رايك لو انك قعدت معنا ولو مرة كل عام ..

السادات : ما عنديش مانع .. انا موافق وليكن فى عيد الفطر من كل عام . وبدا يسود الاجتماع جو من الود وروح الفكاهة و الضحك ، وعلق احد اعضاء المجمع المقدس على موافقة الرئيس فقال وتجيب لنا كعك يا ريس .

ضحك السادات وقال : سأجيب لكم كعك !!
ويقول البابا شنودة : عندما عاتبنا الرئيس على مسألة الصوم بأعتباره محاولة لاثارة الناس ، وكنا قد صمنا خمسة أيام فى نهاية أغسطس قلت له : يا سيادة الرئيس ، صومنا عبادة ، وليس سياسة ، هو صوم موجه لله وليس موجها للناس "وخرجنا من هذا الاجتماع بعد ان قلنا للرئيس كل شيء عن أحوالنا ، وعن معاناتنا ، ووعدنا الرئيس باشياء كثيرة لم ينفذ منها شيء للاسف.

***

شهدت الفترة التالية جوا من التوتر المتزايد بين الاقباط و المسلمين ، وكان الميدان الرئيسى لهذه الصدامات ، الجامعات و المدن الجامعية ، خاصة فى الصعيد ، وارتبط ذلك بتزايد نشاط وحجم الجماعات الاسلامية ،و التى كان لها صدامات متعددة ومواجهات مستمرة مع السلطات وتزايدت فى تلك الفترة ظاهرة حرق الكنائس ، والاعتداءات المتبادلة بين بعض الاقباط وبعض المسلمين .

ارتفعت حرارة هذا التوتر طوال سنتى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ ويصف الاقباط تلك الفترة بانها شهدت تصاعد الحوادث ضدهم بشكل مثير ، وشجع السادات بتهاونه الجماعات الاسلامية على الاعتداء على المسيحيين -كما يقول موريس صادق فى"محاكمة البابا شنودة" ..وصلت الامور الى ذروتها فى مطلع عام ١٩٨٠ ،مع أعياد الميلاد، وكما يصف د. ميلاد حنا هذا العام بانه من الاعوام الحزينة فيما يتعلق بالوحدة الوطنية بين المسلمين و الاقباط ،ففى ليلة عيد الميلاد اى مساء ٦ يناير ١٩٨٠ وقعت عدة أحداث طائفية ، تسبب عنها بعض الحرائق فى بعض الكنائس ،

وذلك قبل ساعات من القاء البابا شنودة لعظته فى الاحتفال الذى سيقام مساء نفس اليوم بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية .وكان من نتيجة هذا التصعيد ان قامت الكنيسة بأكبر مواجهاتها ضد النظام و الدولة مستخدمة فى ذلك كل عناصر القوة التى امتلكتها ، وكان ذلك فى عيد القيامة عندما قرر المجمع المقدس الغاء الاحتفالات بالعيد ،و القاء البابا شنودة لخطاب غاضب عارض فيه فكرة ان تكون الشريعة الاسلامية اساسا لقوانين تطبق على غير المسلمين ، وابدى مخاوفه من ان الدين يوشك ان يحل محل الوطنية واعلن فى خطابه الذى القاه يوم ٢٦ مارس ١٩٨٠ ان صلوات عيد القيامة لهذه السنة لن تقام كنوع من الاحتجاج على اهمال ما تقدم به الاقباط من طلبات ، وعوضا عن حضور قداس الجمعة الحزينة ، فقد قرر البابا انهم سوف يذهبون الى احد الاديرة فى الصحراء يصلون من اجل الخلاص مما يعانونه من ضغط ،واصدر امره الى رجال الكنيسة بألا يتقبلوا التهانى بعيد القيامة من اى مسئول رسمى تبعث به الدولة لتهنئة الاقباط بهذا العيد كما جرت العادة .

***

لعله من المناسب ان نتوقف قليلا عند احداث هذه الايام من العام ١٩٨٠ لنستعرض بعض التفاصيل حول هذا الحادث ، ورؤية الاطراف المختلفة له . وتجدر الاشارة الى اهمية استحضار كافة العناصر التى سبق ان تحدثنا عنها حول عناصر قوة الكنيسة ،و التغيرات التى سادت المجتمع و الكنيسة على السواء ، ونحاول ان نقرا الاحداث من هذه الزاوية .

عندما تحدثت مع البابا شنودة حول هذه الايام ، كان مازال غاضبا عندما يتذكرها رغم مرور اكثر من عشر سنوات ، ويتساءل "هل تظن ان الاقباط يغضبون او يتعبون بدون سبب . او لسبب تافه ،او لحالة فردية ، عندما اجتمع المجمع المقدس فى ذلك الوقت كان كل اسقف يقف فى المجمع يتحدث عن الاحداث التى وقعت فى ابرشيته ، لقد قلتها يوما لحسن ابو باشا عندما زارنى فى الدير ، الجماعات التى لديها الجرأة لتقتل رئيس الجمهورية علنا وسط قواته المسلحة ،هل تستكثر عليها أن تقتل قسيسا أو تحرق كنيسة ،لماذا تصفوننا بتصعيد الامور، وانتم شاهدتم ما حدث بانفسكم ؟"

على الجانب الاخر يعتقد البعض -وهم غير قليلين -بان هناك عناصر من الاقباط تحاول عن طريق صلاتها الدولية ان تجد ولاءات لها خارج الوطنية المصرية ،أى ان الخطأ كان موزعا بين المسلمين و الاقباط .وهذا الرأى يأتى ردا على مخاوف البابا شنودة من ان الدين يوشك ان يحل محل المواطنة .

وسوف نستعرض رواية أحداث تلك الفترة من شخصين كانا نجمى الصراع فى تلك الفترة من صراع ذاتين، هما الرئيس السابق أنور السادات ،و البابا شنودة . ولعل رواية الوقائع من وجهتى النظر المتناقضتين ستساعد فى اجلاء الصورة وتفسير كيفية تفاعل العناصر المختلفة فى تلك الفترة للوصول الى حدود المواجهة بين الكنيسة والدولة .

قرر الرئيس السادات ان يقبل المواجهة و التحدى من

البابا شنودة ، الذى وصل بالامور الى الحد الاقصى للتصعيد بالغاء الاحتفالات ، واعلان اعضاء المجمع المقدس عن استعدادهم لان يدخلوا "عصر استشهاد جديد من أجل ديننا و الثبات فيه " وذلك تعليقا على قانون الردة .و انتهز السادات فرصة احتفالات ١٥ مايو ، والقى خطابا فى مجلس الشعب ذكر فيه ان لديه معلومات عن المطامع السياسية للبابا شنودة الذى يريد ان يكون زعيما سياسيا للاقباط فى مصر ، ولايكتفى برئاسته الدينية لهم ،وان البابا وفقا للتقارير التى لديه يعمل من اجل انشاء دولة للاقباط فى صعيد مصر تكون عاصمتها أسيوط .وعاد السادات الى أحداث ٧٢ ، واتهم قيادات فى الكنيسة بانها المسئولة عن أحداث الفتنة الطائفية منذ ١٩٧٢ وحتى ذلك الوقت .وقد مال السادات فى تفسيره لموقف الكنيسة ،الى المنهج التآمرى ، فقد كان فى اعتقاده وفقا لما جاء فى خطابه ان هناك مخططا قديما منذ تولى البابا شنودة كرسى البطريركية يهدف الى قيامه بدور زعيم سياسى للاقباط ، وان تنفيذ هذا المخطط بدأ بشكل واضح مع أحداث الخانكة ١٩٧٢ .وعلى الرغم من صعوبة وفهم اللهجة العامية التى كان يتحدث بها السادات عند قراءتها مكتوبة الا اننى أعتقد انه من المناسب فى هذا المجال ان نورد بعض فقرات من خطابه المذكور ،فالانفعال بدا واضحا فيه ، ومنطق المواجهة أكثر سيادة من منطق المصالحة ، وصراع الذات بين القطبين يمكننا تلمسه من خلال الخطاب ،وكذلك اسلوب ادارة الكنيسة لازمتها مع الدولة من خلال استخدامها لعناصر قوتها الجديدة أحسه السادات واغضبه وعلى الرغم من نفى البابا شنودة لاية صلة سياسية للكنيسة باقباط المهجر مثلا الا ان الدور الذى لعبوه

كان واضحا جليا ،وتوظيف الكنيسة له كان واضحا.
يقول السادات :
قبل ما امشي بقى اطلع اسافر الدور ده .. وانا رايح اقابل كارتر فى ابريل ده..انتم عارفين انه تحدد ليوم سفرى يوم الاثنين اللى كان شم النسيم .. وانتم عارفين ان الاحد اللى قبل شم النسيم عيد اللى هو عيد الفصح .. المرة دى التخطيط ..التصعيد كان غريبا .. ويظن بقى يستعجلوا .. حبوا يستعجلوا العملية .. ايام ٧٢ قالوا حريق كنيسة الخانكة ..ايامها بعت ..قلت لهم روحوا شوفوا ..وكلفت هنا المجلس .بعت لمجلس الشعب ..يا مجلس الشعب شكل لجنة تقصى حقائق .فشكل المجلس لجنة كان فيها مسلمين واقباط وقلت لهم روحوا الخانكة اذا كان فيها كنيسة انحرقت سأبنيها على حساب الدولة. اذا ما كانش انحرقت قولوا لى .وانا عارف ايه اللى فيها .لكن حبيت انه لازم تقصى حقائق .. وفيها اقباط وتيجى تقولها فى مجلس الشعب ويسمعها الشعب .. يقوم الناس يرتدعوا شوية .. وجت اللجنة وقالت أبدا مافيش كنيسة .. دا فيه أرض تملكها المطرانية وعليها شوية دكك ..وده كان أسلوب يتبعوه زمان علشان يتحايلوا على بناء الكنائس .. انه يحطوا دكك ويصلوا مرة و اتنين .. دى بقت كنيسة ..طيب يالله يروحوا قايمين بالجدران علشان هدم الكنيسة دى حكاية يعنى خطرة جدا فيروحوا قايمين بالجدران وخلاص ويعملوها من تحت ذقن الحكومة .. طيب انتم موش محتاجين من تحت ذقن الحكومة حاجة معاى ليه ؟لانه لما بيقولوا لى ٣٠ ، ٣٥ قلت لهم .. لا .. خمسين .

ما اتعمل سرا خلاص له تصريح خلاص انتهى .. كنيسة

الخانكة ..تلغرافات تجينى من كندا من امريكا .. من استراليا .. كلها طعن فى مصر وطعن فى مين فى شعب مصر علشان الاقباط . ايه الكلام ده؟ العيب ده؟ .. كنيسة الخانكة ماكنش فيه كنيسة فى الخانكة .. قبل ما اطلع الدور ده ابريل الشهر اللى قبل اللى فات ..شىء غريب.. الخانكة دى خلصنا منها ٧٢ . وفيه لجنة تقصى حقائق . الشعب سمعها ومجلسكم هنا ناقشها واعلنت .. ايه اللى رجعها تانى كنيسة الخانكة .. تلغرافات من كندا .. تلغرافات من امريكا .. تلغرافات من استراليا.. اضطهاد الاقباط فى مصر .. وبعدين زى ما قلت لكم حاسافر يوم الاثنين .. الحد عيد وعيد كبير .. عيد الفصح .. ارتفاع المسيح .. امعانا بقى فى المخطط قرار بعدم الصلاة فى العيد وبعدم استقبال مندوبين الحكومة .. ليه ؟!

لانه فيه اضطهاد للاقباط فى مصر .. التصعيد ماشى ومعمول ذروته يوم ما اكون فى الولايات المتحدة تتوزع منشورات وتطلع مظاهرات امام البيت الابيض .. امام الامم المتحدة وانا فى امريكا نرى ٧٨ بتاع كامب ديفيد ليه ؟ شوفوا بقى القرار بتاع الصلاة كان حيثياته ايه ؟ حيثيات القرار بتاع منع الاحتفال بالعيد وده امر عندهم الاحتفال ده خطير لما يلغى . ده شىء رهيب اتارى المطلوب ان العالم يحصل فيه رجه .

ويستمر السادات فى طرح تصوره للمؤامرة من وجهة نظره : قبل ما اسافر بتلات ايام لقيت ان راديو لندن وراديو امريكا حكى القصة و القرار . وقلت لرئيس الوزراء مصطفى خليل قلت له لا استنى اقف .. استنى لما يكمل

المخطط كله .. وقف اى كلام كان بياخد ويدى دكتور مصطفى ..قلت له لا..لا قف ..ليه..؟ لان حيثيات القرار.. القرار اللى مش ها اوصفه الابعد ما نسمع حيثياته علشان نحكم جميعا ويسمعوه اولادى وبناتى من الشعب القبطى .. الحملة زى ما قلت .كان مرسوم لها ان نصل الى امريكا وهى فى القمة .. المنشورات بتوزع .. قدام البليير هاوس و المظاهرة فى الشارع قدام بيت الضيافة اللى انا نازل فيه ومظاهرة امام البيت الابيض ومظاهرة امام الامم المتحدة وتتوزع المنشورات.. وقد كان يتحجز نصف صفحة فى واشنطن بوست وقد كان .. كل ده عرفته قبل ما اسافر من هنا وعلشان كدة قلت لرئيس الوزراء : لا ستنى لان الموضوع بعيد و الموضوع مخطط كبير . تعالى اما نوصل مادام راديو امريكا ولندن قالوه كده، واللى بلغوه لهم .. انا عارف مين اللى بلغه لهم هذا الكلام علشان يخوفونا وعلشان نجرى و اجرى على كارتر واقول له ابدا والله وادافع عن نفسى ..

حيثيات القرار الذى صدر واللى قالتها القيادة اللى اصدرت هذا القرار للاقباط كتبوها فى المنشور ده اللى اتوزع يوم وصولى .قبل ما نسافر كان عندنا خبر بيه والدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء اعلنهم بهذا .. عندنا خبر بيه .. المنشور بيقول الكلام اللى وضعه المسئولون اللى اتخذوا القرار بعدم الصلاة علشان بناء حكاية فى العالم ضد مصر وضد انور السادات وضد الاسلام مفروض ان ده كله يصل الى القمة وانا هناك.

واستعرض السادات النقاط التى تضمنها المنشور المذكور و الذى جاء فيه -وفقا لرواية السادات -ان

المسلمين المتعصبين يضطهدون الاقباط فى مصر ، ويقتلوا ، وتحرق كنائسهم وتضرب بالقنابل .

النقطة الثانية ، الفتيات المسيحيات يخطفوا ويعتدى عليهم أو يجبروا على تغيير ديانتهم الى الاسلام بطريقة بربرية ، وقال السادات حول هذه النقطة :

وزير الداخلية جه عندكم فى المجلس هنا وحكى القصة هوه كل ولد ما يحب بت ويعملوا لهم بتاعة ويهربوا مع بعض تبقى الاسلام و المسيحية .. ماهيه الحكاية طلعت كده .. ولد بيحب بت وبعدين قالوا لا ده خطفها وجه وزير الداخلية جابهم وجاب واحد من اخواننا النواب هنا الاقباط سمع يبقوا يخطفوا ويعتدى عليهم ويتحولوا الكلام ده لمين؟ لمسيحى العالم وللرئيس كارتر وللامم المتحدة ثلاثة .. القسس والطلبة و العمال يعذبوا ويقتلوا .. انتم عارفين حكاية اسكندرية وفى اسيوط والمنيا .. حوادث جرت وبتجرى وهاتجرى لانها حوادث فردية وكله بيتحل والدولة قائمة بدليل انه ما طلبش حد منها تحرس كنائس المسيحيين يوم ٧ يناير فحمتها من غير ما حد يدرى ..

النقطة التالية : وفقا لرواية الرئيس السادات ان الحكومة المصرية لم تأخذ اى اجراء ضد هؤلاء القتلة والمهاجمين .

النقطة التالية : نداء للضمير العالمى لكى يساعد فى وقف المذابح لثمانية مليون مسيحى فى مصر .وفى الختام يطالب المنشور قارئه بالكتابة لاعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ و الرئيس الامريكى كارتر لاتخاذ اجراء .

ويستطرد الرئيس السادات فى طرقه للمخطط بانه درست مسالة عقد اجتماع سريع للمجمع المقدس للاحتجاج على اصدار مجلس الشعب للمادة الثانية من الدستور ودعوة الناخبين الاقباط الى عدم التصويت بنعم على تعديل الدستور .ولكن بعد معارضة من "ابنائى الاقباط"-على حد تعبير السادات- تقرر الانتظار الى ما بعد خطاب الرئيس فى ١٤ مايو .

ووصف الرئيس السادات الدور الذى قام به النواب الاقباط -الصفوة القبطية القديمة- بانه دور مشكور فى معالجة المسالة الطائفية ، على الرغم من وصفهم من قبل الكنيسة بانهم عملاء للحكومة .وقال السادات منتقدا بعنف ذلك الموقف "اعضاء مجلس الشعب من الاقباط لا يمثلون الاقباط اذا خرجوا عن قرارات المجمع المقدس ، وتبقى الحكومة معيناهم، وزورت لهم الانتخابات !!"

ويعود السادات مرة اخرى للتعبير عن مرارته من الاقباط المهاجرين وموقفهم ضده الذى رسمته لهم الكنيسة فى مصر -كما يعتقد السادات فيقول :"تانى المغتربين الاقباط يصعدوا نشاطهم فى مسيرات احتجاج فى المدن الدينية فى دول الاغتراب وخاصة نيويورك وواشنطن امام البيت الابيض .ارسال برقيات شديدة اللهجة للرئيس الامريكى كارتر على هذه التعديلات التى تؤكد الاحداث الاخيرة للفتنة الطائفية .كان الفتنة الطائفية ده اللى كان سببها موش التصعيد وموش السلطة الزمنية اللى عايزاها الكنيسة فى مصر جنب السلطة الدينية نشر حملة شخصية ضد الرئيس السادات بانه تزعم فى مصر

الجماعات الاسلامية .ويعمل على تحطيم الاقباط لكسب الشارع الاسلامى .. لحسن انا فقدته بعد صلحه مع اسرائيل واستضافته لشاه ايران انا يعنى طبعا فى ظروف صعبة ومهزوز .انا فقدت شعبيتى فيه لانه عملت الصلح مع اسرائيل اللى حداشر مليون قالوا نعم وخمسة بس قالوا لا .. عشرة قالوا لا عشرة الاف اقصد من ضمن الكلام وان انا باتزعم الجماعات الدينية فى مصر . كشف الحكومة المصرية امام الرأى العام الامريكى ،وهى انها تتبنى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ضد ارادتهم بينما تتجاهل عن عمد وسوء قصد الآم اقباط مصر نفسها، اتصال بالهيئات الكنسية الدولية (الفاتيكان) .. مجلس الكنائس العالمى . مجلس الكنائس الامريكى.. القيادات الدينية المسيحية وشرح القضية القبطية لهم بعد اكراه الاقباط على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للتشريع المصرى . تشكيل لجنة من المغتربين وبعض الكنائس المسيحية الاجنبية و العربية لمتابعة ظروف اقباط مصر فى ظل موجة التعصب الاسلامى "

واشار السادات الى الدعوة التى ترددت فى ذلك الوقت لعقد مؤتمر عالمى لبحث أوضاع الاقباط فى مصر فى ضوء تعديل الدستور و النص على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للقوانين وقال السادات " ولجنة الاعداد لهذا المؤتمر بالاسم عندى اهى قدامى "

ويرد السادات بشكل واضح على كل الهجوم الذى وجه للمادة الثانية من الدستور بشكل حاد وواضح بقوله " طب اذا كانت المادة الثانية هى سبب كل هذا فانا اقول لابنائى الاقباط يسمعونى الان .. اقول لكم ولشعبنا اننى

يوم ان توليت الحكم فى مصر احكم كرئيس مسلم .انا قلت يجب ان نسمى الاشياء بمسمياتها مصر دولة اسلامية. ومش دولة اسلامية عادية ..لا.. ده لها مركز قيادى فى عالمها الاسلامى ومركز ريادة حيث حافظ الازهر على الاسلام طوال الف سنة بشهادة مسلمى العالم وكان يجب ان يعلم مثيرو الفتنة ان الضمانة الحقيقية للمسيحية فى مصر هو الاسلام .

لما اقول رئيس مسلم لدولة اسلامية ليس معنى هذا ابدا اننى لا أؤدى حق المسيحى قبل المسلم ولكن هذه دولة اسلامية من عهد البطريرك بنيامين وقت ان ارسل جميع المسيحيين لكى يعاونوا الجيوش العربية جيوش عمرو بن العاص .. أرسل أقباط مصر الأب بنيامين لمعاونة عمرو بن العاص لكى ينهى الاضطهاد الدينى البيزنطى لاقباط مصر ،وانا اقول انى رئيس مسلم لدولة اسلامية اعرف مسئوليتى ..الاقباط و اليهود المصريين مسئوليتى كالمسلمين تماما بنص القرآن "

ويؤكد السادات فى خطابه ان المنشور الذى اشار اليه لا يستطيع احد ان ينكر انه لم يصدر عن المسئولين فى الكنيسة فى مصر . وان هذا المنشور هو حيثيات قرار عدم الاحتفال بالاعياد ،وكل ما حدث انهم "ترجموه انجليزى وبعتوه" .واشار ايضا فى الخطاب الى ان الفلسطينيين ابلغوه انهم اكتشفوا ان الاقباط يحاربون الى جانب المارونيين فى لبنان وانهم اسروا ثلاثة منهم وفى نهاية الخطاب وصل السادات الى التهديد الواضح عندما قال انه كان على وشك اتخاذ اجراء عنيف فى الموضوع لولا ان خطابا وصله من فتاة قبطية صغيرة

تلتمس فيه عطفه وتناشده صبره ،وأخرج السادات من بين اوراقه هذا الخطاب الذى قال ان الفتاة بعثت به ،وراح يقرأ سطورا من صفحاته "يا أبى اننى اشعر انك غاضب وانا اقدم روحى فداءك واتمنى لو استطعت ان أضيف بكل سنوات ما تبقى من عمرى الى عمرك لتعيش دائما لنا" وطوى السادات الخطاب وقال معلقا "حينما قرات هذا الخطاب من ابنتى القبطية غيرت رأيى وقررت العدول عما كنت أنتويه " وعندما سأل البعض السادات عن القرار الذى كان يقصده قال " لقد كان قرارى ان أطرده" وعندما قيل له ان هذا غير ممكن لانه ليس من سلطة رئيس الدولة قال "لم اكن أنوى طرده بقرار منى كان الشعب هو الذى سيقرر ذلك عن طريق استفتاء على هذا الموضوع "

اتخذ السادات قراره المؤجل بعد اكثر من عام بقليل من خطابه المذكور ،وكان تعبيرا عن وصول الصدام الى ذروته ،وكان ايضا هذا الصدام تعبيرا عن النهج الخاطىء من كل الاطراف وتعبيرا عن الخلط الواضح عند قيادة الكنيسة بين الوسائل و الاهداف فى مراحل مختلفة وايضا تعبيرا عن ضيق صدر النظام فى بعض المراحل وعجزه عن احتواء كل ابنائه فى أطار وطنى واحد، ولعل غياب الانتماء الواضح فى تلك الفترة كان عاملا مؤثرا فى هذه التفاعلات .

***

البابا شنودة يعتقد من ناحيته ان ما حدث من الغاء الاحتفالات يعتبر أمرا طبيعيا جدا كرد فعل لما يلاقيه الاقباط من ايذاءات ،وتقف الدولة امامه بسلبية أو

بتشجيع احيانا ، ويعتقد البابا شنودة ان ما حدث لا يعتبر تحديا من الاقباط للسلطة . والغاء الاحتفال بعيد القيامة عام ١٩٨٠ جاء كقرار من المجمع المقدس بسبب الاعتداءات على الاقباط "لاننا كنا فى ظروف ضاغطة وحزن و الم شديد نتيجة للاعتداءات المتكررة على الاقباط ، ولم تفعل الدولة شيئا لحمايتهم ،ولم يتخذ السادات اى اجراء ضد المتطرفين "هكذا يقول البابا شنودة الذى اضاف "اديننا الصلاة ،ولكن كل ما فى الامر رفضنا قبول التهانى، انا و المطارنة ذهبنا الى الدير ،صلوا معى فى الدير ،ولم يكن هناك مجال لتلقى التهانى لا فى القاهرة ولا فى الاسكندرية ولا فى المحافظات لان الجميع صلوا فى الدير ،وقضوا العيد فى الدير "

ويضيف شنودة فى وصفه لاحداث تلك الفترة وكيفية ادارة هذه الازمة "اشتركت معنا الطوائف المسيحية الاخرى ، والتزمت بقرارنا فى بادىء الامر ،ثم بعد ذلك عندما اخذ السادات موقفا شديدا بدأ البعض يبحث عن مستقبله ووضعه ، وحاول السادات ان يستميل البعض على حساب الكنيسة القبطية .

اما موضوع اولادنا فى الخارج فما مدى سيطرتنا على اولادنا فى الخارج .. هناك اقباط مرتبطون بالكنيسة نستطيع ان نؤثر فيهم .. واقباط لا علاقة لهم بالكنيسة وهم سبب هذا الاشكال .فى وقت من الاوقات كان هناك بعض المصريين فى الخارج يشكلون ازعاجا ضد مصر ومصر بكل قوتها السياسية لم تفعل تجاههم شيئا فكيف يطالب البابا بأن يكون مسئولا عن كل الاقباط فى الخارج؟!!

ان السادات بهذا اللوم كأنه يعطى للبابا صلاحيات سياسية بالنسبة للاقباط فى الخارج فى الوقت الذى يلومه على التدخل فى السياسة فى الداخل .

الفصل السابع

الانتماء .. ولعبة شد الحبل

* الانتماء.. ولعبة شد الحبل

تعرضت الكنيسة المصرية بقيادة البابا شنودة الى العديد من الانتقادات للدور الذى رغب البابا أن تلعبه الكنيسة وقياداتها فى المجتمع وقد تركزت هذه الانتقادات بشكل اساسى حول معنى واحد، هو أن الكنيسة المصرية بدأت تلعب دورا سياسيا على غير المعتاد أو المطلوب منها . وانها بذلك باتت تشكل كيانا سياسيا يملك هامشا من الحرية فى الابتعاد عن سلطة الدولة ، مما يجعله فى موقف المحاور احيانا و المجابه أحيانا أخرى ، وقد تركزت فترات المجابهة خلال عقد السبعينات كله وحتى أغتيال الرئيس السابق أنور السادات ، وقد تناولنا بعض الاتهامات التى وجهها الرئيس السادات للبابا شنودة ولقيادات الكنيسة خلال تلك الفترة فى فصل سابق، وسنحاول فى هذا الفصل أن نتناول أهم الاتهامات و الانتقادات الموجهة للكنيسة ، وسنعتمد فى ذلك على بعض ما نشر وقتها أو بعدها من خلال الصحف و الدراسات التى تناولت تلك الفترة ،وأيضا وجهات نظر بعض المفكرين المؤثرين على ساحة العمل الفكرى و السياسى ،ومذكرة تقدم بها مساعد المدعى العام الاشتراكى الى محكمة القيم فى يناير ١٩٨٢ . ثم بعد ذلك سوف نطرح بعض التساؤلات على البابا شنودة و التى تتعلق ببعض هذه الاتهامات أو الانتقادات ليرد عليها .

وتجدر الاشارة فى البداية الى أن بعض هذه الاتهامات يمكن أن تكون قد سقطت بفعل تغير الظروف السياسية وبعض الرموز الفاعلةفى النظام السياسى وعلى رأسها اختفاء الرئيس السادات باعتباره كان العنصر الرئيسى المتفاعل مع البابا شنودة من ناحية أخرى وبالتالى فان المناخ الجديد اصبح متخلصا نسبيا من بعض عناصر التفجير، الاأن العديد من الانتقادات -خاصة فيما يتعلق

برغبة الكنيسة فى أداء دور الراعى و المدافع عن حقوق الاقباط،وبالتالى لعب دور سياسى ظلت موجودة.

***

بعد ان الغى الرئيس السادات القرار الجمهورى بتعيين الانبا شنودة بطريركا ،اقيمت عدة دعاوى قضائية من الطرفين من أجل الغاء هذا القرار ،وفى احدى هذه القضايا تقدم مساعد المدعى العام الاشتراكى بمذكرة الى محكمة القيم التى كانت تنظر تظلما من قرار الرئيس السادات. واحتوت هذه المذكرة على مذكرتين صادرتين من مباحث أمن الدولة وتقدم موجزا لأهم الاتهامات التى تحتوى عليها هذه المذكرة حيث تقول المحكمة أنه يستفاد من هذه الاوراق أن المتظلم "البابا شنودة "منذ أن تقلد الكرسى البابوى عام ١٩٧١ عمد الى الآتى:

أولا : تعريض الوحدة الوطنية و السلام الاجتماعى للخطر :

فقد بدرت منه وقائع محددة تهدف الى أحياء النعرة الطائفية التى تنادى بأن مصر دولة قبطية استعمرها المسلمون ،ففى خلال شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ التقى فى دير السريان بأسرة تحرير مجلة الكرازة التى يتولى رئاستها وطالبهم بأن يكون الهدف من أصدار الجريدة هو احياء الكيان الطائفى و اللغة القبطية واثارة مشاكل الاقباط على صفحاتها بصراحة وجرأة. وفى خلال شهر يناير سنة ١٩٧٥ انشأ فصولا لتعليم اللغة القبطية بالانبا رويس بالعباسية، كما أصدر تعليماته

الى الكنائس بانشاء مثل هذه الفصول وذلك بهدف احياء النعرة القديمة بأن مصر قبطية وان المسلمين دخلاء عليها . وفى خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٧٥ أصدر تعليمات للكنائس بعدم الاحتفال بعيد النيروز يوم ١٢ /٩ /١٩٧٥ و القى كلمة فى عظته الاسبوعية تضمنت ان الكنيسة حزينة جدا ولم يفسر البابا سبب ذلك- وعلى أثر ذلك رددت قيادات مدارس الاحد أن السبب فى ذلك هو مرور الاقباط بمحنة نتيجة اضطهادهم من المسلمين بالاضافة الى رفض رئيس الجمهورية مقابلة الانبا شنودة أكثر من مرة . وبتاريخ ١١ /١ /١٩٧٧ التقى بقساوسة محافظة المنوفية وناشدهم توعية أبناء الطائفة بزيادة النسل وحث الشباب على الزواج ،انطلاقا من ان مصر أساسا دولة قبطية استعمرها المسلمون مما ترتب عليه ان دين الدولة الرسمى أصبح الاسلام ،وانه كان يجب النص فى الدستور على الدينين الاسلامى والمسيحى معا، وناشدهم الاهتمام بالتبشير بالدين المسيحى و التحرك خارج الكنيسة بالإشتراك فى المؤتمرات السياسية وزيارة المواقع الحكومية والجماهيرية لاثبات الوجود المسيحى.

ثانيا : الحض على كراهية النظام القائم :
ذلك انه بتاريخ ٣١ /٨ /١٩٧٧ عقد المجمع المقدس اجتماعا برئاسته واصدر قرارا بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة الاسلامية وقانون الردة وضرورة حل مشاكل الطائفة، واقترح قيام أعضاء المجمع بمسيرة تضم ابناء الطائفة تتوجه الى مقر رئيس الجمهورية والسفارات ووكالات الانباء للتعبير عن استيائهم من اضطهاد المسلمين والمسئولين للمسيحيين الا انه أرجىء البت فيه انتظارا

لنتائج مقابلة الرئيس لمندوبى المجمع المقدس فى ذلك الوقت .كما أنه استثمر حادث مقتل القس غبريال عبد المتجلى كاهن كنيسة التوفيقية بالمنيا بتاريخ ٩/٣ / ١٩٧٨ وذلك بايفاد القمص انطونيوس ثابت وكيل بطريركية الاسكندرية الى المؤتمرات و المطالبة بمطالب الاقباط و التشكيك فى حيدة الشرطة و النيابة لاثارة وتعبئة مشاعر أبناء الطائفة ومعاصرة ذلك لمباحثات كامب ديفيد بهدف الضغط على المسئولين لتلبية مطالب الاقباط :وقام فى خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٧٩ بايفاد الانبا تادرس أسقف بورسعيد الى قبرص مع عدد من المطارنة بهدف تعبئة الرأى العام المسيحى الخارجى ضد السلطات و النظام فى مصر ومناشدة تجمعات الاقباط و الهيئات القبطية فى الخارج التدخل للضغط على المسئولين لمنع تطبيق الشريعة الاسلامية ،كما قام باستثمار حادث الاعتداء على ثلاثة من الطلبة المسيحيين بالمدينة الجامعية بالاسكندرية بتاريخ ١٨ /٣ /٨٠ وأوعز للقمص انطونيوس ثابت وكيل بطريركية الاسكندرية بعقد المؤتمرات مع الطلبة المسيحيين بهدف تعبئة مشاعرهم واثارتهم ضد المسلمين و المسئولين وكذا قيامه بدعوة المجمع المقدس للانعقاد وأصداره قرارا بعدم الاحتفال بعيد القيامة وعدم تقبل التهانى من المسئولين ومعاصرة ذلك لزيارة رئيس الجمهورية الاخيرة للولايات المتحدة الأمريكية وحث تجمعات الاقباط فى الخارج خاصة الهيئات القبطية باتخاذ مواقف معادية أثناء زيارة الرئيس وذلك بهدف الضغط على المسئولين لتلبية مطالب الاقباط .

ثالثا : أضفاء الصبغة السياسية على منصب البطريرك واستغلاله الدين لتحقيق أهداف سياسية .

ذلك انه بتاريخ ٢٤ /٢ /١٩٧٥ رأس المجلس الملى العام للاقباط الارثوذكس واصدر قرارا بأن تجتمع اللجنة القانونية بالمجلس لدراسة قانون الحكم المحلى للمطالبة بتمثيل الاقباط فى المجالس المحلية ودراسة قانون الاحوال الشخصية للمطالبة بتنفيذ شريعة العقد وعدم تطبيق الشريعة الاسلامية فى حالة اختلاف الملة واتفق على ارسال خطابات للمسئولين بالدولة للمطالبة بتمثيل الاقباط بالاتحاد الاشتراكى تمثيلا صحيحا وفى ١٩/٧ /١٩٧٥ عقد اجتماعا مع كهنة كنائس الاسكندرية بالكنيسة المرقسية وطالبهم بأجراء تعداد للمسيحيين فى الاسكندرية لاستكمال السجل الخاص بالتعداد بالبطريركية كما قام بتكليف الانبا بيمن- الاسقف العام وقتئذ- بالمرور على ابرشيات الجمهورية للاجتماع بأبناء مدارس الأحد بها وتكليفهم بسرعة الانتهاء من اجراء احصاء عددى للمسيحيين .وبتاريخ ٥ /١ /١٩٧٧ عقد اجتماعا لكهنة القاهرة ببطريركية الاقباط الارثوذكس بالعباسية و القى كلمة ناشدهم فيها سرعة الانتهاء من اعداد مشروع قانون الاحوال الشخصية الموحد للطوائف المسيحية لتقديمه للسلطة التشريعية للمطالبة بتطبيقه قبل الانتهاء من اعداد قانون الاحوال الشخصية للمسلمين وانتقد رجال القانون المسيحيين لعدم استثمارهم للمناخ الديمقراطى السائد فى التقدم بمقترحاتهم بشأن قانون الاحوال الشخصية للمسيحيين .وفى خلال شهر اغسطس سنة ١٩٧٧ وبمناسبة ما نشرته الصحف حول تطبيق قانون الردة عقد عدة اجتماعات لكهنة القاهرة ورجال القانون المسيحيين و المجالس لدراسة اثار هذا القانون على المسيحيين وضرورة التعبير الى المسئولين بصورة جماهيرية رسمية بأن هذا القانون مرفوض . وبتاريخ ١ /٩ /١٩٧٧ عقد اجتماعا بأعضاء مجالس كنائس

القاهرة وعدد من المطارنة بمقر الكاتدرائية المرقسية بالعباسية واتخذ قرارا باعلان الصوم الانقطاعى ابتداء من يوم ٥ /٩ /١٩٧٧ تعبيرا عن رفض ابناء الطائفة لمشروع قانون الردة . وبتاريخ ٢٠ /٢ /١٩٧٩ راس اجتماع المجمع المقدس لمناقشة قانون الاحوال الشخصية الموجه للطوائف المسيحية واشار الى انه حصل على موافقة الاقباط الكاثوليك و الانجيليين على القانون وان ذلك حقق نصرا له وللطائفة حيث اكد للمسئولين عدم وجود خلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة وطالب بتشكيل لجنة للرد على نشاط لُجنة المطبوعات الاسلامية ونقدها لبعض المعتقدات المسيحية . وبتاريخ ٢٨ /٧٩/١٠ أوعز الى القمص انطونيوس ثابت وكيل بطريركية الاسكندرية بالدعوة لعقد مؤتمر عام بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية يوم ١ / ١١ /١٩٧٩ لمناقشة موضوع تعديل المادة الثانية من الدستور وذلك للضغط على المسئولين واشعارهم برفض الشعب المسيحى لذلك وبتاريخ ٤ /١١ /٧٩ عقد اجتماعا بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون مع عدد من المطارنة ورجال الدين المسيحى لأعداد مذكرة تتضمن -اعتراضهم على تطبيق الشريعة الاسلامية - وتوجيه اللوم الى وكيل بطريركية الاسكندرية لتاجيله عقد المؤتمر الذى كان مقررا عقده بتاريخ ١ /١١ /١٩٧٩ مع القيادات المسيحية لموعد لاحق لمناقشات مجلس الشعب للموضوع وتكليفه وكيل البطريركية بتوجيه الدعوة لعقد مؤتمر مع اعضاء المجالس الملية الفرعية لأعلان راى الاقباط قبل طرح الموضوع للمناقشة على مجلس الشعب .

وفى ٧ /١٩٧٩/١١ عقد اجتماعا بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية حضره بعض المطارنة وعدد من اعضاء المجلس

الملى العام ومائة عضو من اعضاء المجالس الملية الفرعية لتقديم المقترحات المزمع ادخالها على المادة الثانية من الدستور لحماية الاقباط حيث وقع الحاضرون فى نهاية الاجتماع على مذكرة بموافقتهم على الاضافة المقترحة على المادة الثانية من الدستور ، وهى عبارة "بما لا يتعارض مع شرائع الاقباط" . وبتاريخ ٨ /٧٩/١١ عقد اجتماعا بالمقر البابوى بالعباسية مع رؤساء الطوائف المسيحية ومندوبين عن الكنائس الكاثوليكية الاجنبية لمناقشة تعديل المادة الثانية من الدستور كما اصدر تعليماته لمطرانية سوهاج بتكليف المثقفين من ابناء الطائفة خاصة المحامين بتحرير مذكرات تتضمن الاعتراض على تعديل المادة الثانية من الدستور . وفى نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩٧٩ التقى ببعض المطارنة بدير الانبا بيشوى بوادى النطرون ،ودار بينهم حديث حول تعديل المادة الثانية من الدستور ،وعلق بانه ينتظر نتيجة لقاءاته مع المسئولين بشأن الضمانات التى طلب ادخالها على تعديل المادة الثانية من الدستور لحماية الاقباط ، و انه فى حالة عدم تلبيتها ردد عبارة "حخليها دم للركب من الاسكندرية الى اسوان"

رابعا : الاثارة :

وفضلاً عما تقدم فانه فى ١٠/ ٧/ ١٩٧٢ عقد اجتماعا بكهنة الاسكندرية و طالبهم بالتحرك و اشعار الحكومة بهم للعمل على تحقيق مطالبهم وبمداومة الاتصال بممثلى الطوائف المسيحية الاخرى بالاسكندرية و احاطتهم علما بمظاهر الاضطهاد لضمان تعاطفهم . معهم وتاييدهم . وبتاريخ ١٧ /٧ /١٩٧٢ عقد مؤتمرا عاما لكهنة كنائس الاسكندرية لدراسة مشاكل الطائفة وذلك بدعوة منه ،

حيث قام بتوجيه بعض الكهنة للاعلان عن هذا المؤتمر ورفضه الاستجابة لطلب وزارة الداخلية بتاجيل الاجتماع لدواعى الامن بدعوى ان ائمة المساجد بالاسكندرية يهاجمون القس ابشواى- راعى كنيسة مارجرجس بالاسكندرية ويهددون بقتله، وفى ١١ /١١ /٧٢ عقد اجتماعا لكهنة القاهرة على اثر وقوع حريق بجمعية "اصدقاء الكتاب المقدس" بالخانكة، واصدر تعليمات لهم بالتوجه الى مقر الجمعية وتادية الصلاة فيها وافتراش الارض باجسادهم حتى الاستشهاد فى حالة التعرض لهم. ثم غادر القاهرة الى الدير عقب ذلك للظهور بمظهر البعيد عن الاحداث، ثم قام بدعوة المجمع المقدس للانعقاد واعلان الصوم الانقطاعى والحداد بالكنيسة احتجاجا على ذلك. وبتاريخ ١٣ /١١ /١٩٧٢ القى كلمة بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية بمناسبة مرور عام على تقلده الكرسى البابوى، تناول خلالها التنديد باحداث الخانكة و الادعاء باضطهاد الاقباط فى خلال شهر مارس سنة ١٩٧٣ وبمناسبة اهتمام الراى العام فى مصر بقضايا التهريب المتهم فيها رفله غرباوى وصادق غبور وآخرون عقد اجتماعا مع بعض المسئولين بمدارس الاحد، وحثهم على نشر شائعة فى اوساط ابناء الطائفة بالكنائس بان هذه القضايا طائفية والقصد منها الاضرار بسمعة المسيحيين. كما قام بالاعتكاف بدير الانبا بيشوى بوادى النطرون وعدم الاحتفال بذكرى تقلده الكرسى البابوى الذى كان مقررا الاحتفال به بتاريخ ١٤/١١/١٩٧٩.

***

فى صحيفة مايو الناطقة بلسان الحزب الوطنى، وفى اعقاب

خطاب السادات الغاضب فى ٥ سبتمبر ١٩٨١ ، نشرت يوم ٩/٧ /٨١ تحت عنوان "الذى لم يذكره الرئيس فى خطابه للشعب" قائمة من الاتهامات وصفتها بأنها أسرار وحقائق لم يذكرها الرئيس فى خطابه وسوف نورد بعض هذه الاتهامات على انه ينبغى ان نضع فى الاعتبار المناخ العام وقتها .تقول "مايو" "فى بداية عهده سلك الانبا شنودة سلوكا يتفق مع كل الشروط والتوصيات فرحبت الحكومة ،بل وشجعه الرئيس السادات شخصيا لكى يرتفع بالكنيسة المصرية الى المستوى اللائق بها. ولكن سرعان ما لاحظت الحكومة عليه بداية تحركات عكسية تماما بدأت بتكوين مراكز قبطية معارضة للحكومة فى الخارج وخاصة فى أمريكا وكندا وكان البابا يغذى هذه المراكز باخبار وبيانات مبالغ فيها وغير صحيحة لاثارة أقباط المهجر .وفى نفس الوقت ظلت المجلات الرسمية والنشرات التى تصدرها هذه المراكز القبطية حوالى عشر سنوات وهى تهاجم رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة شخصيا ، وتهاجم ايضا الجهات الاسلامية لالهاب روح التعصب والحقد والفرقة . ولم يصدر اعتراض واحد من البابا شنودة أو استنكار لانحطاط المستوى الخلقى لهذه النشرات . والبيان الوحيد الذى أصدره البابا جاء بعد تفاقم الحوادث وبعد ان تركزت الاضواء عليه كمحرض لهذه الجماعات واستمرت الصحيفة فى تعديد الاتهامات فذكرت حوادث الخانكة ،وأحداث أسيوط و المنيا والاسكندرية التى وقعت عام ١٩٨٠ ،والغاء الاحتفالات واتصالاته باقباط المهجر "لتحريضهم" ضد وطنهم على حد تعبير الصحيفة كما تناولت أيضا مدارس الاحد وأثرها فى انسحاب مجموعة كبيرة من الاقباط من الحياة السياسية والاجتماعية العامة لترتد الى مؤسسات الكنيسة التى

عمدت الى الانغلاق الطائفى ، وتحول الشباب المسيحى فى الجامعات و المدارس الى الاسر الدينية الخاصة بها .

***

العديد من الاتهامات التفصيلية السابقة قد تكون قد تلاشت مع تغير الظروف السياسية ،الا انه ما زال هناك من يعتقد فى أن الكنيسة مازالت تقوم أوتحاول ان تقوم بالدور الذى هدفت لان تلعبه منذ البداية ، وان ما يحدث الان هو فترة هدوء نتيجة لتغير الظرف السياسى كما سبقت الاشارة .

على هذا فان الاتهام الرئيسى من وجهة نظر البعض وهو محاولة القيام بدور سياسى ما زال قائما ،بل ويتم تدعيمه.عندما ناقشت هذه النقطة مع الاستاذ فهمى هويدى المفكر الاسلامى المعروف ،وحول رؤية البابا شنودة فى أن منها يتقوم به انما يقوم به من موقعه كراع للاقباط، وانه ما لم يفعل ذلك فانه سوف يتهم بالتقصير ،كانت وجهة نظر الاستاذ هويدى كالتالى "البابا شنودة ليس قنصل ولا سفير دولة انما هو قيادة روحية والا كانوا أطلقوا عليه قيادة سياسية ،فقد ظلت الكنيسة طوال تاريخها تنحاز لدورها الروحى كمرشد للضمير المسيحى،وعندما يتجاوز ذلك فانه يتحول الى زعامة لكيان انشاه اسمه الحزب المسيحى "ويضيف الاستاذ هويدى "عندما يضار مواطن مسيحى فهذه مسئولية الدولة و الوطن وليست مسئولية راعى الكنيسة ،وهو راعى ضمير وروح فقط وليس سفير دولة يدافع عن جالية أجنبية ، لانه لو قام بذلك فانه يكرس الطائفية"

وينتقد هويدى ممارسات البابا شنودة التى كرست -على

حد تعبيره- دور زعامة الفرد داخل الكنيسة القبطية الامر الذى ادى الى تراجع المؤسسة القبطية وتقلصها فى شخص البابا شنودة ،ودلل على ذلك بتراجع دور المجلس الملى ، وتحوله الى مجرد ديكور داخل المؤسسة الكنسية. ويؤكد هويدى على وجهة نظره فى ان الكنيسة دورها محصور فى المسائل العبادية فى حياة الناس ،ورعايتهم فى شئون دينهم و احوالهم الشخصية من زواج وطلاق وغيره ، وليس لها دور اطلاقا فى مسالة حماية الطائفة ، لان الطائفة كانت مسؤولية الوطن و الدولة ، وعندما تشتبك الكنيسة فى الوظيفة مع المؤسسات السياسية و الدولة فان ذلك يعنى ان هناك خللا ما ينبغى معالجته ".

يتفق الكثيرون مع هذا الاتجاه الذى ابداه هويدى،ليس فقط من المسلمين ولكن هناك ايضا بعض الاقباط سواء من العلمانيين او من رجال الدين -كما سبقت الاشارة اليهم.كل هؤلاء يعتقدون ان الكنيسة تجاوزت حدود الدور المفترض لها ،والتى دابت على القيام به تاريخيا ، وتعدته الى القيام بدور سياسى .

***

فى لقاءات مع البابا شنودة طرحت عليه العديد من التساؤلات و الاتهامات التى توجه للكنيسة ،ومن المناسب ان اضع اهم هذه التساؤلات و اجاباتها فى صيغة السؤال و الاجابة وذلك حتى يمكن تلمس موقف الكنيسة و البابا شنودة منها بشكل محدد واكثر دقة :

* هناك موضوع شائك ،يتردد فى اوساط بعض المسلمين، واعتقد انه يراود بعض الاقباط ايضا ولو على شكل حلم،هذا الموضوع هو ان الكنيسة المصرية تعتقد وتؤمن

بل وتعمل ،من اجل اثبات ان مصر قبطية ،وان المسلمين الموجودين بها هم غزاة وسوف ياتى وقت من الاوقات يخرج فيه هؤلاء الغزاه ،وتعود مصر قبطية مرة اخرى. هل تعتقدون او تعملون على تاكيد وترسيخ هذا المعنى لدى الاقباط؟

** نبحث هذا الامر .. الاسلام بدا فى القرن السابع ولاشك ان بلادا عديدة لم تكن مسلمة قبل دخول الاسلام فهل كل هذه البلاد ستنادى بالمثل .. وهل يكون هذا معقولا، ثانى نقطة كون ان نعتز بأن مصر وطننا لا يعنى هذا عداوة لاخواننا المسلمين و المسلمون ايضا يعتزون بوطنهم مصر ، كون ان بعض العرب دخلوا الى مصر وصاروا مصريين فهل معيشتهم فى مصر طوال ١٣ قرنا من الزمان لا يمنحهم الجنسية .. فى امريكا الجنسية تمنح بعد سبع سنوات .

الامر الاكيد اننا لم نناد بشىء من هذا وما هو الا اتهام خيالى وان وجد احد من الاقباط قال هذا الكلام فالبينة على من ادعى .

اما ان يكون اسم جريدة قبطية " وطنى" فلا ننسى ان هذه الجريدة شعارها قول لاحمد شوقى "وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى" واخدة عبارة من رجل هو احمد شوقى لتكون شعارا لها وكون انها تسمى مصر "وطنى" ليس معناه انه هو ايضا ليس وطنا للمسلمين لا نقدر ان نقول هذا الكلام يعنى عبارات لا داعى لها.

* يتردد انكم تسعون لاقامة دولة قبطية فى اسيوط ،ما حكاية هذه الدولة ؟

** هذه الشائعة سمعناها لاول مرة فى حديث للرئيس الراحل انور السادات ولم يقل ان هناك مخططا بل قال انها فكرة عرضت على البابا كيرلس الذى سبقني حينما كان فى زيارة اثيوبيا سنة ١٩٦٥ .فغضب لسماعها وترك اثيوبيا بسرعة ورجع . وقال الرئيس السابق ان هذه الواقعة لا يعرفها سوى ثلاثة : البابا كيرلس و الرئيس عبد الناصر و السادات شخصيا . وكان الاثنان الاولان قد تركا عالمنا الحاضر .وفى الواقع لدينا جواز السفر الخاص بالبابا كيرلس ويظهر منه انه بقى فى اثيوبيا مدة طويلة خلال الزيارتين ولم يقل لأحد ان شيئا من ذلك قد ورد وعلى اي حال فكل ما يفهم من حديث الرئيس السادات انها مجرد فكرة عرضت -ولست ادرى ممن- ورفضت تماما ،وهى لم ترق الى مستوى مخطط. وهى كلها قصص خيالية .فهل يعقل ان يترك الاقباط كل مقدساتهم المنتشرة فى مصر ليتمركزوا فى منطقة واحدة هى اسيوط؟ وهل وصلت السذاجة بالاقباط الى حد يتركون معه بلادهم وقراهم ليتجمعوا معا فى منطقة واحدة؟ وهل يمكن ان يتنازلوا عن مصريتهم التى عاشوا فيها آلاف السنين ويتركوا الكل الى الجزء ،اي ان يتركوا الانتماء الى هذا القطر كله لكي ينتموا الى جزء بسيط؟ وهل يمكن ان نقسم مصر الى ثلاث دول هى اسيوط و شمال اسيوط وجنوبها؟ ومن اراد السفر من احداها ينبغي عليه ان يحصل على تأشيرة دخول ليدخل الاخرى واذا قبل الاقباط هذا الطرح -ومن المحال ان يقبلوه- فهل تقبله الدولة؟ هذا امر خيالى وتفكير ساذج ،انها مجرد قصة اخترعت والقيت على مسامع الراى العام وهى لم تحدث بل و مستحيلة التنفيذ.

* لماذا يشكل البابا شنودة مصدر قلق ؟

** ليتك تسأل الآخرين ،انا شخصيا لم اسبب أى ضرر لاحد ،ان بعض الظن اثم ،والقرآن يقول "اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" .

لو كان البابا شنودة انسانا مهملا فى عمله كراع للاقباط هل كان سيمتدح على هذا الموقف ؟ولو قام بدوره المفترض كراع لهم تثار حوله الشكوك والاقاويل والاتهامات .

* لماذا كل هذا العداء بين السادات وبينك ؟

** انا لا اعرف من ناحيتى شخصيا انا لا اعاديه، ولكن ربما اراد ان اسكت عن كل ما يحدث للاقباط . حينما تسأل لماذا هذا العداء بين السادات وبينى تسأل ايضا لماذا هذا العداء بين السادات وبين كل القيادات فى عصره فلو كان عداء بينى وبينه فقط ربما له اسباب معينة لكن اذا كان عادى الكل فى عصره ،القيادات الاسلامية و الاحزاب السياسية و الصحفيين واساتذة الجامعة وهيئات اخرى كثيرة انا جزء من نسيج واسع من العداءات .

* فى تعبير هيكل .. قال ان هناك درجة او شكلا من اشكال التشابه بين الرئيس السادات و البابا شنودة كلاهما لديه الاحساس بذاته وكان طبيعيا ان يصطدم الذاتان ؟

** المسالة يا اخى ليست احساسا بالذات انا كنت امثل مجموعة من الناس ولا امثل ذاتى ولم يكن بينى وبينه شيء ذاتى انا امثل مجموعة من الناس اشعر بحرج امام ضميرى ان كانوا يعانون ،و انا لا ادافع عنهم .

* هل تعتقد انه كان عنده تخوف او غيره او شك من انك زعيم لطائفة وهو يريد ان يكون زعيما لكل الطوائف هل مسالة الزعامة يمكن ان تكون واردة فى اطار هذا الصراع؟

** لو اراد ان يكون زعيما لهم لاراحهم وان اراحهم كلهم لاحبوه وشعروا بفضله عليهم لانه اراحهم . وربما كان يظن انه يستطيع ان يعزل كل سلطة كبيرة فى البلد، فلم لا يكون البابا شنودة ضمن الذين يمارس معهم سلطاته .

* متى بدا قلق الاقباط من نهج السادات ؟

** اعتقد بعد ٧٧

* فى مفهومك من هو الزعيم ؟

** شخصية الزعيم هى شخصية الانسان الذى يمثل رأى الشعب ويحب الشعب و الشعب يحبه ويكون له تاثير فى قيادة هذا الشعب و الشعب يثق فى قيادته ويكون من اجل مبدا بمعنى ان يقود شعب من اجل مبدا يؤمن به الشعب وله شخصيته القيادية و الناس يحبونه وهو يحب الناس ويدافع عنهم . هذه شخصية الزعيم ومن امثلتها سعد

زغلول شخص يدافع عن فكرة في استقلال بلد والناس يحبونه وهو يحب الناس يستطيع ان يقودهم يضحى من اجلهم يبذل من اجلهم يشعرون بانه رمز ولا شك ان الزعيم هو رمز.

*بهذا المفهوم هل تعتبر نفسك زعيما للاقباط فى مصر؟

** لا انا رئيس دينى فقط كلمة زعيم فى الحقيقة تعبير اطلق على القيادات السياسية وليست الدينية لكن انا التزم كرئيس دينى بينى وبين الشعب الذى اقوده محبة متبادلة لكن على اى الحالات الرئيس الدينى مجاله اكثر من الزعيم .

* عندما يملك صفات خاصة وليس اى رئيس دينى؟

** عندنا فى الكنيسة المكانة التى للرئيس الدينى اكبر من المكانة التى لزعيم سياسى .

* هذا داخل الكنيسة ولكن بالنسبة لرعايا الكنيسة يمكن ان يختلف الوضع يمكن ان يكون للقيادة الدينية مكانة كبيرة فى الكنيسة ولكن فى نفس الوقت لا يكون له تاثير على الرعية التابعين لكنيسته هنا النقطة الفاصلة ؟

** الرئيس الدينى يعتبر راعيا وتعبير راع تعبير كنائسى عندنا البطريرك هو الراعى الاكبر للكنيسة ، الراعى الحقيقى هو الذى اينما يسير تسير رعيته من ورائه وان لم تتبعه لا يكون راعيا .

* يبدو ان المؤسسة القبطية المصرية تتراجع وراء شخص البابا شنودة .فلم يعد يظهر من المؤسسة سواه هل هو الشخص ام الظرف؟

** انا فى الواقع حرصت على أن اعطى فرصة للآباء المطارنة والاساقفة فى كل المجالات . فمثلا حينما انشيء مجلس كنائس الشرق الاوسط وكان له ثلاثة رؤساء من رؤساء الكنائس .جعلت الانبا صموئيل من رؤساء المجلس ممثلا لكنيستنا وحاليا يمثلنا فيه إثنان من احبار الكنيسة ، ومجلس الكنائس العالمي كان يمثلنا فيه الانبا صموئيل ثم الانبا اثناثيوس . ومجلس كنائس كل افريقيا يمثلنا فيه الانبا أنطونيوس مرقص . وحينما اسافر الى امريكا و استراليا آخذ معى الانبا بولا لحل مشاكل الاحوال الشخصية و الانبا موسى لرعاية الشبان وبهذه المناسبة انا اول من اختار اسقفا للشباب ليحمل عنى هذا العبء ، كذلك يكون معى الانبا بيشوى والانبا سرابيون للاهتمام بالنواحى القانونية للكنائس. وقد عهدت للانبا بيشوى برعاية كنائسنا فى المانيا .
وفى مصر اترك الحرية لكل الاساقفة بالقيام بالخدمة حتى فى القاهرة والاسكندرية وقد عينت نيافة الانبا بنيامين نائبا بابويا للاسكندرية ،وكل اسقف له خدمته فى مكان عمله ،ماذا افعل اكثر من هذا؟ واقول دائما كل شيء ينسب للرؤساء .تاريخ الكنيسة القبطية فى الكتب التاريخية القديمة يسمى تاريخ البطاركة ،وفى الكنيسة القبطية كل يؤدى دوره وانا احاول ان اعطى فرصة لكل العاملين.

انا لا اعرف لماذا التركيز على البابا شنودة ؟

لو اتيت الى كصحفى وطلبت حوارا منى و احلتك الى احد الاباء ،هل كنتم ستسرون لذلك ؟ ومع ذلك فلو اختفيت فسيكون السؤال لماذا إختفى البابا شنودة وهل وراء اختفائه سياسة ام هدف اخر ؟

* فى اطار الاتهامات باختفاء المؤسسة الكنسية وراء شخصك ،كان الحديث حول المجلس الملى ،اين المجلس الملي الان ،وما هى حدود دوره الان؟

** المجلس الملى يمارس كل اختصاصاته كمجلس ملى عندما انشىء المجلس الملى فى اللائحة الاولى له عام ١٨٧٥ و اللائحة الثانية عام ١٨٨٢ اعتبر البطاركة ان المجلس ياخذ اختصاصاتهم ، وكانوا ياخذون منه موقفا صعبا حسب القانون ،رغم ان القانون يقول بان البابا هو الذى يراس المجلس الملى الا ان الباباوات السابقين لم يحضروا ابدا اجتماعات المجلس الملى لانهم معارضون له كانه ياخذ اختصاصاتهم ، فكان الرئيس الفعلى للمجلس الملى هو وكيل المجلس الملى ووصل الخلاف لدرجة انه فى عهد البابا كيرلس اغلق المجلس الملي وطردوا اعضاءه كان هذا الكلام فى اواخر سنة ٦٧ او سنة ٦٨ الذى حدث ان جمال عبد الناصر عمل لجنة اسمها اللجنة المالية لادارة شئون الاقباط وظل المجلس الملى منحلا الى ان جئت وكان المطارنة يريدون ايضا ان يظل المجلس منحلا ،واحد الوزراء السابقين رفع دعوى لاعادة المجلس الملى ، القضية ضد وزير الداخلية وضدى انا ، انا قلت انا شخصيا لا يوجد لدى مانع ان يرجع المجلس الملى فماذا يضيرنى فى هذا انه ٢٤ عضوا يختارهم الشعب فى انتخابات وياتون لكى

يتعاونوا معى (ده كتر خيرهم)

اجريت الانتخابات وجاء المجلس الملى وانتخب الناس من شعروا بأنهم المجموعة المؤيدة للبابا قائمة من ٢٤ عضوا ورسمتهم شمامسة فى الكنيسة وصلوا معى وحضرت الجلسة الافتتاحية وبدأت الحفلة بأننى القيت كلمة روحية عن الخدمة وكيف تكون وعشت معهم كصديق وكأب يحبهم ولم اتخلف عن جلسة من جلسات المجلس وكان كل جلسة أدخلها اكون دارسا تماما الكلام الذى يقال فيها. نحن نأخذ قراراتنا فى المجلس بالاجماع وليس بالاغلبية ، بعد ذلك كانت كل انتخابات المجلس الملى تتم بنفس الوضع كلهم من أشخاص يحبون البابا ويحبون التعاون معه ويمارسون دورهم فى ديمقراطية كاملة فى اتخاذ القرار وفى محبة والبابا يحضر الاجتماعات ويتعاون معهم ،واخذ المجلس الملى صورة غير القديمة وانا ليه اخسر الناس ما اكسبهم ويبقوا اولادى وبيننا وبين بعض محبة لان زمان فى السابق كان المجلس الملى يجتمع بر ئاسة الوكيل ويأخذ قرارا قد لا يوافق البابا عليه فيدخلون فى أزمة وصراع ، الان البابا يحضر ويأخذون القرارات معا وهذا هو الوضع السليم.

* هل يمكن القول بأن الكنيسة اصبحت تمثل هيكلا منظما يجمع الاقباط ،بحيث باتت تشكل قوة ضغط على الحكومة؟

** لا احد يلومنا لان الكنيسة اصبحت منظمة، لكن النظام الذى فيها نظام داخلى وليس من اجل استخدامه خارج نطاق الكنيسة ، لم يحدث فى يوم من الايام أن كان هذا النظام وسيلة ضغط ، فى وقت من الاوقات كان وسيلة

شكوى ، لكن لم يكن وسيلة ضغط.

* ما هو حدود الدور التبشيرى الذى تقوم به الكنيسة القبطية فى مصر ؟

** أحيانا يطلقون التبشير على الوعظ ،و الوعظ مسألة عادية موجودة فى كل دين .لكن ان نقوم بتبشير يهدف لتحويل المسلمين الى مسيحيين فهذا غير صحيح على الاطلاق ،بل على العكس ،بعض الصحف الاسلامية تنشر أخبارا عن ان آلاف المسيحيين تحولوا الى مسلمين . ولكن اذا كانت هناك حالات معاكسة فانها تعد على أصابع اليد ،وهى حالات فردية لا تمثل خطرا اطلاقا على الاسلام . لكن بالنسبة للمسيحيين فهناك أعداد ضخمة ،واحيانا يكون بسببنا ،مثل بسيط لذلك موقفنا المتشدد من قضية الطلاق قد يدفع بعض الرجال لتغيير ديانتهم من أجل ان يتمكن من تطليق زوجته .نحن ننفى تهمة التبشير عنا تماما .كل ما نهدف اليه هو ان نثبت المسيحيين على ايمانهم .

* ما موقف الكنيسة من المسيحيين الذين يتحولون للاسلام؟

** فى غالبية الحالات تنقطع الصلة بهم ،الا لو حدث وضع استثنائى أدى الى رجوعهم ، مثلا بنت أحبت مسلما واسلمت وتزوجته ثم أختلفا فطلقها وعادت لديانتها هذا يحدث أحيانا ،ولكن لابد ان نتأكد من صحة الرجوع

* ما موقف الكنيسة من المسيحية التى تتزوج مسلما وتظل على ديانتها ؟

** فى غالبية الحالات بتنقطع عن الوسط المسيحى ، وفى حالات نادرة يكون لها صلة .

* و ما الذى يحكم هذا ؟

** غالبا لو كانت لها صلة قوية بالكنيسة لا تقدر أن تغادر المجتمع المسيحى بعد ما تتزوج و خصوصا عندما تكون مسيحية و أولادها مسلمين ... فيبقى موقفها منفصلا عن المجتمع المسيحى نهائيا و اعداد نادرة التى كانت ترجع بشىء من العاطفة بينها بين وعائلتها لكن فى الغالب يبتعدون .

* بيبتعدوا أم يعزلوا بقرار من البابا ؟

** هم أنفسهم يشعرون أنهم غير مقبولين و هم أنفسهم دخلوا فى وسط ثان و يصبحوا منقطعين عن الجو المسيحى نهائيا .

* هل يتم تحريض ضدهم لاهاليهم و هل يصل الامر الى حد القتل احيانا ؟

** حكاية القتل هذه كانت فى الجيل السابق ، الان يندر أن يوجد قتل من هذا النوع و لو كان قتل واحدة او اثنتين كان الباقى يخاف لكن الان لا يوجد قتل من هذا النوع . انا لم اسمع عن حادث قتل مثل هذا .

* هل تعتبر خارجة عن الكنيسة ؟

** طبعا .

* هذا ما يطلق عليه طرد من رحمة الكنيسة ، هل هذا تعبير صحيح ؟

** لا نستخدم هذا التعبير ، لكنها تمنع من ممارسة الشعائر الدينية فى الكنيسة .

* التعداد الرسمى يقول ان نسبة الاقباط ما بين ٦:٨٪ من التعداد فى الجمهورية و اعتقد ان الكنيسة بدات فى فترة من الفترات عمل تعداد خاص بالاقباط و لم يتم النشر عنه او لم يتكامل و لا اعرف ما الظروف التى تمت فيه ؟

** نحن لا نقيم تعدادا اطلاقا انما عندنا نسبة الافتقاد و ليس التعداد بمعنى ان الكاهن فى منطقة رعايته مثلما يقول السيد المسيح " اعرف خرافى وخرافى تعرفنى و اناديها بأسمائها " فالمفروض ان الكاهن يعرف شعبه لكى يقوم نحوه بالخدمة الدينية فأصبح كل كاهن فى حدود منطقته يحاول ان يتعرف على كل العائلات الموجودة فى شعبه و يكون عنده سجلات لها من باب انه يقدم الخدمات اللازمة لهم و يطمئن ان كل عضو فيها له صلة بالكنيسة لممارسة الحياة الدينية السليمة و اذا كانت هناك مشاكل يحاول ان يتدخل فى حلها . موضوع التعداد لا يهمنى كثيرا .

* ما هى قصتكم مع متى المسكين ؟



** بداية احب أن أقول أن القمص متى المسكين كان احد المرشحين للبطريركية سنة ١٩٥٧ و أنا ايضا كنت أحد المرشحين سنة ١٩٥٧ و كان مرشحا بعد البابا كيولس سنة ١٩٧٠ فله وضع خاص . و السادات لم يستطع أن ينجح فى اتصالاته مع متى و لم تأت بنتيجة الا الخراب الذى حدث و الذى أهاج عليه جميع الاقباط و رفضوه .. ماذا يمكن ان يقال فى هذا المجال .

* طبيعة الاتصالات التى كانت مع متى المسكين وقتها بين السادات و بينه هل عندك فكرة بها و ما الغرض منها ؟

** انا لم احضر هذه الاجتماعات و اى كلام اقوله فيها يكون مجرد استنتاجات و لا ادعى اننى اعرف الحقيقة تماما و لكن الظواهر الخارجية أنه فى الوقت الذى لم نحتفل فيه بالعيد تقابل الاثنان و نشرت الصورة فى الجرائد و بدا أن السادات كون علاقة جديدة لعلها تتدخل فى الاشكال و قبل قرارات السادات فى ٥ سبتمبر قيل انه اجتمع فترة طويلة و استمع الى متى المسكين ونصائحه و أقتراحاته . بعد قرارات سبتمبر نشر مقال للقمص متى المسكين فى التايمز هاجم فيه البابا وملخص هذا المقال نشر فى الجرائد المصرية و العربية و مع كل ذلك أنا لا اخذ موقفا من أحد . تركت الامر الى الله و هو يحله

* هل حدثت اتصالات بينك و بينه طوال الفترة التى مضت ؟

** لا استطيع ان اقول انه لا توجد اتصالات و لكن نادرة و قليلة ولو كان [illegible]ادا فى أصلاح الموقف يجب أن يكون

حريصا و يصلحه بطريقة سليمة يعالج فيها المواقف السابقة .

* هل يعبر القمص متى المسكين عن اتجاه معين داخل الكنيسة . هل يوجد اتجاه داخل الكنيسة القبطية يمثله ام انه يمثل نفسه او المتبعين له و لفكره ؟

** لا شك ان له مجموعة تحبه و تقرا كتاباته و لكنها ليست كثيرة و لا تشكل جناحا فى الكنيسة القبطية .

* ما هى حقوق الاقباط فى تصورك ؟

** انا لم اتكلم اطلاقا عن حقوق فى وظائف لا فى القديم و لا فى الجديد و انما ما اتكلم عنه هو حقهم فى العبادة و ايضا فى الامن و السلام و لم اتدخل فى اكثر من هذين الامرين و تدخلنا فى مسالة الشريعة الاسلامية من ناحية الشرائع التى يمكن ان تؤثر على وضع الاقباط و كما قلت لك ان فى اتصالاتنا كان كل الذى نهدف اليه كيف تكون معاملة الاقباط فى ظل الشريعة اذا طبقت ماذا يكون موقفهم .هل يفقدون حقوقهم الوطنية . هل يفقدون المساواة بينهم و بين اخوانهم المسلمين ؟ ما هو مصيرهم ، هذه هى المسالة ، و لا يوجد اى لوم على اى جماعة من الناس تدافع عن مصيرها او حقوقها او كيانها .. ما هو الخطا فى هذا ؟ الفلاحون يطالبون بحقوقهم و العمال يطالبون بحقوقهم و احيانا كان الصيادون يطالبون بحقوقهم و اى اعضاء نقابة يطالبون بحقوقهم .

* الاقباط فى مصر يعاملون افضل من اقليات كثير جدا موجوده فى العالم و الدليل على ذلك يطالبون الاقليات المسلمة الموجودة فى الدول الغربية مثلا التى تدين بالديانة المسيحية يواجهون تعقيدات كثيرة ؟

** هذا الكلام ليس صحيحا اطلاقا لقد بنى جامع فى روما نفسها الكلام هذا غير صحيح نحن نتكلم عن العدل ولا نتحدث عن المقارنة فى الظلم ومع ذلك لا يوجد مثل هذا الاضطهاد فى اي بلد من بلاد العالم . ليست المسالة " خذ تارك من جارك " اما ان وجدت بعض تعقيدات في بلاد الغرب فان هذه القواعد تشمل المسيحيين و المسلمين تنطبق على بناء الكنيسة كما تنطبق على بناء جامع لا خلاف بينهما وبين بعض

* الى اين وصلتم فى هذا الموضوع مع النظام ؟ هل توصلتم لصيغة معينة ؟

** انا شخصيا لم اتدخل فى هذا الموضوع اطلاقا وتركت كل اسقف يتصل بوزارة الداخلية ويدبر اموره معهم ولو احتاج الى الكنيسة باضطر اتصل بوزارة الداخلية .

* النقطة الثانية الخاصة بالوظائف العامة ، هل تطالبون بنصيب محدد منها ؟

** المفروض ان الوظيفة يعين فيها الشخص الكفء مسيحيا كان او مسلما نحن لم نطالب بهذا الامر ولم يحدث اننا طالبنا به لكن يهمنا ان المسيحى الكفء يجد مجاله فى التوظيف .

* هل هذا الموضوع مثار شكوى لك حاليا ؟

** ان مصر كلها تعانى من البطالة ومن قلة التوظيف والمسيحيون يقاسون بالاكثر .. والذى يحدث انهم يجدون جوا مختلفا عن زمان .

* هل طرحتم فكرة التمثيل النسبى فى الوظائف والبرلمان ؟

** ايضا لا نقبل التمثيل النسبى .. كل ما نريده اننا كمصريين نعامل كمصريين وتتاح الفرصة فى التوظيف حسب الكفاءة .

* وبالنسبة للبرلمان ؟

** بالنسبة للبرلمان ايضا القبطى لا ينتخب وهذه علامة غير مضيئة ، فى السابق كان من الممكن فى دائرة غالبيتها مسلمون ان يرشح قبطى فينجح او دائرة اغلبيتها اقباط يرشح مسلم فينجح وكانت هناك محبة بين الناس لكن الان لا يرشح قبطى ونادرا ما ينجح ، ينجح مثلا ٢ من ٤٤٤ اى نصف فى المائه ، المسألة ليست مسألة تمثيل ولكنها مسألة محبة وعلاقة طيبة بين الناس بحيث انهم يختارون بعضا بغض النظر عن الدين .اذا لم يرشح الاقباط انفسهم اتهمونا بالسلبية ولو رشحوا انفسهم يسقطون ، فماذا يفعلون ؟

* ما هو الدور الذى ممكن ان تقوم به الكنيسة فى هذا الاطار ؟

** لا شيء ليس لنا دور سياسى .

* ما هى الموارد المالية للكنيسة المصرية ؟

** مالية الكنيسة تنقسم الى نوعين او ثلاثة ، النوع الاول ماللكنيسة من املاك او اوقاف واحيانا لا تكفى للصرف عليها .
و النوع الثانى ما يمكن ان يدفعه الناس من عشور للكنيسة ولا يدفع الجميع ما عليهم .

و النوع الثالث اى تبرع يجيء من اى مكان سواء كان عينيا او نقديا لا فارق بين المسيحيين و المسلمين فى هذا المنهج .

*الكنيسة القبطية هل هى متيسرة او متعسرة ماديا ؟

** مثلها مثل اى هيئة من الهيئات توجد كنائس فقيرة جدا و كنائس ايرادها جيد ،كنائس المدن متيسرة عن كنائس القرى ،فى هذه الحالة يمكن للمدينة ان تساعد القرية لو ارادت لكن ليس اضطرارا . الجميع يكابدون ازمات اقتصادية لكن نحن نشكر ربنا .

الخاتمة

* الخاتمة

اخطر ما يصيب اى مجتمع بشرى ان يصاب بنقص المناعة هذا النقص يعرض المجتمع للعديد من الامراض ويصاب المجتمع بفقدان المناعة اذا تفتتت اوصاله الى جزر متباعدة ،متصارعة احيانا ،بحيث تحكم المصلحة الذاتية قصيرة النظر توجهات افراده وجماعاته. وقد عانى المجتمع المصرى فى الحقبة الاخيرة من نقص مناعته لاسباب اجتماعية و اقتصادية وسياسية -تعرضنا لبعضها-ولعل ابرز هذه الاسباب اختفاء المشروع القومى الذى يجمع كل المواطنين حوله ،و التغيرات -او الانقلابات - السياسية المتتابعة و المفاجئة ،و الازمة الاقتصادية و تراجعت عناصر قوية فى بنية المجتمع ،كل المجتمع،ومس التطرف - بمفهومه العام. -كل الاطراف الفرد و الجماعة و الدولة كلا فى موقعه. وحتى نحدد ما نقصد بالتطرف نورد معناه اللغوى الذى يعنى حالة الوقوف على طرف ،اى تجاوز الموقف الوسطى المتوازن،فاختل التوازن لتطرف الجميع فى مرحلة من المراحل،فغابت عناصر المناعة الاجتماعية و السياسية .

كانت السبعينات فى تاريخ مصر هى فترة جديدة لاعادة تعريف الهوية ،وتحديد جديد للانتماءات،فبعد نكسة ١٩٦٧ وسقوط المشروع القومى واختفاء عبد الناصر وانفراد السادات بعد مايو ١٩٧١ بالحكم ،وسلسلة القرارات الفجائية الفوقية ،كل هذه العوامل كان لها تاثيرها الفعال فى الاتجاه نحو البحث عن تعريف جديد للانتماء. وفى ظل الظروف التى تحكم المجتمعات الشرقية بشكل عام -ومصر بشكل خاص- كان طبيعيا ان يندفع الاتجاه الجديد نحو الحل الدينى،هذا بالاضافة الى تعرض المجتمع لأزمة ثقة حادة سواء فى الذات،او فى القيم التى كانت سائدة

وكان لطرح النظام السياسى فى ذلك الوقت الدين كنقطة إرتكاز له تمكنه من الاستمرار بعد سقوط المشروع القومى تاثيره ايضا فى دفع الغالبية نحو الحل الدينى.
وظهر تاثير هذا واضحا فى تزايد المد الدينى الاسلامى وتزامنه مع المصالحة التى تمت بين النظام السياسى فى ذلك الوقت و الاخوان المسلمين.وتطورت الاوضاع بعد ذلك الى انتشار الجماعات الاسلامية باتجاهاتها المختلفة فى كل أوساط المجتمع المصرى .

على الجانب القبطى تزامنت كل هذه التغيرات و الانقلابات، مع صعود الجيل الجديد - من أصطلح على تسميتهم جيل الاربعينات-وتزايد قوتهم داخل الكنيسة الى ان تمكنوا من السيطرة عليها كاملة بتقلد أحد أبرز نجوم هذا الجيل- البابا شنودة - كرسى البطريركية .وكما سبق القول ،فان هذا الجيل جاء محملا بالكثير من الامال والاهداف لخلق كنيسة قوية بمفهومهم، تتمكن من ان تكون الوعاء الطبيعى لكل أقباط مصر ، وان تتمكن من الانفراد بتمثيلهم و الدفاع عنهم .ساعد على تعميق هذه النظرة الاحساس الذى سيطر على اقباط مصر فى تلك الفترة من الاحساس بعدم الامان ،و التخوف من اختفاء تميزهم وكما وصف أحد الباحثين الحالة القبطية فى تلك الحالة بانه عندما ينخفض دور الاقباط فى المجتمع ويقل نسبيا عن الوضع السابق ، يعترى الاقباط الشعور بالخوف و القلق على وجودهم، ولهذا يظهر الميل الى التقوقع والبعد عن العمل العام.

وهنا يميل عامة الاقباط الى الاحتماء فى الكنيسة .
وقد لمست فى حواراتى مع البابا شنودة أو غيره من

رجال الدين القبطى أو الاقباط العاديين أن احساسهم بالخطر قد سيطر عليهم لفترات طويلة ،واتهامهم لاجهزة الدولة بالانحياز ضدهم فى العديد من الحوادث يتخذونه دليلا على انهم يواجهون مشاكل تجبرهم على ان يتخذوا حيالها موقفا . وقددلل البابا شنودة عدة مرات فى حواره الطويل معى بحوادث الاعتداءات على الكنائس وعلى الاقباط.من قبل بعض أفراد الجماعات الاسلامية . ويصل الامر الى حد اتهام أجهزة الشرطة بالتهاون فى ردع هؤلاء المعتدين.

الاكيد ان هناك حالات يمكن ان يصدق فيها هذا الاتهام، ولكن الخطأ الاكيد ايضا أن يتشعب هذا الاتهام بحيث يعامل على انه قاعدة تحكم العلاقة بين الدولة والاقباط.

وللاستاذ فهمى هويدى وجهة نظر حول هذه النقطة ،اذ انه يعتقد ان أى ظلم اجتماعى وسياسى يشمل فى العادة العديد من الفئات ،ويحمل احيانا على انه موقف طائفى،وهو بالتأكيد ليس كذلك .ولكنه خلل اجتماعى وسياسى عام.ويضيف هويدى أنه من الخطأ تقييم المسائل الكبرى بسلوك فردى ،فليس معنى ان ضابطا صغيرا فى قسم شرطة ،أو استاذا فى الجامعة أتخذ موقفا منحازا للمسلمين أن يؤخذ هذا على انه موقف الدولة ولكنى أعتقد انها مشاكل تقع فى دائرة الاهمال العام.

حالة عدم الاحساس بأن الوطن نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية - لايكفل لهم الحماية الكافية أصبح احساسا عاما ،وليس مجرد احساس يخص الاقباط وحدهم،ولكنه

برز واضحا لديهم نتيجة كونهم اقلية ولطبيعة الكنيسة كمؤسسة دينية تملك سطوة خاصة على رعاياها ، بحيث تتمكن من ان تتحور لتكون هيكلا يجمع رعاياه حوله. وتزامن هذا مع القيادة الكنسية الجديدة. تجمعت كل هذه العناصر فى مرحلة واحدة ،تفسخ سياسى وغياب للمشروع الوطنى ، مع تنامى الحالة الاسلامية ودخول عناصر جديدة فى اطار الحالة الاسلامية كونت الجماعات المتطرفة التى وصفها البعض بانها لم تتوافر لها فرصة الرعاية الفكرية أو الترشيد الفكرى التى بحثت لنفسها عن عدو فكان الدولة باجهزتها و الاقباط ،ثم الجميع بعد ذلك،واستغلت الدولة هذه الحالة فى مرحلة من المراحل لضرب اعداء النظام من القوى السياسية الاخرى ،او لاضفاء الصبغة الدينية عليه. كل هذا مع قيادة كنسية طموحة راغبة فى لعب دور أكبر من المسموح به فى لعبة السياسة و المجتمع، ورافضة لان يقوم أحد غيرها بدور الراعى للاقباط ،وتحاول منافسة الدولة فى القيام بهذا الدور فى رعاية المواطنين. خاصة و ان الدولة تخلت نسبيا أو عجزت احيانا عن القيام بهذا الدور. وهكذا ضعف دور الدولة وتاثيرها فنما دور الطائفية.

البابا شنودة يعترض على وجود تناقض بين الانتماء للكنيسة و الانتماء للوطن، عندما سألته عن رده على الاتهام بان الكنيسة تقوم بمنافسة الدولة فى دورها برعاية المواطنين الاقباط ،وكان التساؤل ، الانتماء الاول لمن للدولة ام للكنيسة؟ . قال " الانتماء من جهة الوطنية و القومية هو للدولة بلا شك ،ومن جهة الدين للكنيسة لكن الانتماء للكنيسة لا يمنع اطلاقا الانتماء للدولة ، فاذا انتمى لاعب الى ناد من النوادى ،فان

الانتماء للنادى لا يمنع من انتمائه للدولة .فالانتماء للدولة هو الانتماء العام الذى بداخله كل الانتماءات الاخرى ،فى البطاقة الشخصية يكتب مصرى مسيحى ،اى الدين والدولة معا. ما اود ان اقوله انه ينبغى ان يخرج من نطاق الحساسيات ،فلا تناقض بين الدولة و الكنيسة ، فالدولة ترعى الكنيسة ،و الكنيسة مفروض انها منتمية للدولة نحن نعترف تماما بأن الاقباط هم رعية الدولة، والدولة مسئولة عن الاقباط ولكن المشكلة تقوم حينما يعتدى على الاقباط ولا يجدون من يقف بجوارهم ونقول لهم: اسكتوا ، الدولة مسئولة عنكم ،ولا يحدث شيء"

كما وضح من صفحات الكتاب ،الاراء مازالت مختلفة ، والمواقف متباعدة ،و الجزر ما زالت طافية على سطح المجتمع ،كل جزيرة لها افرادها ومصالحها، و اعادة تجميع هذه الجزر لتشكل ارض الوطن من جديد تحتاج الى جهد كبير ،ورغبة صادقة ،واول هذه الجهود هى المصارحة وعدم اخفاء الرؤوس فى الرمال،فقد اثبتت كل التجارب الماضية ان كل الحلول الامنية ،و السياسية قد فشلت حتى الان فى معالجة هذه الظواهر. والاكيد ايضا ان سياسة الهروب من مواجهة المشكلة ،لم تنجح حتى فى ان تؤجلها ،لذلك لم يبق امامنا الاالمصارحة يقوم بها الجميع بديمقراطية حقيقية ،وفى ان تعود الدولة لتحمل على عاتقها مسئولياتها ،ولتتراجع كل الكيانات الصغيرة التى ينبغى ان تشكل الكيان الاكبر وهو الوطن، وان يعتقد الجميع افرادا ومؤسسات ان لا تناقض بين اهداف الفرد واهداف الوطن.ولكن هل يمكن ان يحدث كل ذلك؟ فان كنا قد فقدنا الكثير الا اننا لم نفقد بعد القدرة على الحلم ،بغد افضل ومجتمع متآلف، وامال واحدة ،

واهداف مشتركة، ما يجب ان يجمع بيننا الان هو الحلم والامل فى تحقيقه.

المراجع

١- أنور محمد - السادات و البابا : اسرار الصدام بين النظام و الكنيسة. القاهرة - ط للنشر ١٩٨٩

٢ - ايريس حبيب المصرى- قصة الكنيسة القبطية - القاهرة - مكتبة المحبة - (د.ت)

٣ - رفيق حبيب -الاحتجاج الدينى و الصراع الطبقى فى مصر. القاهرة - سينا للنشر ١٩٩٠

٤ - رفيق حبيب - المسيحية السياسية فى مصر القاهرة - يافا للدراسات و النشر ١٩٩٠

٥ - سميرة بحر - الاقباط فى الحياة السياسية المصرية - القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٧٩

٦ - طارق البشرى -المسلمون و الاقباط فى اطار الجماعة الوطنية - بيروت دار الوحدة. ١٩٨٢

٧ - عادل حمودة - الهجرة الى العنف- التطرف الدينى من هزيمة يونيو الى اغتيال اكتوبر. القاهرة سينا للنشر ١٩٨٧

٨ - غالى شكرى - الاقباط فى وطن متغير . القاهرة كتاب الاهالى. ١٩٩٠

٩ - فهمى هويدى - مواطنون لاذميون . القاهرة - دار الشروق - ١٩٨٥

١٠- ميلاد حنا - نعم اقباط ..لكن مصريون- القاهرة - مكتبة مدبولى - ١٩٨٠

١١ - مصطفى الفقى - الاقباط فى السياسة المصرية - القاهرة - دار الشروق - ١٩٨٥

١٢ - محمد مورو - ملف الكنيسة المصرية -القاهرة - كتاب المختار - (د.ت)

١٣ - محمد حسنين هيكل - خريف الغضب بيروت شركة المطبوعات للتوزيع و النشر - ١٩٨٣
١٤ - نبيل عبد الفتاح - المصحف و السيف :صراع الدين و الدولة في مصر. القاهرة .مدبولى ١٩٨٤
١٥ - وليم سليمان قلادة - الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار و الصهيونية -القاهرة- دار الكاتب العربى ١٩٦٨
١٦ - وليم سليمان قلادة .المسيحية و الاسلام على أرض مصر - القاهرة - دار الحرية ١٩٨٦

رقم الايداع ٥١٨٩/ ٩٢
I.S.B.N 977.5140.03.3

محتويات الكتاب



الأقباط الكنيسة ام الوطن

هذا الكتاب

" لا مصالحة بلا مصارحة " ظل هذا المعنى مسيطراً علي طوال فترة إعداد الكتاب " الأقباط الكنيسة ام الوطن "

هذا الكتاب لا يهدف الي توجيه الإتهام أو تعليق الجرس فى رقبة أى من الأطراف .. الهدف .. هو

محاولة لوضع بعض النقاط فوق بعض الحروف.. محاولة لفهم الواقع السياسى والإجتماعى الذى أفرز تلك العلاقة المتوترة أحيانا بين الأقباط من ناحية والدولة من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى .

العديد من الاتهامات والإنتقادات وجهت إلى الكنيسة القبطية والبابا شنودة رأس هذه الكنيسة .

هدف الكتاب ليس نفى.. أو إثبات هذه الاتهامات وإنما يطرح قضية : الإنتماء ..

أين يقف أقباط مصر ولمن يولون انتماءهم للكنيسة أم للوطن؟ وإن كانت قد مرت على مصر فترات مالت فيها كفة الإنتماء للكنيسة فمن المسئول؟ الكنيسة أم الوطن ؟

عبداللطيف المناوى

دار الشباب